

شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح
الامام الهمام من بلغ من العرفان أعلى مقام
من فاق براعته الا صاغر والا كبر
المحقق العلامة الشيخ محمد بن
محمد بن عاشور الطاهر
نفع الله به
آمين

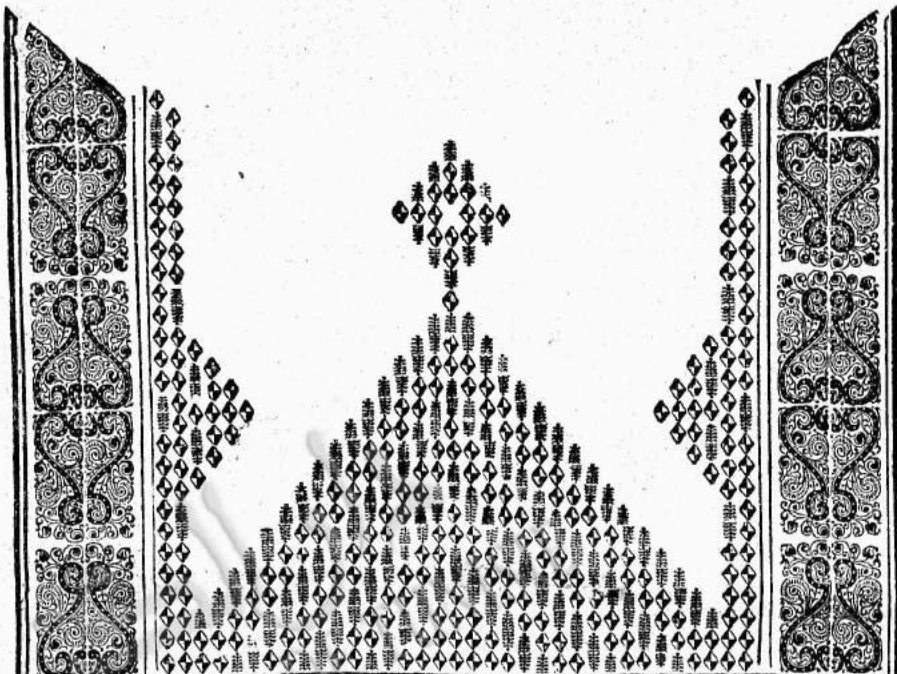
دار الكتب الوطنية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

سالكه لم ألف لمدافعتيه علاجا ولا حيله الى أن وقع في روعي أن أعالج دائي بالترياق
 الحرب الصحيح ملازمة القصيدة المباركة الموسومة ببردة المديح فصرقت الهزيمة نحو
 ممارستها. وندرت شرحها اذا سلمت عندهم دارستها فكان لم يكن ذلك الداء الا خيال طيف
 وانجلي والمحمد لله انجلاء سخاية صيف

وما سكنت والهسم يوما موضع * كذلك لم يسكن مع النعم الغم
 وكيف لا وانهم المين علائق ومدوحها عليه الصلاة والسلام وهو الخاء الذي لا يخيب فازع الى
 بابه ولا يضام كفي حصنا للمستجير أعتابه وحسبه ذلك الخناب الذي ما أخفقت طلابه
 والله در منشي القصيدة اذ يقول

ماسا مني الدهر ضيما واستجرت به * الا وملت جوار امنه لم يضم
 وحين تداركت بركتها مني الذماء الباقي بعد ما تبين عجز المطيب والراقي وقرت منها بنيسل
 الامان ونجوت بالقريسة من فم الثعبان وقرت لي عين طالمنا أرخت أرواقها وقلبت
 نحو مطلع صبح الفجر أحداقها وجب علي أن أتمم ما لذت من التدريس والشرح فطرحت
 عليل الفكر ليزخرف فيما لشرأحها من رياض وشرح فاذا هم لأزهار معانها يلمتقون
 وفي بساتين أفتانها يسرحون ولا جتنا عثراتها من كل حذب يفسلون مختلفه مسالكهم
 وكل حزب بما لديهم فرحون وكان الجامع لما في تلك الكتب من الشتات الآتي بما لم يسبق

اليه سابق ولا أت الشرح المنسوب لخاتمة المحققين وفريدة عقد العلماء الراغبين
 المبالغ النهائية في نوعي المعقول والمنقول ومحرز الغاية في علمي الفروع والاصول من اذا
 ذكرت المراتب فرتبته تسمو وتفق أواله والامام المتقن شيخ الاسلام ابن مرزوق
 لازال غيب الرحمة على حديثه هاميا وصيب الرضوان على روحه راكنا وغاديا فلقد منح
 القصيدة من فائق فصاحته نظما جوهريا وأودعها من رائق لظائفه روحا عنبريا وطوق
 جيدها بقلادة من بلاغته وكللها همتا بتاج من خاص صياغته فأصبح مكتوبه محط الرجال
 وغاية مطمح الآمال (هذا) وانه لقرط نجمة كثير ما يخرج عن الغرض بشرح المسائل
 البلاغية وبسط القول في بيان الخلافات النحوية ومثل هذا وان شاع وذاع مما تأباه
 جودة الطباع فان العلوم الآلية اغتار في مثل هذا المقام من حيث رد الكلام اليها
 لان حيث شرح خلافاتها والاستدلال عليها فعمدت الى اختصار ما يليق بالنظم من
 معانيه والاقتصار على ما هو أنسب للخريجات بمبانيه را كان شاء الله مطبوعة الصواب
 تاركا ما هو بين من أوجه الاعراب كالم أذ كفيه من البيان والبديع الامابه اهتمام
 وبالجملة لم أخرج بهذا الشرح عن مطابقة الكلام لمقتضى المقام وبينما الذهن يسرح في تلك
 الرياض ويكرع من عذبها تيسل الحياض تارة في مسالك معارف يقننها وآونة بين
 زهرات آداب يجتنيها اذ جرى عليه القضاء بتقليد خطة القضاء فصرقت الهمة عن
 ذلك الطريق وودعت ما احتفيتها ورسمته توديع الصب الشفق وقابلت منازل بالرضا
 والتسليم وقوضت أمرى للعزير الحميم وعافيت من النوازل ما أنحل مني الظاهر
 والباطن وكاد أن يخرل من الجزع ما هو ساكن لولا أن تداركتني الألفاظ الخفية بظل



بسم الله الرحمن الرحيم

هلم أيها الامع العرفاني وخيم بقذفات تفكري أيها الساطع الاتقاني واثنيا طوعا بأمر من
 خولنا خريل الاحسان فلقد آن لقدح الهداية أن يتعلی وحان لغيب الضلالة أن تجلي
 وتبلي لي من ليل الخواف صباح الامان أما اني قد تمسكت من العروة الصمدية بالجيل المتين
 وسكنت من الحصون القويمية بالشاخ الركن واستمطرت فيض نوال الرحمن فيامن
 فمحت سوارق آلائه فأخست شقاشق الشاكرين وتعالمت بوارق نعمائه فضولت لها
 مصاقع الخطباء والمترسلين وكابهم في ميدان محامده جواد اللسان كفي دليل على عجزنا قول
 نبيك في حضرة قدسك سبحانك لأحصى ثناء عليك أنت كما أقيمت على نفسك وكيف
 تحصى ثناءك فصاحه وبيان صل على أبيه درة كلت بها الأمة هامة وأبهر مرسل
 اخترته من لباب تامة سيد الانبياء ومفخر بني عدنان وعلى آله وأصحابه وعترته الطاهرة
 وأخزابه ومن اقتفى أثرهم باحسان مالمعت بروق صوادق وهمعت سبحان غوادق
 وطلمت تحت غداف الليل الأعزل والراح وفازت بديسك الطائر والساج وتشرف بخدمه
 مدائحهم وبنان هذا وان العبيد القاصر محمد بن محمد بن عاشور الطاهر طهر
 الله أعماله وأصلح عمنه أحواله يقول قد تراكم على من حوادث الدهر ما ذهب بالقوى
 وعرائن من السقم ما أورثني شديدا الجوى أبيت سمير عبرات وأرق وأصبح رهين زفرات
 وقلق أشككي من اليوم فاذا انقضى حنفت اليه أبكى تارة منه وآونة عليه ولم يزل الامر

الدولة الصادقية حين استوى على سرير المملوكة طودها الشاخي السامح وملكها العادل
 الخافي ظل الله الشامل لعباده وغيبه الهاطل على أرضه وولاده الجامع بين كمال أسه
 وحده وما أزره من المسكار حازم حده العلم الشهير مولانا المشير محمد الصادق ناشا
 لازالت أيامه باسمه الثغور موافقا للنصر والعز والسرور ففتى بحميد رعايته
 وأدخلني حرم حمايته ووضعني أعباء تلك الولاية ولخط حظي بعين الرأفة والعناية
 فراجعت ما كنت ودعته وأخذت في الكمال ما كنت نذرته وصادفتني الاعانة الصميدة على
 اتمامه واتصل المبدأ منه بختامه وازاهبت عليه من الفيض الالهي نسمات القبول
 ونجح اعتلاقي بأكرم محبتي وأفضل رسول لم تعد من مطاعته ما يشنف السمع ويهذب
 سكاكه وآدابه الطبع وسهيمته * شفاء القلب الجريح * بشرح برودة المدح * والله المسؤل
 أن يجعله وسيلة نفعه وعدة لغياب الأهل دافعه وأن يكون لي ذمعة من خير الانام
 عليه أزكى الصلاة وأتم السلام

مقدمة تشمل على ثلاثة مباحث *

المبحث الأول في الشعر وفضيلته قال ابن رشيقي القرواني في العجدة كان كلام العرب كله
 منشورا فاحتاجت الى الغناء بحكام أخلاقها وطيب أعراقها وذكر أيامها الصالحة
 وأوطانها النازحة وفرسانها الأجناد وسمجائها الأجواد تهزأ بنفسها الى الكرم وتدل
 أبناءها على حسن الشيم فتورهم وأعاريض جعلوها موازين للكلام فلما تم وزنه سموه شعرا
 لانهم قد شعروا به أي فطنوا اه وأول من تكلم به على ما في الطليعة الثانية من مقدمة تاريخ
 الخمينس يعرب بن قحطان أبو اليمن * وذلك أنه لما وصلت له المرتبة التي رثي بها آدم عليه
 السلام ابنه هاسل حين قتله أخوه قاسم للسبب المدين في آية المائدة وكانت كلمات سر يائنة
 عليها ابنة شيث وأمره بتحفظها لتوارث عنه ففرق الناس له عثرها ونظمها شعرا وهو أول
 من تكلم بالعربية كما حكاه في القاموس عمر ضاله وكان وجهه ما اقتضاه الجمع بين الاولينتين
 من قدم الشعر في اللغة وكلام ابن رشيقي السابق اقتضى حدوثه فيها ويمكن الجمع بأن اشتماره
 متأخر عن حدوث اللغة وهو الذي عناه ابن رشيقي فلا ينافي مقارنة أصله للغة وفيه ما فيه كما
 لا يخفى * وقيل أول من تكلم بالشعر آدم عليه السلام رثي به ابنه القتييل قال صاحب
 النكشاف وهو كذب محض وفي تلك الطليعة عن الامام الرازي أنه واقفه وعن ابن عباس
 رضي الله عنهما أنه قال من قال ان آدم عليه السلام قال شعرا فقد كذب على الله ورسوله فان
 محمد وال الانبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم في النهي عن الشعر سواء ولكن لما قتل قاسم
 هاسل رثاه آدم وهو سرياني اه وفيه توقف فان السبب المدين للنبي في قوله تعالى وما علمناه
 الشعر الآية يقتضي الاختصاص محمد عليه الصلاة والسلام كما سياتي وقول ابن عباس وهو
 سرياني بيان للواقع لا يتوهم منه أنه تأكيدي لثني الشعر عن آدم عليه السلام لما في مقدمة
 ديوان العنبر وكلمة المبتدأ والخبر لابن خلدون ان الشعر لا يختص باللسان العربي بل هو
 موجود في كل لغة وقد كان في اليونان شعراء ذكروهم اقليدس في كتاب المنطق اه وأول
 من رفق الشعر وقصدا القصائد وغنى بالنسب وافتتح بالغزل مهلهل بن ربيعة الوائلي خال

امرئ القيس الكندي وقد ورث ذلك عنه ابن أخته * هذا وقد أنكر جماعة فضيلة المشعر
 جانحين نحو تفضيل النثر من الكلام متسكين بأن المعجز من الكلام من جنس النثر وبأنه
 تعالى زنه نبيه عليه السلام عن الشعر بقوله عز اسمه وما علمناه الشعر وما ينبغي له وبأنه تعالى
 ذم الشعراء في قوله عزت كلمته والشعراء يتبعهم الغاؤون وبقوله عليه الصلاة والسلام لأن
 يتمتلي خوف أحدكم فحما خبره من أن تمتلي شعرا وبأن ملوك العرب كانت تأنف الاشتهار بالشعر
 ويعذونه دناءة وفي قصة امرئ القيس الشهيرة ما يبين ذلك وكفاه مذمة ما قيل فيه أنه يرفع
 من قدر الوضيع الجاهل مثل ما يذم من قدر الشريف الكامل وقد استقدح ابن رشيقي
 لردهما من فكر تزدادوريا وسلت للذب عن منقبة الشعر من بيانه عضايا مشرفيا وخلاصة
 ماله مع مزيد أن الاستدلال بتلك الأدلة مبناه عدم التدبر في وجوه الكلام وعند التأمل
 يظهر أن ما عليهم فيها أكثر مما لهم أما كون القرآن نثرا فالسر فيه أن الله جل ثناؤه لما
 دعيت نبيه عليه السلام حين استنوت الفصاحة واشتهرت البلاغة جعل آية تنويه ذلك الكلام
 المنثور ليكون أظهر برها نأحيث كان من نوع النثر وقد علا الشعر وأعجز كل نثر وشاعر وكان
 اعجاز الشعراء أشد برهاناً لآثارهم لما غلبوا وتبين اعجزهم نسبه الى الشعر لما في قلوبهم من
 هيبته ونفامته وأنه يقع منه ما لا يلحق كما شهد بذلك تعليق القصائد السبع بالبيت قصدا
 للتحدي كما هو مشهور وقصة الوليد بن المغيرة شاهدة بذلك أيضا في النوع الرابع والستين من
 الاتقان للجلال السيموطي * أخرج الحاكم عن ابن عباس قال جاء الوليد بن المغيرة الى النبي
 صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكان يهرق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال يا عمك
 يريدون أن يجمعوا لك ما لا يعطوك فأنك أتيت محمدا تتعرض لنا قبله قال قد علمت قريش أني
 آمن أكثرها ما قال فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك كاره له قال وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل
 أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا
 والله ان لقوله خللاوة وان عليه لطلاوة وأنه لثمر أعلاه مغدق أسفله وأنه ليعلم وما يعلى فقال
 لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال فدعني حتى أفكر فلفكر قال هذا سحر يؤثر بأثره عن
 غيره انتهى وفي الشفاء وغيره أن الذي قرأ عليه صلى الله عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل
 والاحسان الآية وذلك أن النثر في متعارفهم ما بين مسجع ملتزم فيه قافية واحدة ومرسل غير
 مبنى عليها والقرآن الحكيم خارج عن الوصفين ليس مرسلا مطبقا ولا مسجعا كما قال ابن
 خلدون هو كلام مفصل تنتهي آياته الى مقام يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها من غير
 التزام حرف ولا قافية وهو معنى قوله تعالى الله نزل احسن الحديث كما بانها مشافيت شعرت
 منه جلود الذين يحشون ربهم الآية اه ولما نسبوه الى الشعر رذ عليهم بقوله تعالى وما علمناه
 الشعر وأما قوله وما ينبغي له فعنناه كما في النكشاف ما يصح ولا يتطلب لو طلبه أي جعلناه
 بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يسهل كما جعلناه أميالا لا يهتدي للفظ لتسكون الحجة
 أثبت والشبهة أدحض * وعن الخليل كان الشعر أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من
 كثير من الكلام ولكن كان لا يتأتى له اه وأما آية الشعراء فان مذمتها خاصة بالشعراء
 المشركين الذين مسوا النبي صلى الله عليه وسلم بالاذى أما شعراء الاسلام فهم محظ الاستثناء

في قوله إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا واتصروا من بعد ما طمأنوا قال
 في الكشف استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثر ذكر الله وتلاوة القرآن وكان
 ذلك أغلب عليهم من الشعراء إذا قالوا شعرا قالوه توحيدا وموعظة ومدحا للنبي صلى الله عليه
 وسلم وأدبا حسنا وكان هجاءهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله تعالى لا يجب
 الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وقيل المراد شعراء النبي صلى الله عليه وسلم الذين
 يتصرون له ويحيون المشركين عنه كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة
 وكعب بن زهير رضي الله عنهم فقد قال فيهم عليه السلام هؤلاء النفر أشد على قریش من دفع
 النبل وقال حسان اهجمهم فوالله لهجاء أولئك أشد عليهم من وقع السهام في غبش الظلام اهجمهم
 ومعلى جبريل روح القدس وأما حديث لأن ينزل الخ فاعلموا هو فيمن غلب الشعر على قلبه وملك
 نفسه حتى شغله عن إقامة الفروض وذكر الله كما يشعر بذلك لفظ الامتلاء والشعر وغيره
 في ذلك سواء وكيف يؤخذ الحديث على عمومته وهؤلاء الخلفاء الراشدون قد نطقوا بالشعر
 وتبعهم على ذلك من الصحابة والتابعين والفقهاء المشهورين الجمل الغفير فمن شعر الصديق
 رضي الله عنه فمارواه ابن اسحق وغيره قوله

أمن طيف سلمى بالبطاح الدماث * أرفت وأمر في العشييرة حاد
 ترى من أوى فرقة لا يصدها * عن الكفر تذكير ولا بعث باعث
 رسول أناهم صادق قد كذبوا * عليه وقالواست فينا بما كثر
 وهي قصيدة طويلة ومن شعر القاروق رضي الله عنه قوله
 توعدني كعب ثلاثا بعدها * ولا شك أن القول ما قال لي كعب
 وما لي خوف الموت أني لميت * ولكن خوف الذنب يتبعه الذنب
 ومن شعر ذي النورين رضي الله عنه قوله

غنى النفس بغنى النفس حتى يكفها * وان غصها حتى يضربها الفقر
 وفاعصرة فاصبر لها ان لقيتها * بكا نسة الاو يتبعها يسر
 ومن شعر علي رضي الله عنه وكثر موجهه قوله يوم صفين
 لمن رايه سودا عيقت طلها * اذا قلت قدمها حصين تقدما
 فيوردها في الصف حتى تردها * حياض المنايا تقطر الموت والدما

فهذا أو أمثاله مما جرى من أئمة الهدى الذين حث على اتباعهم صاحبهم عليه الصلاة والسلام
 مما ينادى بالعوين على أبواب تلك الأقاليم ويستوجب تأويل اللروي عن الشافعي
 رضي الله عنه من قوله

ولولا الشعر بالعلماء نزي * لكنت اليوم أشعر من لبيد
 فان المراد صرف الهمة اليه حتى يغلب على القلب كما تقدم بدليل الجواب أما أخذ أدبا
 وفكاهة فلا حرج فيه والإقائين مقام العلماء من مرتبة الخلفاء وقد روى عنه من الشعر ما هو
 مشهور وما ينسب اليه كافي شرح بيديعية ابن حجة وغيره قوله
 خذوا بيدي هذا الغزال فانه * رماني بسهمي مقلتيه على محمد

ولا تقتلوه اني أنا عبده * وفي مذهبي لا يقتل الحر بالعبد
 وأما تأنيف ملوك العرب من الأشتهار به فمن حيث ان سوتهم اتخذوه مكسبة وتجارة وذلك
 مما تأناه أئمة الملك على أنك اذا اتبعت غالب الأغراض الجاهلية تجدها متنافية مع صولة
 الملك ان كنت ذاتها وقصة امرئ القيس شاهدة لنا فان أباه ما فعل معه ما فعل الأنا آذاه
 اليه الشعر من الغنى والضلالة والاشتغال بالخمر والرنا عن الملك والرياسة وكيف ينسب الى
 عربي التأنيف من الشعر وفي ديوان العبران الشعر كان ديوان العرب فيه علومهم وأخبارهم
 وحكمهم وكان رؤساء العرب متنافسين فيه وكانوا يقفون بسوق عكاظ لا نشأه وعرض كل
 واحد ما يحته على قول الشعراء وأهل النظر حتى انتهوا في تعليق أشعارهم الى المباحة
 بأركان بيت الله الحرام موضع حجهم ومقام أبيهم ابراهيم عليه السلام اه وفي باب احتفاء
 القبائل بشعرائها من كتاب العمدة كاتب القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل
 بهناتها وصنعت الأطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الأعراس ويتباشر الرجال
 والولدان لانه حياية لأعراسهم وذبح عن أحسابهم وتخليد لما ترهم واشادة لذكهم وكانوا
 لا يهنون الا بعلام يولد أو شاعر ينبغ أو فرس ينتج اه وأما ما قيل فيه فليس معناه ما توهموه
 من المثلية وانما هو بيان لما له من المنقبة وذلك ان الشعر لجلالاته عند آرياه يرفع من قدر
 الخامل اذا مدح به مثل ما يوضع من قدر الشريف اذا اتخذته مكسبة فيقدر رفع قدر الخلق من
 خضيب الثرى الى أوج الذرى حين مدحه الأعيى بعكاظ بقصيدته التي يقول فيها

لجري لقيلاحت عميون كثيرة * الى ضوء نار باليفاع تخسرق
 ثشب لمقرورين يصطلبناها * وبات على النار الندي والحلق
 رضيبي لمان ندى أم تحالفا * بأسحمداج عوض لا تنفرك
 ترى الجود يخري ظاهرا فوق وجهه * كجازان من الهند واتي رونق

ووضع قبر النا بغيعة الذيافي وهو أشرف بني ذبيان بامتدادحه النجمان بن المنذر وتسكسمة به
 وكفاه فضيلة قوله عليه الصلاة والسلام ان من البيان لهجرا وان من الشعر لحكمة وأنه
 عليه السلام بنى حسان منبر في المسجد فشد عليه الشعر وأنه كان يربح اليه ويحازي عليه
 وناهيك بواقعة كعب بن زهير الشهيرة فلقد نال فيها بقصيدته المباركة ما نال وقد سعه به
 حسان بن ثابت * روى أنه لما أتت قصيدته التي ردها على أبي سفيان وانتهى الى قوله
 هجوت محمدا فأحبت عنه * وعند الله في ذلك الجزاء

قال له عليه الصلاة والسلام جزاؤك الجنة يا حسان فلما انتهى الى قوله
 فان أبي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء

قال له وقاله من النار * وروى أن النا بغيعة الجعدي قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم
 فأشده بقصيدة انتهيت فيها الى قولي

أتيت رسول الله اذ جاء بالهدى * ويتلو كتابا واضع الحق نيرا
 بلغنا السما مجد او جودا وسوددا * وانالغني فوق ذلك مظهرا

فقال له عليه الصلاة والسلام الى أين يا أبا ليلى فقلت الى الجنة بئنا رسول الله فقال الى

الجنة إن شاء الله فلما أتيت إلى قولي

ولا خيري في حلم إذا لم تكن له * بوادر تحمي صفوه أن يكدر
ولا خيري في جهل إذا لم يكن له * حلم إذا ما أورد الأمر أصدرا

قال النبي صلى الله عليه وسلم صدقت وأحسنت لأفرض الله فاك قضيته عمري أحسن
الناس تغرأ وعمرت عمر اطو يلا وكنت كلما سقط لي سن نبت مكانه آخره ومن هذا
المجري ما وقع للناظم وغيره ممن غرس أصول شعره في رياض مدائح عليه الصلاة والسلام
ولتكف عن البراع عن الجولان في هذا الميدان فلقد كفي ماجري في المطلوب والله أعلم
* المبحث الثاني * في ذكر شيء من أغراض الشعر على وجه جمالي * أعلم أن صنوف الشعر
الكثيرة التداول تسعة أحدها النسيب وهو والتشبيب والتغزل بمعنى واحد عند القدماء
وعليه اقتصر في العمد وفي نزهة الابصار في رقائق العلوم والاشعار أن المتأخرين على
تقسيم النسيب إلى تشبيب وتغزل وغرام فالأول يرجع إلى محاسن الذات والثاني يرجع إلى
أحوال المحب وما يشكوه ويقاسيه من أهوال الهوى كالسهر والرقب والهجر والشاة
ومارتاح إليه من الوصال والطميف وهبوب الصبا والوقوف بالديار والثالث يرجع إلى ما يهيج
الاشواق وينير الحرام كشد كرا العهود والمنازل والاجتماع والمواعد وسدو حنين الأبل
وتحذ ذلك وقد جمع الناظم في نسيبه بين القسمين الأخيرين كما ترى ولانسيب طريقتان
يدوية وحضرية وهبني كل على ما يلائم طبع صاحبه فالاولى تنبني على ذكر نحو الرحيل
والانتقال وتوقع البين والاشفاق منه وذكر الطلول والرسوم والتشوق لحنين الأبل وهبوب
النسيم وطلع البروق وذكر الرياحين البرية من أفحوان وعرار وغيرها والثانية تنبني على
ذكر نحو الصدود والهجران والواشين والرقباء وذكر الرياحين البستانية وغير ذلك مما يناسب
رقة الحاضرة * وشروط قبول كل أن يكون رقيق اللفاظ حلوها قرب المعاني يظرب الحزن
وبين ما قسا من القلوب ويرتاح إليه سامعه * قال الأصمعي أغزل بيت قالته العرب قول امرئ
القيس وما ذرفت عيناك إلا تضربي * بسهميك في أعشار قلب مقفل

وقال الحاملي أغزل ما قالته العرب قول أبي صخر

فيا حبا زدنني جوى كل ليلة * ويسألوه الأيام موعدا لك الحشر

(ثانيها) المدح وشروط قبوله أن لا يكون نسبيا لما فيه من الأشعار بالنقصه وأن يراعى
فيه مقتضى الطباع من الغتاب والبخاز * كان أبو عبادة البحرى إذا مدح الخليقة قلل الآيات
لما في طبع الملك من السامة والتجروا إذا مدح السكك عمل طاقته وبلغ مراده وجماع الأمر
مطابقة الكلام لمقتضى الحال ومن شروطه أن لا يتجا وزجدا الممدوح جدا وأن لا ينقصه شيء
مما يستحقه ومن هنالم يتعاط فحول الشعراء المتقدمين كأي تمام والبحرئى مدح النبي
عليه الصلاة والسلام وكان أصعب ما يحا ولونه إذ كل علق في حقه تقصير والله دران الغارض
أذ يقول وعلى تقن واصفيه بمدحه * يقنى الزمان وفيه مالم يوصف
وروى أنه روى في المنام فقيل له لم تصرح بمدح النبي صلى الله عليه وسلم فقال
أرى كل مدح في النبي مقصرا * وان بالغ المثنى عليه وأكثر

إذا الله أتى بالذي هو أهله * عليه لما مقدار ما مدح الورى

وقول الناظم في همز يته

ان من معجزاتك العجز عن وصفك إذا لا يحده الاحصاء

كيف يستوعب الكلام سجايا * لئول تنزع البحار الركاء

ومن سلك طر يق المدح كاللناظم فالغرض الاصلى له التشبث بأذباله والمقيل تحت ظلاله
والتقرب اليه بما في المقدور فان السكرى يقبل من المتقرب اليه ما دق وجل على أنه إذا تعذر
مدحه بالتفصيل لا يتعذر بالاجمال كما قال الناظم رحمه الله

دع ما أدعته النصارى في نبيهم * واحكم بما شئت مدحافيه واحتكم

وقال بعده يبلغ العلم فيه أنه بشر * وأنه خير خلق الله كلهم

(ثالثها) الافتخار وهو من المدح الا أن الشاعر يخمس به نفسه وقومه قال دعبل أختر الشعر

قول كعب بن مالك وقمير داذير ووجوههم * جبريل تحت لواتهم ومحمد

وقال ابن رشيقي أختر بيت صنعه يحدث قول بنطار

إذا ما غضبنا غضبة مضرية * هتكا كجباب الشمس أو تقطر الدما

إذا ما أعرنا سيدا من قبيلة * ذرى منبر صلتى علينا وسلمنا

(رابعها) الرثاء وشروطه أن يكون ظاهرا التفتيح بين الحسرة فخالوطا بالتهلف والاسف
والاستعظام إذا كان الميت رئيسا (خامسها) الاقتضاء وشروطه التلطف لموجب العطف
والاجابة قال في العمد ومن حمده قول أمية بن أبي الصلت لعبد الله بن جدعان

أأذ كر حاجتي أم قد كفاني * حياؤك ان شيمتك الحياء

وعلمت بالحقوق وأنت فرع * لك الحسب المهذب والسناء

خليل لا يغيره صباح * عن الخلق الجليل ولا مساء

وله طرق كثيرة تعرض لبعضها ان شاء الله عند الكلام على آخر النظم (سادسها) العتاب
وهو حياة المودة وشاهد الوفاء وداعية الالفة وقديما المحبة وشروطه التقليل فاذا أكثر خشن
جانبه وثقل صاحبه والناس فيه على اختلاف فهم ما راج له بالاستعطف والاستتلاف وفهم
مدخل فيه الاحتجاج والاتصاف والاول ابقى للمودة ومن حمده قول بعضهم

وكنت أظن أن جبال رضوى * تزول وأن ودك لا يزول

ولكن القلوب لها انقلاب * وحالات ابن آدم تستحيل

(سابعها) الوعيد والاذار قال في العمد كان المعتلا وذووا الحزم من الشعراء يتوعدون
بالهجماء ويحذرون ولا يعضون القول الا ضرورة حيث لا يحسن السكوت ومن الوعيد قول
جربنجا طيب بنى خديفة

أبني خديفة حملوا سفهاءكم * انى أخاف عليكم أن أغضبا

(ثامنها) الهجاء وأشده ما كان بغضيل وهو المسمى بالاقداغ الذي ورد فيه قوله عليه الصلاة
والسلام من قال في الاسلام هجاء فقد عافلسانه هدر وجميع الشعراء يرون قصر الهجاء
أجود وترك الفحش فيه أصوب الاجري فانه أوصى بنبيه بتطو بل الهجاء وقصر المدح

(تاسعها) الاعتذار وطريقه أن يذهب الشاعر مدحها لطيفاتار كالأحتياج واقامة الدليل
داخلتحت عفو المعتذر اليه حتى يأخذ بقلبه ويستوجب رضاه وأن لا يعترف بما لم يؤده
الى تكذيب المعتذر اليه ومن جیده قول محمد الأصبهاني

العذر يلحقه التحريف والكذب * وليس في غير ما رصمك لي أرب
وقد أسأت وبالنعما التي سلقت * الا منفت بعفو ماله سب

وان اعلم ان افتتاح المدح بالقسيم أمر جرى عليه عمل المتقدمين من الشعراء والمتأخرين
كأن الشاعر السامع لتبراح نفسه به ويقبل على ما بعده من المدح ومن هنا شابه ما للكب بن
الرجل بنحو ما يورد قبل الانشاد تمجيحا للنفس لتهيأ لتلقى الانشاد فقال

تسطير المحبون الأشاعر اغزلا * يطارد المدح بالتشبيب أطوارا
كأقرا العود وشي فيه توشية * وبعد ذلك غنى فيه أشعارا

وقوله في الطريقة شعراء النبي صلى الله عليه وسلم فافتحو أمدانهم بالتشبيب وأنشدوها
بين يديه عليه السلام دون تكبر منه من ذلك قول كعب بن زهير
بانت سعاد قلبي اليوم مقبول * مني أثرها لم يقدح مقبول

وقول حسان بن ثابت يوم بدر

عرفت ديار زينب بالكئيب * كخط الوحى فى الورق القشيب

وعلى ذلك جرى الناظم رحمه الله ومن البين ان التشبيب غير مصروف للمدح فلا يدخل ذلك
الصنيع تحت ما أنكره الأمر من استجمال ما يقال للعشوق في المقام المحمدي مما يأنف
أحدنا أن يخاطب به قال وما وقع لعارف من ذلك كأن الفارض فأنما ساغ من حيث استبداء

الوجد على قلبه وخروجه عن التميز فلا يقتدى به بميزاه نعم تأدب المشافهة بالخاطب
يقضى بالتخشم في القسب واجتناب الفحش كذكر محاسن المرد والقساء ولذا قال ابن حجة
في شرح بلديعته ينبغي أن يكون نسيب المدح النبوي بذكر الاماكن والبياه العربية التي كثر

ذكرها في الكلام العربي كسعة ورامة والعذيب وبارق فيتم بذلك براعة الاستهلال ومن جیده
براعة البردة * المبحث الثالث * في التعريف بالناظم وبيان سبب انشاد هذا النظم
الشريف وذكروا من عجائب خواصه قال ابن حجر الهيثمي في شرح الهمزية للناظم هو الشيخ

الامام العارف الكامل الهمام المتفنن المحقق البليغ الأديب المسدق امام الشعراء
وأشعر العلماء وبلغ النعماء وأفضح الحكماء شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن محسن
ابن عبد الله بن صهاج بن هلال الصنهاجي كان أحد أبويه من بوضيرا الصعيد والآخر من دلاص

فركبت النسبة منهما وقيل للدلاصيرى ثم اشتهر بالبوصيرى ولد ستة أربع وتسعين وسبعمائة
وتوفي سنة إحدى وثمانين وسبعمائة على ما صوته العسقلاني * وسبب نظم هذه القصيدة أنه
أصابه فالج أعياء اطباء ففكر في أعمال قصيدة يتشفع بها اليه صلى الله عليه وسلم ويتوسل به

الى ربه فلما تم انشادها رآه عليه السلام في المنام ما سماه الكرمية عليه فعوفى لوقته
ثم لما خرج من بيته لقيهم رجل صالح فطلب منه سماعها فحجب منه اذ لم يخبر بها أحد فقال
سمعتها البارحة تقصد بين يديه صلى الله عليه وسلم وهو يتم ايل كما ييل القضب فأعطاها

اباها وقيل انه اشتد به رمد بعد نظمها فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقرأ عليه شيئا
منها فتغل في عينيه فبرأ لوقته اه كلام ابن حجر * ومن عجائب بركتها ما حكاه ابن فضل الله في
كتابه مسالك الابصار أنه حكى له غير واحد ممن يثق به أن رجلا من كتاب مصر كان مغرما بها

مشيما المنافعها وكان له رفيق نصراني فمزأ به فرمد ابن لذلك الرجل وأناه به غلام والنصراني
الى جنبه فقال الرجل للغلام اذهب به الى السكجال ودعه يطيبه فقال له النصراني لاجاجة بك
الى السكجال ألم تر عم أن في البردة شفاءه قال نعم والله لا أطيبه بغيرها فوضعها على عيني

الصبي فأمضى له يومان الا وقد زال ذلك الرمد بتأامه فقال النصراني لا طيبة بعد عيان وأسلم
وحسن اسلامه اه وفي شرح الانطاكى أن بعض الشيوخ كان يوصي تلامذته بتلاوتها
ويقول انها من أعظم الوسائل الى الله وانه فاز بها من الرجال من قار وان تلاوتها تؤمن

الخائف وتريل الهموم وتفرج الكروب وان المسكان الذي تتلى فيه تنزل فيه الرحمة والبركة
وكان يقول اذ لم تيسر تلاوتها بأسرها كفت هاته الايات وهى من قوله واستفرغ الدمع
البيت الى قوله وكيف تدعو الى الدنيا الميت اه قال بعض تلامذته وقد رأيت من بركتها الأمر

العجيب وكل ذلك قليل في بركة حمد وجهها عليه الصلاة والسلام كيف وانه الوسيلة العظمى
والملاذ الأحمى فلا جرم أن للمتمسك بجنبه الرفيع الفوز بمطوبه وللتمسك به الى ربه الاسعاف
بمزغوبه وقد قال عليه الصلاة والسلام توسلوا بحاهى فان جاهى عند الله عظيم * وأما التوسل

بعلايقه فأول من سنده عمر بن الخطاب رضى الله عنه في عام الرمادة فانه لما اشتد بهم الأمر
ولم ينجح الاستسقاء خرج بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ومسلأ طواقه وقال اللهم
انا كنا نستسقى بنبيك قسقسينا وها نحن نستسقى بعم نبينا فاسقنا فارجعوا الا وقد أمطرت

السما بمثل أفواه القرب وفي ذلك يقول عباس بن عميرة
يحمى سقى الله البلاد وأهله * عشية يستسقى بشيئته عمر
توجه بالعباس في الجدير اغبا * اليه فان راح حتى أتى المطر
ومنا رسول الله فينا اثره * فما بعد هذا لما خر مقصر

وقد حان وقت الشروع في شرح القصيدة فأقول مستعينا بالله * قال الناظم * رحمه الله تعالى
ونفعنا به آمين

* أمن يد كرجان بندي سلم * فرجت دمعاً جرى من مقلة بدم *
تقر عند علماء البيان أنه اذا بوغى في قيام صفة مجملها انترع منه موصوف بها دلالة بالاثباتية
على بلوغها الحد ويسمونها التجريد كما راه في قوله عز اسمهم لهم فيها دار الخلد * وله أنواع منها

مخاطبة الإنسان نفسه كما في التلخيص ومنه قول أبي الطيب المتنبي
لا تخيل عندك تهديها ولا مال * فليسعد النطق ان لم تسعد الحال
ومنه بيت القصيدة فان الناظم حرد من ذاته الطريقة في معركة الهوى ذاتا أخرى مباغية
في صيغة الحب وتجرع غصصه وكثرة الحكمة وناطها خطاب مستفهم عن سببه مرتكامة طيبة

السلت التي هى من ملح الشعر وطرف الكلام ناخجا كلامه بديك الأمرين على منوال قول
علقمة بن عبدة

هل ما علمت وما استودعت مكموم * أم جبلها اذ تأتلك اليوم مصروم
ومن جيد التشكيك قول أبي الطيب

أريقك أم ماء الغمامة أم خمير * بفي برود هو في كبدي جبر
(ومن فوائد التحريد) في مثل بيت الناظم الدلالة على كتمان الحب وحفظ سر أحبابه بحيث
لم يطلع عليه غير نفسه وذلك شأن الحب وقد بان في إخفائه ابن الفارض قدس سره حتى أذبح
إخفاءه عنه فقال أخفيت حبكم فأخفاني أسى * حتى لعمري كدت عنى اختفي
وكتمته عنى فلو أبديته * لو جدته أحلى من اللطف الخفي
ومنها الإشارة إلى أنه غير مظهر الالاسي والجزع متكلف لاظهار التجلد والصبر بحيث
لم يطلع أحد على بكائه وذلك شأن أرباب النفوس السكر بما لا يظهر منهم الا التصبر وإذا
رجعوا إلى أنفسهم حكمو الحب في فهمهم وأظهور ما كان خفيا من أثر سطوته والله در
أبي فراس الحمداني اذ يقول

أراك أي الدمع شمتك الصبر * أما للهوى نهى عليك ولا أمر
بلى أنا مشتاق وعندى لوعة * ولكنك مثلي لا يداع له سر
إذا الليل أضواني بسطت يد الهوى * وأذلت دمعا من خلأته الكبر
وعلى ذلك جاء قول في طالع قصيدة

لأن الله راع أيها القمر العالى * وان كنت قد أهملت مدمعى العالى
و بما بيننا يجمع بين قول أبي فراس ذلك وقوله في قصيدة أخرى

فلا وأنى العشاق ما أنا عاشق * اذاهى لم تلعب بصبري الملاعب

واذ قد علمت أن خطاب النفس من التحريد المنبني على الانثنية علمت أن لا التفات إلى دعوى
الالتفات في البيت بناء عليه وأنه لا تنافي بينه وبين خطاب النفس كما قيل والتذكر تفعل من
الذكري القابل للمقابل للفسيان والصيغة اما بالمعنى الاصلى واما للدلالة على المعالجة للإشارة إلى
أنه أمر تأباه حقيقة الحب لان موجبه الشوق إلى المحبوب وهو حجاب عنه ولولا له لما غاب عن
قلب المحب وما زالت صورته من نظره وهي الدرجة التامة فيه كما قال أبو الطيب

ما الخلل الامن أو دبق ليه * وأرى بظرف لا يرى بسوائه
وقال غيره ولا معنى لشكوى الشوق يوما * الى من لا يزول من العيان

وبهذا يعلم أنه لم يجد الخليل بن أحمد فيما يقسب اليه

ان كنت لست معي فالذكري منك معي * يرثي القلب وان غيبت عن بصري
العين بصير من تروى وتفقده * ونأظر القلب لا يتلوم النظر

أولى غلبة الغيبة على قلبه لكونه مكبولا بالالاسي والهوان غارق في بحار الوجدانها في فلاة
الهوى وهو الملامم لقوله بعد * وما قلبك ان قلت استتق بهم * وهذا المراد بما شاع في
كلام الشعراء من سلب الحبيب للقلب وبقاء الحب خاليا منه مما لغت في استيلاء سلطان
المحبة عليه كما قال ابن الفارض

أخذتم فؤادي وهو يعنى لها الذي * يضركم لو كان عندكم الكحل

وعليه قول بعضهم قد كنت أخرى بالصدود ومثله * لو أن قلبي بات بين ضلوعي

وقال قيس بن الملوخ مجنون العاصرية

يقولون لو عذبت قلبك لارعوى * فقلت وهل للعاشقين قلوب

وهو كسب جندي كلامهم * وجيران جمع جار وهو من قربت داره من دارك لو حدث بعضهم
الجوار بأربعين دارا من كل ناحية ويجمع على بحيرة أيضا وعليه قول ابن عبد العزيز الكاتب
يا بحيرة السفوح كم قلب بكم تعبنا * لم يقص من حبكم نخبا ولا أريا
وذو سلم موضع بين مكة والمدينة والمزج خلط شيئين فأكثر بحيث لا يمكن التمييز بعده تكلط
الخمر بالماء ومن ثم يسمى قتلاها كما قال حسان رضي الله عنه

ان التي ناولتني فرددتها * قملت قتلتها فها تم لم تقتل

كلماتها حليب العصير فعاطني * بزجاجة أرخاهما للفصل

ويجيني قول أبي قلافس

لا تقتلاها نائرا * ج غداة أشربها شفاها

فأني المروءة أهدأ * تحيى النفوس وتقتلاها

والدمع ماء مال يخرج من العين بسبب مضاعفة الحرارة الغريزية بالحرارة الغريزية التي
تحدث بانفعال النفس عند مصادمة خزن أو فرح قصعد تلك الحرارة المتضاعفة إلى الدماغ
فتميل رطوبته المائية فاذا انقذت خرج الدم لانه أقرب اليها من غيره * ثم تلك الحرارة مع
الجزن أشد تأثيرا في الدمع منها مع الفرح لانها في الاقل تصعد على صوب واحد لا تقباض
النفس بخلافها في الثاني فان النفس تنبسط باللامم فتبدد الحرارة في جميع الجسد فيضعف
فعلها في الدماغ ولذلك يكون بكاء الفرح باردا وكان من السكابة عنه قرور العين كما هو معلوم
والمقلة شحمة العين التي فيها السواد والبياض وسوادها الحسنة وما فيه كصورة
المقابل الانسان والناطر * والدم أحد الاخلاط الاربعة ومحل الكبد وينفذ من
عروقها إلى الجسد وقد علمت بما بيناه أن مخرج الدمع بالدم كناية عن كثرة البكاء وفي معناه يقول
بعضهم

بكيت دما حتى بقيت بلا دم * بكاء فتى فرد على سكن فرد
أبكي الذي أهواه بالدمع وحده * لقد جل قدر الدمع فيه اذا عندي

هذا اذا كان موجب المزج ما ذكرناه وعليه يكون قوله من مقلة دفعا لتوهم أن يكون مجراه
غيرها اذ لم يعد جريان الدم منها ويحتمل أن يكون المزج بعد انفصال الدمع من محله وجر بانه
من المقلة بسبب حر الجراح الحاصلة فيها بكثرة سيلان الدمع الشديد الحرارة أو بكثرة
السهاد والأرق كما يأتي له فيكون محو كاعلى منوال قول الفارسي

كلم السهاد جفونه قتبأدرت * عبراته محروحة بدماء

وعليه فن مقلة حال من دم * وحاصل معنى البيت الاستفهام عن كون ذكر الأجابة النازلين
بذئ سلم سببا لكثرة البكاء لصلوحيته لذلك أمتره يمثل منازل الحبيب ويشير الشوق وما أخذ
من لهيب فتحن النفس إلى عهدته تقادمه ويضاعف تحسرها على ما فات من زفرتها
المترامه والله در الفارسي اذ يقول

وها على ذلك الزمان وطيبه * أيام كنت من اللغوب مرأحا

حيث الحمى وطنى وسكان الغضى * سكنى ووردى الماء فيه مباحا
وأول من ذكر البكاء ذكر الاحبة والمنازل امرؤ القيس اذ قال فى معلقته
قفانك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
وقد تناولته أيدي الشعراء بعده فنه ما حكاها الجاحظ فى المحاسن والاصداد لبعضهم
اذ ما ذكرت التغر فاضت مدامعى * وأضحى فؤادى نهبه لله ماهم
حنفت الى ارض بها اخضر شاربى * وحلت بها عنى عقود التمام
وأطف قوم بالفتى أهل أرضه * وأرعاهم للمر عرق التقدام
ومنه منترعا من بيت الناظم قول قميل الشوق البرعى
أمن تذكر أهل البان والبان * أم من تبدل جيران بجيران
جعلت دمعتك ووقفا فى محاجرهم * يقض فى الخلد هتانا هتان
ولما اشهر أمره فى باب الحب حتى صار متهذلا أخذ المتأخرون فى التصرف فيه بما يخرجهم الى
الغربة فمنهم من نحأ فى ذلك منحا المزج بالدم كالناظم ومنهم من ارتقى الى درجة فناء الدمع
بحيث لم يبق الا الدم الخالص كما قال المرتضى
نظرت بظرف لا يعترف فى الهوى * وعين متى ما استمرت أمطرت دما
وعليه قولى أرق يزيدوخر وجد متلف * وتوقد بين الحشا لا ينطقى
وتدفق من مقلة سكاية * تبكى الدماء من الدموع الذرف
ومنهم من سلك طريق الاشارة الخفية الى السكينة فاستعمل خلفائه كقول القائل
يا طاعنين وفى الاحشاء جمر غضى * لاما دمعى يطفيها ولا النيل
فأشار بالعطف الى ما يقضيه من المناسبة بين النيل ودمعه وقرىب منه قولى
عذر الهامى فى تحاقبها فلو وصلت * غارت عيون مغانها من الببل
فان فيه ادعاء أن ماء عيون المغانى من الدمع فلو وصلت وانسكف الدمع لغارت العيون هذا
وحدیث براعتى المطع والاسهلال شهير لا يعزب عن علمك فلان طيل بذكره
* أم هبت الريح من تلقاء كاظمة * وأومض البرق فى الظلماء من اضم *
عطف على قوله تذكر بتقدير حرف مصدرى أى أن هبت الريح وأن أومض البرق وقد يستغنى
عن التقدير بناء على ارادة مجرّد الحدیث من لفظ الفعل فيلحق بالصادر كما هو مقرر فى
العربية واعتبار التأويل فى المعطوف عليه بأن يعتبر مخاللا أن والفعل ويكون العطف
على الفعل كما قيل غير تام كما لا يخفى على أنك ان كنت نسبة للعانى لم ترض الا بالعطف على
المعنى وهو ما تدل عليه الصيغة من الاختيار والمعنى أمن ذكرك باختيارك أم ذكرك بهبوب
الرياح وولع البرق فمرحبت الخ وهذا وجه آخر لاختيار صيغة الفعل فيما تقدم وذلك ان
هبوب الريح وولع البرق من نواحي الاحبة انما يوجبان البكاء من حيث انهما يشيران الذكر
و يقفان القلب من غفلته أمامهما فى ذاتهما بلا نظر لبا يرتب عليهما من ذلك فلا يظهر لهما
وجه فى البكاء ويستضح ذلك بالشواهد وعلى كل تقدير فام متصله والجملى على الانفصال مفسد
للمعنى كهبوب للتأمل * والهبوب ثوران الريح كفى القاموس والريح عند الحكماء تتوج

الهواء بسبب اندفاع السحاب اذا ثقل من أعلى الى أسفل واندفاعه من جانب الى آخر وقد
يكون لا ينسأط الهواء أى ازدياد قواه واندفاعه من جهة الى جهة كما هو مبسوط فى الكتب
الحكومية وعند السفيين أنها خلق من أعظم مخلوقات الله كفى حديث الصدقة مسكمتا تحت
الارض الثامنة عليها خزنة من الملائكة * روى أنه ما أراد الله اهلاك عاد امر الخازن أن
يرسل اليهم مقدار الخاتم ولو أرسل عليهم بمقدار من خنجر الثور لهلك كل من فى الارض جميعا
(وأصول الرياح أربعة) أحدها الصبا قال الرنخشى فى ربيع الابرار وهى موصوفة بالطيب
والروح لانخفاضها عن برد الشمال وارتفاعها عن حر الجنوب اه ومهما كفى القاموس
من مطلع الثريا الى نبات زغش وقدرت على بقية الاقسام اذا خست بسيرها بالربيع فى
قلوب أعدائه صلى الله عليه وسلم مسيرة شهر كما ورد فى حديث أعطيت خمسا لم يعطهن أحد
قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لى الغنائم وأوتيت جوامع الكلم وجعلت لى
الارض مسجد او طهورا وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس كافة وفى حديث
آخر نصرت بالصبا وأهلكك عاد بالدبور * ومما اختلفت عنها سائر الريح يعقوب بريح
يوسف عليهما السلام قبل أن يأتيه البشير * ذكر ابن خلدان فى ترجمة أبى نصر محمد
الارغمانى أنها استأذنت ربه فى ذلك فأذن لها فلذا يستريح كل محزون بها ولقد أجادت
أعرابية نجدية تروى جهاتها حتى فلما أصابها حر تهامة قالت ما فعلت ربح كانت تأتينا ونحن نجد
فقبل لها بمناجيلنا نعمان فأنشدت

أيا جبلى نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الى نسيها
أجد بردها أو تشفى منى حرارة * على كبس لم يبق الا صميمها
فان الصبار يرح اذا ماتت * على نفس محزون تجلت همومها

وقال ابن نباتة وتلطفت ماشاء

يدأوى أسا العشايق من نحو أَرْضِكُمْ * نسيم صبا أضحى عليه قبول

بروحى من ذلك النسيم اذا سرى * طيب يداوى الناس وهو عليل

ولها تأثير فى تنعم الابدان واثارة الحنين الى الاوطان ويقال لها الدبور وهو الاصل الثانى
(ثالثها) الشمال ومهما من مطلع الشمس الى مسقط القصر الطائر ويقال لها الجنوب وهو الاصل
الرابع من مطلع سهيل الى مطلع الثريا * وللريح أقسام آخر متفرعة عن هذه الاصول قالوا
والريح اذا أفر دكان للشر واذا جمع كان للخير الا القرينة وعليه استعمال القرآن ولذا كان
عليه الصلاة والسلام اذا رأى ريحا قال اللهم اجعلها رياحا لا ريحا قالوا ولذا أفردها الناظم
لانها هجيت آخرانه وفيه نظر وتلقا كاظمة نا حيمها وهى موضع بقرب المدينة المشرفة قاله
ابن مرزوق وفى معجم ما استعجم لابي عبيدة كاظمة اسم ماء قال الاصمعي يخرج من البصرة
فتسير الى كاظمة ثلاثا وهى طريق المنكدر لمن أراد مكة من المنكدر ثم تسير الى النعمان
ثلاثا وهو جبل أجزى بقاد ثلاث ليال وليس له ارتفاع ثم قال وقال يعقوب ماء كاظمة ملح صلب
يصلح عليه الحديد ولذلك قال النعمان

فأرسل مهورا كاظميا كأنه * ذنوب عراك فعمته التراتر

أى الفسدة * وكاطمة من مياه بني شيبان * روى الطبراني عن أبي عمرو والشيباني أنه قال
أذكر أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أروي ابن الألهي بكاطمة * وأما ضرب البرق
لعانه الخفي ويقال ومض ثلاثاً فإن اعترض في نواحي الغيم فهو الخفي فإن استطال في وسط
السماء ولم يعترض علينا ولا شمالاً فهو العقيمة والبرق عند أهل السنة سوط ملك يسوق
السحاب إلى الجهات التي يريد الله سبحانه والبرق صوته * روى الترمذي عن ابن عباس رضي
الله عنهما قال أقبلت يهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد
فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من النار يسوق بها السحاب حيث شاء
الله فقالوا ما هذا الصوت الذي نسمع فقال زجره السحاب إذا زجره حتى يقهق إلى حيث
أمره قالوا صدقت وعند الحكماء دخان يتصاعد مع البخار فإذا ارتفع فوق السحاب أو نزل
تحتة فزقه غزير يثاق عتيقاً فيحصل منه صوتها مثل هو الرعد ويشتعل ذلك الدخان بسبب الحركة
العنيفة المقتضية للحرارة فإن لطف وانطفأ بسرعة فهو البرق وان غلظ ولم يطفئ حتى وصل
إلى الأرض فهو الصاعقة كذا في الهداية * والظلماء الظلمة وهي ذهاب النور ويقال ليلة
ظلماء أى شديدة الظلمة كما في القاموس وهو أولي الأرادة في البيت * وأضخم كعنب الوادي
الذي فيه المدينة وفي مجمع ما استجمع أضخم بكسر أوله وفتح ثانيه وأدودن المدينة قاله الطوسي
وقال أبو عمر والشيباني وابن الأعرابي أضخم جبل لا شجوع وجهيته وقيل وأدلهم قال النابغة
بانت سعادتاً فاسمى جبلها النجدما * واحتلت الشرع فالأجرع من أضما

(وقال الزبير) أقطع المهدي المغيرة بن جنب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير عينا بأضخم يقال
لها عين النبق ولما أجليت جرحهم من مكة خرج بهم رئيسهم الحرب بن مضاض الأظفر
الجرحمى إلى أضخم من أرض جهينة فباعهم سبيل فذهب بهم وفي ذلك يقول أمية
وجرحهم دمنوا تهامة في الذهب سرفسا لتبجمهم أضخم

(ومعنى البيت) على ما اخترناه في العطف هل كان سبب الذكرك الموجب للبكاء هبوب الرياح
ولمع البروق في الليلة الظلماء من منازل الاحبة فذكر ذلك أولئك الجيران وإنما خص الليلة
الظلماء بذلك لأن البرق أشد ظهوراً بها وأقوى فعلا في النفس لشدة الوحشة فيها * فإن
قلت قدمت أن من خواص الصبا استراحة المحزون بها فكيف تكون موجبة للتذكر
الموجب للبكاء قلت لم يخص الناظم التذكر بالصبا ولو فعله لم تحصل المنافاة لأن الحزن كما في
الربيع عن ابن عباس سميهم وقوع الأمر على خلاف المحبة وغيره حتى أن الشوق والحنين
والبكاء الناشئ عنهما محبوب للمحب يتلذذ به * قال حسام الدين في ذخيرة السلاطين قال
بعضهم المحبة تقتضى الأذى بالبلاء ومن لم يتلذذ بالعذاب لم يعرف المحبة انتهى والله در سلطان
العاشقين أذيقول

وتعدد بيكم عذب لذي وجوركم * على بما يقضى الهوى لكم عدل
وقال أيضاً بالأعمى في حب من من أجله * قد جدبني وجدى وعز عزائي
هالناها لثمنها عن لوم امرئ * لم يلف غير منعم بشقاء
هذا وما قيل في الحنين لهبوب الرياح قول الفارسي

نعم بالصبا قلبى صبا لأحبتى * فيا حبذا ذاك الشداخين هبت
سرت فأسرت للفؤاد عرية * أحاديث جيران العذيب فسرت
تذكرني العهد القديم لأنها * قريبة عهد من أهيل مودتي
وقوله أيضاً أرج القسم سرتى من الزوراء * سحرراً فاحيا ميت الاحياء
أهدى لنا أرواح نجد عرفه * فالجو منعه معنبر الأرجاء
وما أحسن قول عبد الله بن الدمينه وينسب لحنون العامرية

ألا يصبا نجد متى سرت من نجد * فقد زادني مسراً وجداعلى وجدى
ألا حبذا نجد وطيب ترابها * وأرواحها ان كان نجد على العهد
(وقلت) في تشبيب تهمة تختم صحيح البخارى

أحن وأصبو كلباهب من نجد * نسيم برياه يفوق شذا النند
يمثل لي تلك الاباطح والربا * وعهدا مضى يا حبذا ذاك من عهد
فهاج لي الشوق الأثيل ولم أكن * سلوت ولكن زاد وجداعلى وجدى
وقد نحت الناظم صدرا البيت من قول النابغة الذبياني في غير مقصده

هلا سألت بني ذبيان ما حسبي * إذا الدخان تعشى الأشمط البرما
وهبت الريح من تلقاء ذى أرك * ترجى مع الليل من صرأدها صرما
يفسك ذو علمهم عني وجاهلهم * وليس جاهل شئ مثل من علما
(وما قيل) في الحنين للبروق قول شيخ المعرّة

طربن لضوء البارق المتعالى * ببغداد وهنأما هنت ومالى
تمت قويا والصراة حيا لها * تراب لها من أينق وجمال
فيا برق ليس الكرخ دارى وانما * رماني اليه الدهر منذ لمالى
فهل قيلت من ماء المعرّة شربة * تغيب بها طمان ليس بسالى

ومن السحر في ذلك قول شيخنا أنى عبد الله محمد الخضار
أأن شمت برقا بين رامة فالحرأ * أرقى أسى أم أنت ذوكبد حرأ
(ومن الطيف) في ذلك مع ملاقة بيت الناظم قول حفصة الزكوية إحدى شاعرات الاندلس
سلاوا البارق الخفاق والليل ساكن * أطل باحبابي يدكرنى وهنا
لعمري لقد أهدى لقلبي خفته * وأمطرني منهل عارضه الحفنا

(ومن العجيب) في هذا المعنى ما نقله شيخ الاسلام ابن مرزوق عن صاحب كتاب نظم الفريدي
في منتخب الأدب التليد عن الفضل بن محمد الضبي قال لما قدم بغاة بني نمير أسرى كنت أذهب
اليهم لا أسمع منهم فأنتهم يوماً وهم في عقب مطر فأذيقنى حسن الوجه قد نهك المرض وهو
يفسد ألا ياسن بارق على قللى الحمى * لهنك من برق على كريم

لمعت ابتداء الصبح والقوم هجع * فهجيت أسقاماً وأنت سليم
فهل من معبر طرف عين خلية * فأنسان عين العامرى كلم
رحى قلبه البرق الهلالى رمية * بدكر الحمى وهنأ فبات يهيم

فقلبه يا هذا انك لفي شغل عن هذا فقال صدقت ولكن أبطق البرق فما كان ساعة حتى
دفعناه

﴿فما عينيك ان قلت اكفها همتا * وما قلبك ان قلت استغنى هم﴾
أنبأت الفاء عن مقدار استغنى عن ذكره باقضاء الكلام السابق اياه وذلك شأن البلاغة
تنزل الموهوم المقتضى منزلة الواقع فتبادر بك كما يترتب عليه ومقام استغنى هم المحب عن أمر
يفضح سره مظنة انكاره محافظاً على السكتان الذي هو اكسير المودة فالقدير ان لم يكن لك
حب وشوق يبيحه التذكار فاعينك الخ ولذا تسمى هذه الفاء الفصيحة لافصاحها وانباها
بذلك المقدور وقد يصرح به زيادة في الافصاح كما قال أبو الطيب

ان كنت تسأل شكافي معارفها * فمن بلاك بتسهيدي وتعذيب

والكف عن الشيء الحبس عنه حذف متعلقه في البيت لوضوح الدلالة عليه أي عن البكاء
وهمت العين صفت دموعها على اللعين كذا عن ابن السني وقيل الهميان السيلان وعليه
فلا سند محازي * والقلب العضو المعروف وهو شكل صنوبري غشائه القواد فهمما
متغاران خلافا للجوهري نعم قديطاق عليه لفظ القواد والصدر محجازا بين العلاقة كما في قوله
تعالى ألم نشرح لك صدرك وكما في قول الأخطل

ان الكلام لفي القواد وانما * جعل اللسان على القواد دليلا

كما أطلق القلب على العقل محجازا لتلك العلاقة كما في قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له
قلب أو ألقى السمع وهو شهيد والقلب متبوع الجسد صلاحا وفسادا كما ورد في الحديث الأوان
في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب ومن ثم
قيل ان القلب كالملاك والجسد والأعضاء كالرعية فكما أن صلاح الرعية وفسادها يصلح الملك
وفساده كذا صلاح الجسد وفساده بصلاح القلب وفساده وهما هم بمعنى تحير ومنه الهمام
لشبه الجنون من العشق * واعلم ان القول يحتمل الحقيقة بناء على ما هو الشائع من خطاب
القلب والعين تخاهلا وتولها كما في قوله

أبا أيها القلب الذي قلده الهوى * أفق لا أقر الله عينك من قلب

وقوله تتمعها بامتقاني بنظرة * فأوردت ما قلبي أمر الموارد

أعيناي كفا عن قوادى فانه * من البغي سعي اثنين في قتل واحد

ويحتمل وهو الاظهر التمثيل بأن شبه حاله عند اعادة الكف عن البكاء وتيقظ القلب من
غفلة الهوى بحال الأمر لهما بذلك واستعمل اللفظ الدال على الثاني في الأول * والمعنى ان لم
تكن ذا حجب فأنت سبب قضى بعدم تمكنك من الكف عن الدمع وفاقا القلب وبازعكاس
ازادتك من قلبك وجوارك وما ذاك الا الذي سطوة وسلطان وما هو الا الحب فإنه غالب كل
غالب ﴿حكى﴾ عن المظفر بن يحيى أنه قال عدل محب فقال ليس الهوى الى الرأي فيملكه
ولا الى العقل فيدسه بل قدرته أغلب وجانبه أعز من نفوذ حيلة حازم فيه ولطف محتمل اه
والى هذا يشير ذو المثلين في قوله

كم ليلة تبها والنجم يشهدلى * صرع شوق اذا غابته غلبا

وخص ظهور سلطانه بالعين والقلب لان أثره التام بهما كما قال أعرابي في وصف الحب داء
تدوى به النفوس الصالح وتسيل منه الأرواح وهو سقم مكتوم وجرم مضطرم فالقلب به منجحه
والعيون به ساكبه اه ووصف آخر محبا فقال كان يستريحينا قد أدت ما فيها ويحنو على
كبد قد أعت مدا وبها اه ولذا جعل البكاء والسقم الناشئ عن تفكير القلب من علاماته
كما قيل علامة ذل الهوى فاعلمن * على العاشقين الضنى والبكاء
وفي ذلك سر لطيف فان سبب الحب في الغالب النظر ومنه يفسق حسن المنظور اليه الى
القلب فيشتغل بالتفكير في لطف شمائله الى أن يسطو الحب على القوى ويدكو حر الصباية
والجوى ولقد أحسن من قال

وأنت اذا أرسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما أتعبتك المناظر

رأيت الذي لا كفه أنت قادر * عليه ولا عن بعضه أنت صابر

فجعل الهميان والهمام عقوبة لهما على ما تسميا فيه وقد صرح بذلك بعض في البكاء فقال

لأعدن العين غير مفكر * فيها جرت بالدمع أو سالت دما

ولأهجرن من الرقاد لذيله * حتى يعود على الحقون محرما

سفتك دمي فلا سقم دموعها * وهي التي ابتدأت فكانت أطلما

وسلك بعضهم مسلكا آخر فقال

والله يا طرفي الخاني على يدي * لتطقتن بدمعي لوعة الحزن

هذا ولا يخفى لطف الطباقي في البيت بين الكفا وهمتا واستغنى وهم * ومن أعدبه قول
الفارسي رضي الله عنه

فهم هم صدوا دنوا ودوا جفوا * غدروا وفوا هجر وارثوا الضنائي

وفي البيت نوع من أنواع المذهب الكلامي وهو الخيام السائل بذلك السؤال حيث لا يجده منه
مخلصا الا الاقرار بالحب * ومن جيد هذا النوع ما يحكى ان أبادلف قصده شاعر تميمي فقال
له من أنت قال من تميم فقال أبو دلف

تميم بطرق اللوم أهدى من القطا * ولو سلكت طرق المسكارم ضلت

فقال التميمي نعم تلك الهداية جئت اليك فأخفمه

﴿أحسب الصب أن الحب منسكتم * ما بين منسجيم منه ومضطرم﴾

لما كان الغرض من البيت السابق الخيام المسئول ليردع عن انكاره بين له في هذا البيت
انه لا يتأقنى لذي صبابة مثله الانكار مع هميان الدمع وهيام القلب اذ لا يستتر ما أنكره
بين منسجيم من الدمع ومضطرم من القلب وفيه اشارة الى تقريره على ذلك الانكار
سبب صرح به في قوله فكيف تسكر حبا الخ والصب فعل بكسر العين من الصباية وهي رقة
الهوى كما في القاموس والمنسكتم المستتر والانسجام السيلان والاضطرام الاتهام * وأما
الحب فهو في اللغة صفاء المودة ومعناه صفاء الحال بين الحبيب وحبيبه وأما عند الحكماء فقال
بقراط هو امتزاج النفس بالنفس كالماء بمثله والنفس ألطف من الماء وأرق مسلكا فلذا
لا يزيله من الميالي دق عن الاوهام مسلكه وخفي عن الابصار موضعه وحارت العقول دون

كيفية تمكنه غير أن ابتداء حركته وعظم سلطانه من القلب ثم يعم الاعضاء فتبدور عدة
الاطراف وصفرة الالوان ولحجة الكلام وضعف الرأي وثقل اللسان حتى يقرب صاحبه
الى النقص اه فان اشتد ذلك كان عشقا غير أنه في الغالب مقرون بالشهوة * وفي معارج
النور للشيخ لطف الله المحبة فينا هجان طبيعي يحصل من استحسان أمر عيانا أو سماعا أو أشار
بالتالي الى ما صرح به أبو مدين في قوله

وكم من محب قد أحب وما رأى * وعشق الفتى بالسمع مرتبة أخرى

ولذا كانت مرتبة الراهبين في الدنيا المتشوقين الى الآخرة من أعلى المراتب كما قال الجنيد
وقال كثير من الطبيعيين العشق طمع يتولد في القلب وكما قوى ازداد صاحبه في التماسي
في السكر والهيام وضيق الصدر فاذا فسد الفكر أدى الى الجنون فرمى بقتل العاشق نفسه
أومات غما وخرنا أو تنفس الصعداء فتخفى روحه في تأمور قلبه وينضم القلب فلا يتفرج حتى
يموت * ثم الحب له أقسام أعلاها قد راحب الله ورسوله وعلامة فعل المأمورات واجتناب
المهنيات واتباع السنة كما هو مبين في كتب الأحاديث وهذا حب العامة من المؤمنين لحديث
لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وفي حديث آخر ثلاث من كن
فيه وجد خلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه
الله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار اه وحب الخاصة مشروح
في كتب القوم ومثاله ما قيل مواطأة القلب بمراتب الرب وقال بعض العارفين الحب أوله
يحبهم وآخره يحبونه وينهم ما هيج تذب وأرواح تطير الى المحبوب وأعلى من ذلك حب
خواص الخواص المشار اليه بقول بعضهم الحب فناء الحب في نقاء المحبوب ومعناه أن لا
يشاهد في الوجود سوى الذات العلية وهو مقام انقضاء عندهم قال الشيخ لطف الله في المعارج
هو مرتبة للنفس يتلشى لديها وجود سائر الكائنات فتختلف عنها آثار الخواص الظاهرة
والباطنة وتقول تارة والقائل هو الحق على لسان العبد * اذا ما زال الستلم ترغيره * وأخرى
وليس معي في الملك شيء ولم يكن * قلت لو اصابه هل كنت في يقظة وكامل شعور قال نعم ولكني
لم أحس من خواهر العالم واعراضه شيئا بل ونفسي التي بين جنبي * وقال آخر كنت في مراقبة
والليل مقمر فاذا ابتجلى محق نوره وخرله المحسوس من الجهات الست والكل يصرخ هو هو
قلت كيف ذلك فقهرس اه ومن ثم ترى واصلية يجرى على آسنتهم ما يقضى بسببه عليهم
بالمقتل كما في قضية الخلاج الشهيرة واذا وقعت على نائية ابن الفارض قدس سره رأيت من
ذلك العجب العجاب * القسم الثاني من أقسام الحب حب العبد لا لغرض واتقاع بل لله
وعلامته ان لا يزيد بالهوى ولا ينقص بالحقاء نعله الشهاب الخفاحي عن ابن معاد وهو مدوح شرعا
لحديث سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في طاعة الله تعالى
ورجل تعلق قلبه بالمساجد ورجلان تحاببا في الله اجتمع عليهما وافترقا عليهما ورجل دعته امرأة
ذات منصب وجمال فقال اني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله
ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه * القسم الثالث العشق مع التعفف وكف
النفس وهو مدوح أيضا الماروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال من عشق فغفب فكتم ففات فهو شهيد (القسم الرابع) المذموم شرعا وعقلا وهو
الحب مع اتباع الهوى الموجب للنقص والدناءة (واعلم) ان مراتب الحب كثيرة الاولى
الهوى والثانية العلاقة وهي الحب اللازم والثالثة الكاف وهو شدة الحب والرابعة العشق
والخامسة الأوة واللاعج وهو احراق الحب للقلب مع لذة يجدها المحب والسادسة الشغف
وهو ان يبلغ الحب شغف القلب أي جلدته والسابعة الجوى وهو الهوى الكامن والثامنة
التتميم وهو ان يستعبد الحب صاحبه ومنه تيم الله أي عبد الله والتاسعة التبل وهو فناء المحب
بالهوى والعاثرة التوله وهو ذهاب العقل والأخيرة الهيام وهو تمام الخيرة وانعدام العقل
والخواس فيلحق صاحبه بالجنانين وما أظف ما قال بعضهم حرفا للحب ختف وبلاء وقد أندر
الفارضي حيث يقول

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل * لها اختاره مضى به وله عقل
وعش خاليا فالحب راحتته عنا * فأوله سقم وآخره قتل
هذا ومما قيل في معنى بيت الناظم قول أحمد بن يحيى

الحب أغلب للفؤاد بقهره * من أن يرى للستر فيه نصيب
واذا بدا سر الحبيب فانه * لم يبد الا والفتى مغلوب
اني لا بغض عاشقا متسترا * لم تهتمه أعين وقلوب
(ومنه قول ليلى العامرية)

وأسرار الملاحظ أين تخفي * وما في القلب تظهره العيون
ومنه قول علي بن الجهم في رائيته المشهورة
بما بيننا من حرمه هل رأيتما * أرق من الشكوى وأقسى من الهجر
وأفزع من عين المحب لسهرة * ولا سيما ان أطلقت عبرة تجرى
وما أظف قول ابن سهل في هذا المعنى

نضعت وأمرنا الأمر المطاع * وذاع السر وانكشف القناع
وهل يخفي لذى وجد حديث * أتخفي النار يحملها اليقاع
وبما أشرنا اليه صدر التقرير يعلم أن لا التفات في البيت كما قيل بناء على أن المراد بالصب
خصوص المخاطب وبنوعا عليه الاتفات في خطاب البيت بعده

* لولا الهوى لم ترق دمه على طبل * ولا أرق لذكر البان والعلم
احتجاج على المخاطب المقروض انكاره بدليل انسجام الدمع الذي تقدم أنه فاضع أسر الهوى
وبالارق للذكر على طريقة البرهان الاقتراني كقوله
لولم تكن نسبة الجوزاء خدمته * لما رأيت عليها عقد منتطق

وحاصله الاستدلال باراقة الدمع وبالارق لذكر البان والعلم على كونه ذاهوى وهذا يعلم ان
ليس الغرض اخبار المخاطب بضمون البيت حتى يقال انه من باب قصد اللازم أو من تنزيل
العالم منزلة الجاهل كما قيل فانه خروج عن مقام الاستدلال والحاجة كالأخفى * والهوى أول
مراتب الحب كما تقدم يقال هوى بكسر العين هوى هوى وأما هوى بالفتح هو بافعاها سقط

قال شيخ الاسلام سمعت الامام محب الدين ابن الامام جمال الدين بن عبد الله بن هشام يقول اتقوا المكسور فانه يؤدى الى الفتوح والازاقة الصب والظلم الشاخص من آثار الديار وما لا شخص له من آثارها كالعاب الصبيان يقال له الرسم وأراد به التأطيم ما بقى من آثار الجسم الذى نهى عنه الضنى والاسف على طريقة الاستعارة التصريحية للشبهة البينة فيكون مشيرا الى غلظة السقم على جسمه توطئة لما يدكره في البيت بعده ومثله كثير في كلام الشعراء ومن أبلغ ما قيل فيه قول أبي الطيب

أبى الهوى أسفا يوم النوى بدنى * وفرق الهجر بين الجفن والوسن
روح ترد في مشى الخلال اذا * أطارت الريح عنه الثوب لم يبين
كفى بجسمي نخولا أنى رجل * لولا مخاطبتي بالكم لم ترفي

وهو مع ما فيه من المبالغه أعذب منه صفيح المصنف وأرق فان جسم المحب لما كان منزلا للمحبب معنى كان حكمه حكم المنازل الحسية فناسب أن يكون طلالا عند بلاه كما تكون المنازل الحسية وما أعذب ما عذره به بعض المحبين عن عدم الخول في قوله

وقائلة ما بال جسمك لا يرى * سقمها وأجسام المحبين تسقم
قلبت لها قلبي بجسمك لم يبع * لجسمي جسمي بالهوى ليس يعلم

هذا وحمل الشراح الظالم في البيت على طلل ديار الأحمه وصرف على المعنى التعليل وتقدير المضاف أى لا جعل ذكر ديار الأحمه خروج عن مذاق الكلام وما تقتضيه صياغة النظام مع ما فيه من المناقضة لما بنى عليه صدر كلام المصنف كالاتي عليك ان كنت ذات قبط * وأرق من باب فرح من الأرق وهو كما في القاموس السهر بالليل فما قيل ان في البيت إنجاز الخذف والتقدير أرقيت ليلتك فخذف المتعلق وقد لا يعلق أرقيت بمفعول وهو أولى ليعم السهر أو فاته ويقيد أنه لا ينام ليل ولا نهار فصول من الكلام وان وقع من شيخ الاسلام وعلى منواله قوله في دمعا وطلل حدف أيضا والتقدير دمعا من عيقك على طلل لأجبابك اه والبان شجر يسهو ويطول في الاستواء ليس يعود وصلابه والعلم مطلق جمل وقيل الطويل * ومعنى البيت انك لو لم تكن ذاهوى لما أرقيت دمعا على جسمك البالى * ولما مرققت بالأرق دياج اللبالي لكنتك أرقت وأرقت فانسأت عن وحدت مقدم وهوى متراكم وانما كان الأرق ناشئا عن الذكر لانه يوجب كما تقدم مضاعفة الحرارة فتغنى رطوبات الدماغ الناشئة عن صعود أبخرة العدة اليه * وذلك أن سبب النوم جود تلك الرطوبات بالدماغ والسبب فيه كثرة الطعام والشراب فتشتغل الحرارة بهنهما ويضعف ما يصل منها الى الدماغ فتجمد الرطوبات ويحصل النوم والسبات ومن أعذب ما قيل في الجمع بين الأرق والبكاء قول ابن الفارض

فشهدى حتى في جفوني تخلد * ونوحى بها ميت ودمعى له غسل
وخديث الأرق كثير في كلام الشعراء وتصرفوا فيه تصرفات كثيرة واشتكوا من طول

الليل ووقوف النجوم كالهوشهير * ومن أعذب ما قيل في ذلك قول بعضهم
لمسأت النجوم كالهوشهير * والقطب قد أتى عليه سباتا
وبنات نعتش في الحداسواهر * أيقنت أن صباحهم قد ماتا

وفي معناه قول ابن الفارض

ونوحى مفقود وصحى لك القما * وسهدى موجود وسقمتى نوحى
وما أ لطف قول بعضهم مظهر التخلد مخا طبا باليل

باليل طل أو لا تطل * لا بدنى أن أسهرك * لوبات عندى قرى * مايت أرى قمرك *

هذا وقد سلك الناظم بالبيت طريقه عربية بدوية فحسن له عطف العلم على البان لاجتماعهما في خيال سكان الخيام وان لم يكونا كذلك عند أرباب الحاضرة * ومن المعجز في ذلك قوله عز اسمه أفلا ينظرون الى الأبل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت * قال امام صناعة الأدب أبو يعقوب يوسف السكاكي في مفتاح العلوم اذا علم أن الكلام في الآيه مسوق لأهل الوير ظهرت حلاوة التنزيل وذلك أن الصور الاربع متقارنه في خيالهم وذلك أن مطعمهم ومشرهم وما يشربهم من المواشى فكانت عنايتهم مصروفة لا محالة الى أكثرها نفعا وهى الأبل ثم اذا كان انتفاعهم بها لا يتصل الا بأن ترعى وتشرب كان جل منعى غرضهم نزول المطر وأهم مسارح النظر عندهم السماء ثم اذا كانوا مضطرين الى مأوى يأويهم والى حصن يتحصنون به ولا مأوى ولا حصن الا الجبال لتاجل يحتله من تجره * منيع برذ الطرف وهو كليل لما ظنك بانبعاث خاطرهم اليها ثم اذا عذر طول مكثهم في منزل ومن لا يحجاب مواش بذلك كان عقدهم عندهم بالثقل من أرض الى أرض من عزم الامور

ولا أعارت لك لوفى عبرة وضى * ذكرى الخيام وذكرى ساكني الخيم *

أعارتك أعطيتك على وجه العارية وهو واوى العين ومن ثم وهما الجوهرى اذا قال ان العارية منسوبة الى العار لان طلبها عار وعيب اه فان العار يائى العين كما في القاموس وانما وجه التسمية هو أن العارية متداولة بين المعبر والمعار وتمدول التعاور ولوفى تشبيه لون وهو إحدى الكيفيات المحسوسة * قال الامام الرازى اللون بأنواعه متصور تصور أوليا فلا يعرف بتحدول الرسم واختلف في أصل الألوان فقبيل البياض والسواد وقبيل والصفرة والحمره والخضرة والبقية تحصل بالتركيب منها وعليه في البيت من الاصول لان لون العبرة الحمره من حيث المزج بالدم كما تقدم ولون الضنى الصفرة والعبرة سيلان الدم وتطلق على الدمعة السائلة أخذ من العبور بمعنى المجاوزة لمجاوزة الدمع العين الى الحد والضحى المرض والصفرة ناشئة عنه وبهذا تعلم أن الاضافة ليست على نسق واحد والخيام جمع خيمة وهى بيت تبنيه العرب من العيدان ويجمع على خيمات وخيم * وعن أبي منصور أن الخيمة خبساء من صوف ونقل شيخ الاسلام عن بعض مشايخه أن خيام العرب محل اقامتهم ومنه خيم بالمكان اذا أقام به اه ومعنى البيت لولا الهوى لم تعرك ذكر الخيام وساكنيها حمره الدمع وصفرة الضنى ومن البين أنه لا حقيقة للاعارة في المقام فاما أن يقال شبه اثاره الذكري لمزج الدمع بالدم وللضنى وصفرة تدب بالاعارة بجماع أن كلاب يوجب حصول الشيء لأعلى وجه الاستقرار فتسكون في الفعل تبعية أو يقال شبه الهيئة المنتزعة من اثاره الذكري لهما بالهيئة المنتزعة من اعارة المعبر للشيء واستعمل اللفظ الموضوع للثاني في الأول على طريقة التمثيل والغرض

من الاستعارة التقيية على عدم أصالة اللونين فيه فيتمهما الاستدلال وعلى شدة تأثير الذكرى فيها حتى كأنهما من أملاكها وعلى أن حمرة الدمع وصفرة الضني مما يترين بهما المحب كما هو الشأن في المستعار وفي رواية عن المصنف ثوبى عبرة الخ وعليها فالإضافة مضافة مشبهة إلى مشبهة به كما مع الاستعمال * ومنه كثير في الشعر قال ابن سهل
وفى ثوب السقم أجد رلايس * وموسى لثوب الحسن ألمح مردي
وقال أيضا وجدت ثوب الثبر فوق مورس * وضن يذوب الدر فوق مورس
وقال القاضي الأرتجاني

غاطتني من كست جسمي ضني * كسوة أعرت من اللحم العظاما
ثم قالت أنت عندى فى الهوى * مثل عيني صدقت لكن سقاما
وما أ لطف قول ابن العفيف

* سهر الحفون يلد للشتاق * والسقم خير ملابس العشاق
فاختر سهاد لى الكرى عوض الكرى * واختر فناء لى الجمال الباق
وبما قرناه يعلم أن ليس فى اسناد الاغارة مجاز عقلى ولا فى لوفى عبرة وضنى مكنية كما ظنه شيخ الاسلام هذا وفى الجمع بين ذكرى الخيام وذكرى الساكنتين وعادة المضاف مع الثاني ايماء الى أن لذات ديار الاحبة نصيبا من الحب لانها مطالع شموس المودة * قال المناوى فى شرح الجامع الصغير علامة صدق المحبة أن يجب كل ما ينسب الى المحبوب اه وقد خرج المصنف بذلك عن طريق من يقول أمر على الديار ديار ليلي * أقبل ذال الجدار وذال الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبى * ولكن حب من سكن الديارا
وتقدم مذهب أبي فراس اذ يقول

على بر دبع العامرية وقفه * ميل عليه الشوق والدمع كاتب
ومن مذهبي حب الديار وأهلها * وللناس فيما يعشقون مذاهب
وهو مترج من قول الختري

فسقى الغضى والساكنتيه وانهم * شبهوه بين جواخي وضلوعى
* فكيف تمكرحبا بعد ما شهدت * به علمك عدول الدمع والسقم *
كيف استفهام تعجبى والا نكار ضد الاعتراف ويستعمل ثلاثيا كقول الأعشى
وأنت كرتى وما كان الذى نكرت * من الحوادث الا الشيب والصلعا

وشهدت بمعنى أخبرت من شهد عند القاضي اذا أخبر بما يعتقد فى حق المشهود له وعليه وعدول جمع عدل وأصله المصدرى ضد الحور وقد كثر استعماله فى الشاهد المرضي المقنع فى الشهادة اما ملاحظة مضاف أى ذو عدل أو مبالغة فى الاتصاف حتى جعل عين الوصف كما قيل فى قوله * فانما هى اقبال وادبار * وعليهما يلتزم افراده كما هو شأن المصادر واما باعتبار التأويل باسم الفاعل فيصح فيه التثنية والجمع والافراد وعلى ذلك قوله -م عدل وعدول كما فى شيخ الاسلام والسقم المرض وهو فى البيت بفتحين ويضم أوله ويسكن ثابته قال صاحب العدة وكثيرا ما تعاقب الصيغتان كالخيل والخل والعرب والعرب والعجم والعجم وكلمة

مامصدرية صلتهما الفعل بعدها كما قاله ابن القصار وقول شيخ الاسلام انه بعيد لذكر العباد فى صلتهما فهى اسمية موصولة أو موصوفة غفلة بينة فان ضميره يرجع الى الحب المشهود به المتقدم كهبوبين * وفى قوله شهدت استعارة بجمعية تشبيها للدلالة البينسة بالشهادة واطرافه العدول الى الدمع والسقم على طريق قوله

والريح تعبت بالغصون وقد جرى * ذهب الاصيل على لجين الماء
وفيه ترشيح للاستعارة * والمعنى كيف يتأتى لك انكار الحب وقد قام باعبا نه شاهدان لا ترد شهادتهما فى شرعة الهوى هما الدمع والسقم ومما قيل فى معناه قوله

وعندى شهود للصبابة والأسى * يزكون دعوائى اذا جئت أدعى
سقامى وتسهيدى وشوقى وأنتى * ووجدى وأنجاني وخرنى وأدمع
وفى الجمع بين الانكار والشهادة والعدول مراعاة النظير ومن جيدها قوله

أصح وأقوى ما معناه فى الندى * من الخبر المأثور منذ قدم
أحاديث ترويه السيول عن الحيا * عن البحر عن كف الأمير تميم
وقد ذكرنى معنى البتة ما انتزعه منهما بعض أهل فاس على عهد السلطان مولاى محمد وذلك أنه اجتمع فى مجلس السلطان فأندس بعض الحاضرين قول الشاعر

سألت الندى هل أنت حر فقال لا * ولكننى عبد لحيى بن خالد
* فقلت شراء قال لا بل وراثه * توارثنى عن والدي بعد ولد
فقال السلطان ان ذلك لغاية فى باب فقال ذلك البعض لو شئت لقلت أحسن منه وأندس ولما رأيت الجود فى الجرفاشيا * ومن جوده الدر التنظيم المنضد
فقلت ومن فى الناس علمك الندى * فقال أمير المؤمنين محمد

فتعجب السلطان والحاضر ون لا يرتجاله وجوده مقال وأعطاه السلطان جائزة عظيمة * ومن جيد مراعاة النظير قول ابن الفارض رحمه الله

بانكسارى بدلتى بخضوعى * بانقارى بفاقتى بعناكا
ومنها على طريق الشاهد الاقول قول أحد الخطابي

روت لى أحاديث الغرام صبابتى * بأسنادها عن بانه العلم الفرد
عن الدمع عن طرفى القريح عن الجوى * عن الشوق عن قلبى الجريح عن الوجد
* وأثبت الوجد خطى عبرة وضنى * مثل البهار على خديك والعنم *
الوجد الحزن وخطى تشبيهه خط وهو معروف والبهار ورد أصفر * وفى مفردات الفاسى نقلا

عن الصقلى أنه العرجس البستاني والعنم شجرة بحجازية لها ثمرة حمراء تشبه البستان الخضوب كذا فى القاموس والمراد بالخطين الاثر الناشئ عن كل من العبرة والضنى فأثر الاول جراحات الخلد بكثره جريان الدمع عليه وأثر الثاني صفرة * ومعنى البيت أن الحزن أثبت ذنبك الخطين على الخلد تشبيها لشهادة الدمع والسقم كما يفعل الحاكم بوثائق الشهادة دلالة على قبولها وثبوت الحق بها وقد أجاد فى ذلك كل الاجادة وناسب بين البيتين غاية المناسبة (هذا) ومن أعذب ما قيل فى الخط على الخط قول ابن سهل

رشاً حيم يحسن منظره الرشا * يروي ويرعى في المدامع والحشا
 قلم الجمال بعين خده قدوشى * احكم على أهل الغرام بما تشا
 * وقد الملاح وأنت فيهم والى *

نعم سرى طيف من أهوى فأرقتني * والحب يعترض اللذات بالألم *

جواب من المسؤل بالقرار والاعتراف بالهوى بعد انكشاف حاله بالأدلة المتقدمة ورجع
 في الجواب الى التسليم لبيان كونه المسؤل هو المتكلم في المعنى ولأنه لا يتأتى الاقرار مع
 الخطأ وليس الكلام من الاستئناف البينى جواباً لسؤال تصديقه ما قال لك المسؤل
 والتقدير قال نعم كازعم شيخ الاسلام فان المقام لانشاء السؤال والجواب لا الحكايتيها كما
 لا يخفى وكلمة نعم حرف أفاد التصديق فيما ادعاه السائل من كون المسؤل ذاهوى وهو محصول
 كلامه السابق وعليه بقوله سرى استئناف بين به سبب أرقه وما يتبعه من البكاء والاضنى
 حتى انكشفت حاله وقد يجعل تصديقاً لدعوى أنه أرق فيكون نصراً بما دلت عليه كلمة
 نعم لزيادة الايضاح ودفعاً لتوهم كون الجواب منوطاً بالاستفهام على حد قول ابن الفارض
 يقولون لى صفها فأنت بوصفها * خبيراً جل عندي بأوصافها علم

فان المناسب أن تكون كلمة أحل تصديقاً للخبر وصرح به بعدها دفعاً لتوهم كونها عدة
 للأمر ولذا اختارها على نعم لغلبتها في التصديق حتى قال الزنجشوى وابن مالك وغيرهما انها
 لا تكون الاله وقد يخرج على التوزيع فتكون عدة وقوله عندي الخ تصديق الأأن المقام
 لا يناسب الوعد كما هو بين والاظهر أن تكون نعم في النظم مجرّ دالتاً كيد نفسه شيخ الاسلام
 عن بعض وأكثر ما يكون ذلك اذا اقتضت الكلام فقصود المحب شرح حاله على سبيل
 الاجمال بقوله سرى وبه يحصل جواب ضمنى مقنع للسائل فيما أراد به سرى وأسرى بمعنى
 سار ليلاً فحدثه خاص بالليل الا أنه مطلق فيه كما هو شأن الحدث الفعلي فاذا قصد الاخبار
 بذلك المطلق استغنى بالفعل واذا أريد التقييد بالعدة أو الوصف احتج الى التصريح بالليل
 محلي بما يفيد المراد وعلى ذلك جاء قوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً الآية فان المراد
 به ان الوحدة من الليل المدلولة للتموين وأما توجيه صاحب الكشاف والقاضى بأنه صرح به
 للدلالة بالتموين على البعضية أى فى بعض من الليل فغير تام اذ لا يدل تكثير الاسم على ارادة
 بعض منه كالأخفى والطيف الخيال فى النوم ويعترض بمعنى يتقص من قولهم اعترض
 فلان عرضى اذا وقع فيه وأنقصه كفى الاساس أو بمعنى يمنع من الاعتراض بمعنى المنع كفى
 القاموس * والسنة والألم من الكيفيات الوجدانية وفى الاشارات للشيخ نعر يفهما
 فاللذة ادراك ونيل لوصول ما هو كمال وخير عند المدرك من حيث انه كمال وخير والألم ادراك
 ونيل لوصول ما هو آفة وشراً عند المدرك من حيث انه آفة وشراً اه وجمع بين الادراك
 والنيل لان مجرّ الادراك الذى هو حصول مثالى لا يوجب لذة ولا ألماً ونيله من غير ادراك
 وصوله لا يحصل به شئ منهما * ومعنى البيت أنه سرى طيف من هو يته فاقظنى فرحابه قمين
 أنه أمر خيالى ونار الحزن والتفكير وحصل الارق وكد إعادة الحب يتقص اللذة بالألم
 ويمنعها وقد منع لذة الوصال الخيالى واستبدلها بالارق والحزن وقد أتى بقوله والحب الخ

جاريا مجرى المثل متضمنا لكون الحب ذلك ديدنه فيتسلى به المحب بعض تسل * قال ابن حجة
 ضرب المثل نوع لطيف من البدع منه قول النابغة
 ولست بمسئق أخالاته * على شعث أى الرجال المهذب

ومنه قول بشار فى معناه

اذا أنت لم تشرب مراراً على القذى * نظممت وأى الناس تصفو ومشاربه
 وأكثر الشعراء ضرباً للمثل أبو الطيب فن جيد أمثاله قوله
 والهجر أقتل لي مما أراقبه * أنا الغريبى فما خوفى من البلبل
 ومن أمثاله الحكيمه قوله

اذا غامرت فى شرف مروم * فلا تنفع بمادون النجوم

فطم الموت فى أمر حقير * كطم الموت فى أمر عظيم

هذا وحديث الطيف شهير فى كلام الشعراء من ذلك فى معنى كلام الناظم قول بشار

لم يطل ليلتي ولكن لم أتم * وفى عنى السكرى طيف ألم

ومن أعذب ما قيل فيه قول بعضهم

عابت طيف الذى أهوى وقلت له * كيف اهتديت وضح الليل مسدول

فقال آنت ناراً من جوائحك * يضىء منها لى السارين فسدول

فقلت نار الجوى معنى وليس لها * نور يضىء فاذا القول مقبول

فقال نسبنا فى الأمر واحدة * أنا الخيال ونار الشوق تخييل

ولما قطع المسؤل الحاج السائل باقراره وأظهر ما كان يكتم من أسراره وكشف عن وجهه

حبه القناع وأقر الخضم وارفع النزاع

أشاعوا أنى عبد لموسى * نعم صدقوا على بما أشاعوا

وقد سكت الوشاة اليوم عنى * أقر الخضم فارفع النزاع

وكان احتجاجه فى السؤال يفتى عن كونه لا ثمناً خاطبه بذلك العنوان على الطريقة السابقة

من التجرد فقال

بى الأئمة فى الهوى العذرى معذرة * منى اليك ولو أنصفت لم تسل *

اللائم العاذل وبمعناها الاحى والعذرى نسبة الى بنى عذرة قبيلة من العرب تنسب الى

عذرة بن سعد بن هذيم بن زيد بن كعب بن سويد بن أسلم بن الحر بن قضاة وكان لهذه القبيلة

فى الحب شأن عظيم وشهرة طبقت الآفاق وتمالك خارج عن المعتاد فى أوان الصبا وزعم

الشبية أفضى بهم الى سكنى القبور واختصوا بهذا الامر وصار شعار الهيم حتى قال

بعض شعرائهم

اذا خلص العذرى من ميمة الهوى * فذاك ورب العاشقين دخيل

ومن هذا القبيل جميل صاحب شينة ومن قوله فيما يناسب بيت الناظم ما رواه الاصمعي

لا خير فى الحب وقفا لا تحركه * عوارض اليأس أو يراحه الطمع

لو كان لى صبرها أو عندها جربى * ليكن أم لك ما أتى وما أذع

اذا دعا باسمها داع لبحر زنى * كادت له شعبة من دهجتي تقع
 لاجل اللوم فيها والغرام بها * ما حمل الله نفسا فوق ما تسع
 وعروة بن خزام صاحب عفرأ وخبرهما مشهور في الدواوين * ومعذرة مصدر ممي منصوب
 بما تدبره أعذر ك معذرة والانصاف العدل * ومعنى البيت أي الامم في الهوى الذي
 لا يمكن زواله وانفصاله اني أعذر ك عذر اني اليك بجهلك حقيقة الهوى وعدم مكيدتك
 الشوق والجوى ومع ذلك لو ارتكبت طريقة الانصاف والعدل لم تلم فان من غلب عليه
 الشوق والهيام وصارت حاله بين انسجام واضطراب لا يخاطب باللام كما قال أبو مدين رضى
 الله عنه فلا تم السكران في حال سكره * فقد رفع التكليف في سكرنا عنا
 وفي وصف الهوى بكونه عذر بالسكنى به عن عدم زواله كما بينا ايماء الى وجه عدم
 الانصاف في اللوم لانه اذا علم ان الحب لا يزول فلا معنى للوم فيه كما قال قيس بن الملوح مجنون
 العامرية يلومون قيسا بعد ما شفه الهوى * فتى دنقا أسمى من الصبر خاليا
 وفي معنى قوله معذرة مني اليك على ما بيناه قول ابن الفارض
 قل للعدول أطلت لومي طامعا * أن الملام عن الهوى مستوفى
 دع عنك تعني وذوق طعم الهوى * فاذا عشقت فبعد ذلك عفت
 وفي قوله لو انصفت الح إشارة الى أن لومه فضول من حيث اشتغاله ببلية غيره وما لا يعود عليه
 منه ضرر فان ضرر الحب على نفسه كما قال بعض المشايخ التوضيحية مضمنا
 قالوا بكاؤك ضرا فاجبتهم * الذم دعوى والعيون عيون
 وما أطف ما احتج به ابن الفارض في قوله
 وقال اسأل عنها الأعمى وهو مغرم * بلومي فيها قلت فاسل ملائ
 وقد أخذه أبو عبد الله الورع فقال
 ان أبت نفسك من نعجي لها * فأنا ذا عاذل في العذل
 واذلم تذق المعنى فلا * تمفرد بالقول فيه وسيل
 هذا واللوم من لوازم الحب غا لبوا سببه في الغالب دخل في قلب الامم امان من جهة الحب واما
 من جهة المحبوب كما قال أبو الطيب
 عواذل ذات الخال في حواسد * وان ضجيع الخلود مني لما جد
 وقد يكون مجرد الرأفة بالحب الا أنه ملحق بالاول في الكراهة عنده لما فيه من معارضة
 الصباية ومضا عفتها كما قال علي بن العباس الرومي
 لا تسكرت ملامسة العشاق * فكفاهم بالوجد والاشواق
 ان البلاء يطاق غير مضاعف * فاذا تضاعف كان غير طاق
 لا تطفئ جوى بلوم انه * كالريح تغري النار بالاحراق
 وقد يستعذب لما يتعمنه من ذكر الحبيب فترتاح اليه نفس المحب وعليه جاء قول ابن الفارض
 رحمه الله أدرى كرم من أهوى ولو ملائ * فان أحاديث الحبيب مدائ
 ليشهد قلبي من أحب وان نأى * بطيف ملام لا بطيف منام

ومنه قول بعضهم
 أحذ الملامة في هو اللذينة * حبال ذكرك فليمني اللوم
 وعليه قول أمين الدين
 أصغى الى قول العذول بجملي * مستفهما منه بغير ملام
 لتلقطى زهرات ورد حد يشكم * من بين شوك ملامة العذال
 والله در التبري اذ يقول
 راحتي في مقالة العذال * وشقائي سؤالهم عن حالي
 لا يطيب الهوى ولا يحسن الحب خلق الا بخص خصال
 بسماح الأذى وعذل نصيح * وعتاب وهجرة وتغاك
 وهو مأخوذ من قول العباس بن الاحنف مع زيادة
 وأحسن أيام الهوى يومك الذي * ترؤع بالهجران فيه وبالعتب
 اذ لم يكن في الحب سخط ولا رضا * فأين حلاوات الرسائل والكتب
 * عدت حالي لا سرى بمسستر * عن الوشاة ولادائي بخمس *
 عدت كجاوزتك وهو كناية عن عدم الاصابة والحال ما عليه الانسان من خير وشر والسر ما يكتف
 كالسريرة وجمع الاول أسرار والثاني سرائر ومستمتر مغطى من سترت الشيء غطيته والوشاة
 جمع واش وهو النمام الذي يتقل الحديث للافساد بين الناس سمي بذلك لانه يشي كلامه أي
 يزينه ليقبل منه وأصل الداء المرض وقد كثرت استعماله في البلية مطلقا والحمل عليه هنا أولى
 والمنحسم المنقطع من الحسم بمعنى القطع ومنه الحسام للسيف القاطع * ومعنى البيت ان حالي
 بينة لمن الشأن المما لعة في الاخفاء عنه وهو الواشي فانه لا ستر اقه السمع ليدخل به بين الحب
 وحيثه يكون أهم غرض المحب التحفظ من اطلاقه على ظاهر حاله فاذا بلغ في الامر الى
 ان اطلع الوشاة على خفيات أسرارى فقد اتسع الخرق على الراقع ولم يبق لسلطان صبايتي مدافع
 وتبين أن هو أي لا ينحسم داؤه ولا ينجح لطبيبه داؤه كما هو شأن الهوى العذرى فلم يكن لومي
 حينئذ من الانصاف وهذا تبين أن الغرض من قوله لا سرى الخ بيان الشرطية في البيت قبله
 وأما قوله عدت حالي فهو دعاء للائمة قدمه على الاخبار توطئة له واستقناحا للسلام على ماهي
 طريقة الملائكة في الخطاب كقولهم أصحلتك الله انه كان من الامر كذا * ومن المعجز في تلك
 الطريقة قوله عز اسمع عفا الله عنك لم أذنت لهم فالمراد بقوله عفا الله عنك التلطف
 في الخطاب تطمينا لنفسه عليه الصلاة والسلام قبل قوله لم أذنت لهم المقصود منه نهاية
 ذمهم وانهم ليسوا أهلا للرافة والرحمة والبناء على طواهرهم كما يقول الحبيب لحبيبه وقد فعل
 الخبر مع من ليس له أهلا محسنا به الظن يهديك الله لم فعلت ما فعلت بفلان وليس أهلا له
 ومن كان ذا فطرة سليمة علم أن مثل ذلك شهادة للمخاطب بالرافة وحسن الظن وعلى المظنون
 به بسوء الصنيع وشناعة الحال ومن لم تصل به الهداية الى مثل هذا اقال في الآية ما قال
 وتشدق بعبارات توجب له النكال أعوذ بالله من الزبغ والضلال وفي ذلك الدعاء ايماء
 الى أنه على شفا جرف من الوقوع لان الغالب أن من غير بشئ وقع فيه كما قال أبو الطيب
 وعدت أهل الحب حتى ذقتهم * فحبت كيف يموت من لا يعشق
 فعذرتهم وعرفت ذنبي أنني * غيرتهم فلبيت منه ما لقوا
 (ومن ذلك) قول محمد الفراء الضرير الكحوى
 قيل لي قد تبدا * فاسل عنه كاسلا

لأن سمع وانظر * وفؤاد فقلت لا * قبل غال وصاله * قلت لما غلحلا
أيها العاذل الذي * بعداني توكلنا * عدصحا مسلما * لاتعير قمتبلى
وما ألفت ما قلت عليه بنت المهدي

بعاذلي قد كنت قبلك عاذلا * حتى ابتليت فصرت صبا ذاهلا
أحب أول ما يكون لجاجة * فإذا تمكنت صار شغلا شاعلا

ثم إن الدعاء يحتمل الخبر بناء على مقتضى لومه من الكراهة للحب ويحتمل الشر بناء على ما يراه المحب من التلذذ بانتهوى فهو على حد قوله خاط لي عمرو قبلاء * ليت عينيه سواء وأعلم أن قوله لا سرتي مسترماً خوذ من قولهم في المثل ما يوم حليلة بسر يضرب للامر الظاهر وهي حليلة بنت الحر بن أبي شمر كان أبوها وجه حبشا إلى المنذر بن ماء السماء فأخرجت لهم طيباً في مراكب وطيبتهم به فقتل اليوم اليها * قال المبرد هو أشهر أيام العرب يقال ارتفع في هذا اليوم من العجاج ما ستر عين الشمس حتى ظهرت الكواكب واليه يشير النابغة في قوله يصف سيوفا تخبر من أزمان عهد حليلة * إلى اليوم قد جرن كل التجارب

مخضتي النصح لكن لست أسمع * إن المحب عن العذال في صمم *

محض الشئ وأحضه وأخلصه ومنه المحض اللبن الخالص الذي لا ماء فيه والنصح كالنصيحة ضد الغش مصدر نصح وتعدت به باللام أفصح وأست أسمع كانه عن عدم القبول والهم سد في الاذن ومنه صمام لما تسد به يقال صممتها بمعنى سدتها وأصممتها جعلت لها صماما قال الخليل وسى رجب بالاصم لانه لا يسمع فيه صوت مستغيث ولا حركة قتال ولا قفعة سلاح لانه من الاشهر الحرم والمعنى أخلصت لي نصحك أيها العاذل ولكني لا أسمع لاني محب وكل محب في صمم عن العذال لقد أسمعتم لونا ديت حيا * ولكن لا حياة لمن تنادى ولا يخفى ان جعل عذله نصحاً غير حقيقي كما يشير اليه في البيت بعده وفي البيت زيادة بيان لعدم انصافه وذلك أن النصح لا يكون عذلاً الا اذا كان مظنة للقبول والا كان هذراً من الكلام فان قلت عدم سماعه تبين بعد العذال فلا يكون من عدم الانصاف قلت جوابه قوله ان المحب الخ المسوق جواباً لسؤال مقدر عن السبب الخاص لانه لما نفي عن نفسه السماع كان مظنة لان يقال هل المحب أصم عن سماع العذال فقال ان المحب الخ على حد قول بشار بكر اصاحبي قبل المحب * ان ذلك النجاح في التكبر

والمعنى أنا محب وكل محب شأنه ذلك وأنى بالقضية العامة جنوا والى تقوية الحكم وكونه ضابطة كاية وبه يعلم ان الاتفاقات فيه كإرعموا وقد تلطف في قوله ان المحب الخ حيث جعل الصمم كالخصن يحمله المحب للسلامة من العذال وقد تقدم توجيهه تخصن المحب عن العذال والله درأبي الطيب اذ يقول القلب أعلم يا عذول بدائه * وأحق منك بحفنه وجمائه فومن أحب لأعصينك في الهوى * قسمابه وبجسسه وبهائه

أحبه وأحب فيه ملامة * ان الملامة فيه من أعدائه

إني اتهمت نصح الشيب في عذلي * والشيب أبعدي فنصح عن التهم *

انتقل من حديث التشبيب الى ذكر شئ من المواظ مقبصر اعلى أصلها وهو قهر النفس

الامارة على أكل أوجه الانتقال حيث كان بأسرع ما يكون مرتبطاً لا حقه بسابقه أتم الارتباط مشيراً فيه الى اتهامه العاذل بالطريق الأولى * والانتهاج الارتياح وأصله من الوهم ونصح الشيب بمعنى ناصح هو الشيب وهو يبيض الشعر والشيب الدخول في حد الشيب قال الاصمعي والعذال بالبحر يكثر اسم من العذال باسكان المذال * ومن التهم يتعلق بأبعد من حيث أصل المادة والمعنى اني استر بت الشيب في نصحته والحال أنه بعيد من الانتهاج فكيف حال من هو أهمل للانتهاج من العذال فان لهم أعراضاً يثبتونهم على العذال ومعنى انتهاجه يتوقف على بيان نصحته فنقول انه اذا حل المشيب أمر لسان حاله بالاقلاع عن الملاهي واتباع أحوال الشيبية ومقتضى حرارة الفتوة لبعدها التناسب وعدم الملامة كما قال السكيت

طربت وما شوقا الى البيض أطرب * ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب
وقال أبو دواف نظرت الى بطرف من لم يعدل * لما تمكنت حها من مقتلي

لما رأته وضع المشيب بلتي * صدت صدود حجاب محتمل

فجعلت أطلب وصلها بتلطف * والشيب يغمرها بان لا تتعلمي

وعليه قول بعضهم ولي الشباب وكنت تسكن ظله * فانظر لنفسك أي ظل تسكن

وهي المشيب عن الصبا لونه * يدلي بحجته الى من يلحق

ولذلك ورد في الحديث الشريف خير شبا بكم من تشبه بكم وشركم وشركم من تشبه بشبا بكم وآذن بضعف القوى وقرب المنية والارتحال الموجب لاستغلال النفس البقظي وبالتزود من التقوى والاعمال الصالحة والتندم على القاتت وان شئت يقينا في ذلك فانظر ما يحكيه علت كفته عن زكرياء عليه السلام ربي اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً وما ألفت قول يحيى بن خالد البرمكي

الشيب احدي الموتين تقدمت * اولاهما وتأخرت آخراهما

واتهامه مغالطة وادعاء أنه حصل قبل ابائه لعله يدنمه أو توالي كدورات كما قال تميم بن خزيمة

قالت تغيرت قلت الدهر غيرني * والههم شيبني ما شبت من كبر

وقد أكثر الشعراء من مغالطته وارتكاب مطايا التوجيه الشعري قال الكاتب الجماني

وقالوا أفق عن سكرة الهوى والصبا * فقد لاح شيب في دجال عجب

فقلت أخدلائي دعوني ولذني * فان الكرى عند الصباح يطيب

وقال غيره في معناه وقائلة تخل الهوى لرجاله * فان الهوى بعد المشيب حنون

فقلت لها ان الهوى فيه راحة * أذا الكرى عند الصباح يكون

وما ألفت قول بعضهم نظرت الى رأسي فقالت ماله * قد ضم فؤديه قناع أدكن

باهذه لولا النجوم وحسنا * لم تألف الليل الهيم الأعين

فتضا حكت عجا وقالت بافتي * نقصان عقلك في قيامك بين

الليل يحسن بالنجوم وإنما * ليل الشباب بلا نجوم أحسن

(واعلم) أن الشيب نور للو من يوم القيامة لحديث من شاب شيبته في الاسلام كانت له نور يوم

القيامة * وعن أذس رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى

وعزى وجلالى وفاقه خلقى الى انى لا استحي من عبدى وأتى بشيخان فى الاسلام أن أعذبهما ثم بكى صلى الله عليه وسلم فقيل له ما يبكيك يا رسول الله فقال أبكى من يستحي الله منه وهو لا يستحي من الله * وعن على رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان من حق اجلال الله اكرام ثلاث ذوات الشبهة المؤمن وذو السلطان المقسط وحامل القرآن غير الجاني فيه ولا القالى

فان امارتى بالسوء ما تعظت * من جملها بنذير الشيب والهزم *

الفاء لتفصيل السابق والحل على التعليل بآية جزالة المعنى والأمانة فعالة من الامر والمراد بها النفس من حيث ميلها للشهوات واتباع الهوى وأصله ان النفس التى هى حقيقة المشار اليه بقولك أنا الظنفة رابسة روحانية لها تعلق بالقلب وهى المسماة بالروح الروحاني على رأى تنقسم باعتبار أحوالها الى أقسام ثلاثة أعلاها المظلمة المحاطبة فى قوله عز اسمه يا أيها النفس المظلمة ار جعي الى ربك راضية مرضية * وحالتها أن تسكن تحت الامر وتثبت لها العصمة من المعاصي بسبب سببية السعادة من الله تعالى وتليها الأمانة المقسم بها فى قوله حل ثناؤه لا أقسم يوم القيامة ولا أقسم بالنفس الأمانة وحالتها أن لا يتم لها السكن وأن تكون ماضية للشهوات راجعة على نفسها بالملام اذا وقعت فى مخالفة بسابق القضاء وأدى الاقسام الأمانة وحالتها أن تدع عن لامر الشهوات ولا تميل الى طريق رشاد ويصكون غالب أمرها الانبعاث الى السوء وهو اسم جامع لجميع القبائح * والاتعاظ مطاوعة الوعظ وهو النصيحة وكبر العواقب وقد قيل السعيد من وعظ بغيره والشقي من اتعظ بغيره والجهل ضد العلم وقد يطلق على المعاصي كما هنا لكونها تنشأ عنه قال الفخرى تفسير قوله تعالى انما التوبة على الله الذين يعملون السوء بجهالة الآية ان المعصية لا تصدر من العالم لان الداعى لفعالها اقضى ترجيحها فان كان المكلف حينئذ عالما بانها معصية وان تركها أرحم من فعلها وتعمد فعلها فهو جاهل لتقديم المرجوح على الراجح فلا بد أن يكون ذلك بداع اقضى عنده ترجيح المرجوح وترجح المرجوح جهل اه وفى تفسير الأبي عن شيخه الامام ابن عرفه رضى الله عنه انه بحث فيه بانه يلزم عليه اجتماع النقيضين لان علمه اقضى ان الترتب راجح والداعى اقضى ان الفعل راجح فيجتمع النقيضان اه ولا يخفى ان اختلاف الجهة يدفع التناقض وان الجهل بتقديم مقتضى الداعى على مقتضى العلم وفى تفسير القاضى أن ارتكاب المعصية سفه وتجاهل ولذا قيل من عصى الله فهو جاهل حتى يفرغ من جهالته اه والحار متعلق بانعظت على تضمين معنى التنبه والتميقظ وبنذير يتعلق به وبأوه للسببية والاستعانة وهو من الانذار بمعنى التخويف والهزم بالتحريك كبر السن * والمعنى ان نفسى الامارة لم تنقبه من جهلها وغفلتها وانها كما هى فى اتباع الشهوات بالشيب وكبر السن وهما نذيران يخوفان من حيث ايدانها بقرب الموت المقوت للتوبة والاعمال الصالحة وبفوات الرفق من الحفظة والدخول تحت ربة ضبط الامر وتحقيقه * فى ربيع الاررار عن عبادة بن الصامت مرفوعا يؤمر الحافظان أن ارفقا بعبدى فى حداثة سنه فاذا بلغ الاربعين قال احفظا وحقا اه وقد قرر كلام الناظم على وجه من التعسف بكان فراجع شيخ الاسلام

ان شئت الاطلاع عليه * هذا والهزم هو أرذل العمر المعروف حاله من قوله عز اسمه ومن فجره نكسه فى الخلق ولذا كان من دعائه عليه الصلاة والسلام اللهم انى أعوذ بك من أن أرذل الى أرذل العجز وقال عبد الرحمن بن الصديق رضى الله عنهما من تمتى طول العجز فليوطن نفسه على المصائب أقلها فقد الأحمية والقرباة ولقد أحسن لبدين الاعصم

المرء يأمل أن يغيبش وطول عيشه قد يضره

تقنى بشاشته ويمسقى بعد حلوا العيش مره

ولذا كان من كرامة هذه الأمة على نبيها أفضل الصلاة والسلام قصر أعمارها بالنسبة الى الامم السابقة * قال حذيفة قالوا يا رسول الله ما أعمار أممك قال مصارعهم ما بين الخمسين والستين قالوا يا رسول الله فابناء السبعين قال قل من بلغها من أمتى فرحم الله أبناء السبعين ورحم الله أبناء الثمانين * وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أعمار أممى فى أعمار من مضى الا كما بين العصر الى مغرب الشمس * قلت وبه يفسر ما رواه البخارى انما زمانكم فمن سلف قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس أو فى أهل التوراة التوراة فعملوا بها الى الظهر ثم عجزوا فأعطوا قبرا طاقرا ثم أوتى أهل الانجيل الانجيل فعملوا به الى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قبرا طاقرا ثم أوتينا القرآن فعملنا به الى غروب الشمس فأعطينا قبرا طين قبرا طين فقال أهل الكتاب أى ربنا أعطيت هؤلاء قبرا طين قبرا طين وأعطينا قبرا طاقرا وطين أكثر عملا منهم فقال الله سبحانه هل ظلمتم من أجركم شيئا قالوا الا فقال ذلك فضل أوتيه من أشاء اه فالتقصود من الحديث الدلالة على قصر أعمار أمته بالنسبة الى من قبلهم وان عملهم فى ذلك العمر يرتب عليه ضعف ثواب عمل من قبلهم وليس التقصود تقدير زمن بقاء ملته عليه السلام بالنسبة الى زمن بقاء المال السالفة كما ذكره شهاب الدين فى اليواقيت (واعلم) أن من العقل عدم الرضا عن النفس واتهامها فى جميع الأحوال ومخالفتها فى جميع مطامعها وأن لا ينظر اليها بظن استحسنان وكما كفى فى الناظم اقتداء برابع الكرماء المحكى عنه فى قوله عزت كلمته وما أبرئ نفسى ان النفس لا مارة بالسوء الا مارحمرى

ولا أعدت من الفعل الجميل قرى * ضيف ألم برأى غير محتشم *

عطف على سابقه وأعدت هيأت والقرى بالكسر الضيافة التى تصنع للضيف وهو يقال للواحد والجمع وقد يجمع على أضياف وضيوف وضيوفان وهى ضيفة وضيافة كذا فى القيام ومن وفى الاساس ضاف اليه وعنه مال وضافت الشمس وضيفت وضيفت مالت الى الغروب وألم تزل ومحتشم اسم فاعل من الاحتشام فى القاموس الحشمة بالكسر الحياء والانقباض احتشم منه وعنه وحشمه واحتشمه أحمله اه والمعنى أن نفسه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضيافة الشيب النازل بالرأس ضيافان أفعال البر والاعمال الصالحة ووصف الضيف بعدم الاحتشام كناية عربية عن كرمه لان موجب احتشام الضيف عدم الاختلاط بالضيف وطنه ادخال الكفاة عليه والكريم لا يرى من نفسه ذلك كما هو بين ولذا قيل لا يأتى الكرامة الا ثمم وفى ذلك زيادة بيان للأمر نفسه فان عدم الاعتناء بالضيف الكريم أدل عليه * وقد

جاءت على اكرام الضيف في قوله عليه الصلاة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر

فليكرم ضيفه ومن تسمية الشيب ضيفا قول بعضهم

أناخ الشيب ضيفا لم أرده * ولكن لا أطبق له مرديا

رداء للردى فيه دليل * تردى من به يوم تردى

وسيدله سبيل الاستعارة المصروفة والقرى والانسام وعدم الاحتشام في بيت الناظم ترشيح

ومن أبلغ ما قبل في اللؤم مع الاضياف قوله

مات الكرام وولوا وانقضوا ومضوا * ومات من بعدهم تلك الكرامات

وخلفوني في قوم ذوى بخل * لو أبصر واطيف ضيف في الكرى ماتوا

هذا والمصراع الثاني أصله لأن الطيب في مطبخ قصيدة وهو

ضيف ألم برأسي غير محشم * والسيف أحسن فعلامه بالملم

ابعد بعدت يا ضا الأياض له * لانت أسود في عيني من الظلم

نظمه المصنف في سلك بيته على ما هي طريقة التضمين الشعري غير أنه غير اعرايه ولا ضير فيه

قال الخطيب التضمين أن يفهم الشعر شيئا من شعر الغير مع التنبية عليه ان لم يكن مشهورا

كقول الحريري على أني سأشيد قومى * أضاعوني وأى قتي أضاعوا

وأحسنه ما زاد على الاصل بنسخته كالتورية أو التشبيه في قوله

إذا الوهم أيدي لي لها وتغرها * تدكرت ما بين العذيب وبارق

ويدكرني من قد ها ومدامعي * مجر عو المينا ومجرى السوابق

ولا يضر التغيير اليسير وربما هي تضمين البيت بما زاد استعانة وتضمن المصراع بما دونه

ايداعا ورفوا اه ومن شواهد مطابقة المقام ما أنشده ابن رشيق لمحمد بن الحسين

كشاحم يا خاضب الشيب والايام تظهره * هذا شباب لجر الله مصنوع

أذكرتني قول ذي لب وتجربة * في مثله لك تأديب وتوريع

ان الحد اذا ما ز يد في خلق * تبين الناس أن الثوب مرفوع

* لو كنت أعلم أني ما أوقره * كتمت سر ابدالي منه بالسكتم *

أوقره أعظمه من التوقير بمعنى التعظيم ومنه ما لكم لا ترجون الله وقار أي لا تتخافون الله

عظمة قاله الاخفش * والسكتم بالحزب والشواكسيمان بانضم نبت يخلط بالحناء ويخضب به

الشعر فيبقى لونه وأصله اذا طبخ كان منه مداد الكتابة كذا في القاموس والمعنى لو كنت أعلم

أن لا أعظم الشيب لأخفت أول ما يدا منه وهو سر خلفائه بالخضاب حتى لا يظهر غير موقر

وقد أخذ توفيقه مما روى ان أول من رأى الشيب ابراهيم عليه السلام فقال ما هذا يارب فقال

وقار يا ابراهيم فقال يارب زدني وقارا فأصبح وقد سمعته الشيب * قال شيخ الاسلام قد اختلف

العلماء في الخضاب فقيل هو أفضل من تركه وقيل تركه أفضل وقيل ان كان الغرض منه اظهار

بقاء الشباب اربا بالعدو فهو أفضل والا فالترك أفضل ومذهب مالك كراهته وفي الاكمال

للقاضى عياض عن بعضهم ان حكمه تابع للعوائد فمن كان في بلد عادة أهله الصبغ فهو

أولى ومن كان في بلد عادة أهله عدمه كان الترك أولى لان الخروج عن العادة مكروه وقيل

من كانت شيبته نقيه فالترك له أولى ومن كانت شيبته تستبشع فالصبغ له أولى اه وفي معنى

البيت قول بعضهم شبت والشيب فناء والفتى * نفسه أدعى الى دعوى الكرم

فتراميت الى صوب الصبا * وكتمت الشيب في قلب السكتم

وفي معناه قول الشيخ ابن عصفور

لما ندنست بالتفريط في كبرى * وصرت مغرى بشرب الراح والعس

رأيت أن خضاب الشيب أجدرى * ان البياض قليل الحمل للسندس

وقال ابن الرومي في عدم انجاح صناعة الخضاب

بأيها الرجل المسود شبيه * كما يعذب من الشبان

أقصر فلوس وودت كل حمامة * بضاء ما عدت من الغريان

هيك استعرت من الشيبية حسنها * هل تستطيع نشاطة الصبيان

وما أطف ما قال بعضهم

قالت أرا الخضب الشيب قلت لها * سترته عنك يا سمعي وبأبصرى

فاستفحكت ثم قالت من تجمها * تكاثر الغش حتى صار في الشعر

* من لي بزدجاج من غوايتها * كما يزدجاج الخيل بالجم *

الرداء صرف والجماح بالكسر مصدر جمع القوس كمنع جمحا وجمحا وجمحا واعتقارسه

وغلبه فهو فرس جوح كذا في القاموس وفي الأساس من المجاز جمحت المرأة الى أهلها ذهبت

اليهم من غير اذن بعلها وفلان جوح وجامح راكب لهواه قال الشاعر

خلعت عذارى جامحا ما يردني * عن البيض أمثال الدمي زجزر اجر

لولوا اليه وهم يجهجون أي يجرون اه والغواية الضلالة والخيل اسم جمع واحدة فرس من

غير لفظه وقيل جمع واحدة خائل كركب وراكب والجم جمع لجام فارسي معرب والمعنى

أنه يطلب على وجه التضرع والاستعطاف من يتكفل له برده نفسه من غوايتها براد قوى كما

يرد جمح الخيل باللجم والاطهر أن يصكون الطلب استبعادا فانها المالم ترعوا الشيب وقربته

المؤذنين بقرب الرحيل استبعادا أن يحصل على متكفل له بردها وهذه الكلمة شائعة في

الاستبعاد وتتبع كلام الشعراء اشاهده ومن أعذبه قول بعضهم

من لي بسلي وفي أجفان مقلتها * للحرب بيض حداد قط ما صفحت

وقوله من غوايتها بيان لجماح تشبيها لها به يجامع الاعتزاز بكل وغلبته و بذلك البيان خرج

الجماح عن طريق الاستعارة الى التشبيه كما خرج به الخيط الابيض والخيط الاسود عنها

النسب في قوله تعالى وكواواشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من

التحيز أي ومن ظلام الليل ثم الغرض من ذلك الاستبعاد الاعمال الى صعوبة الامر وشدة

مقاساة الأحوال في رد النفس عن غوايتها ومن ثم سمي جهادا بل أعظم الجهاد كما قال عليه

الصلاة والسلام أفضل الجهاد جهاد نفسك وهواك * وكان العجايب رضوان الله عليهم اذا

رجعوا من قتال العدو قالوا رجعنا من الجهاد الا صغر الى الجهاد الا كبر ومن ثم رتب عليه

الثواب الجزيل في قوله عز اسمه وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة

هي للماوى وأجل ذلك كله احتقارها ولذا كان جل أمر الأكارب قهرها واهانتها وإذا
عرض لهم أمر هو مظنة الرضا عنها بادزوالى كسر سورته بتقبضه روى أن عزوة بن الزبير
رضى الله عنه قال رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعلى غاقفه قرينة ماء فقلت بأمر
المؤمنين لا ينبغي لك هذا فقال لما أتاني أوفود سامعين مطيعين دخل نفسي شيئا فأحببت أن
أكسرها ومضى بالقربية الى حجره امرأة من الانصار فأفرغها في انائها اه ولقد أحسن أبو
العتاهية حيث يقول أشد الجهاد جهاد الهوى * وما كرم المرء الا التقى
واخلاق ذى الفضل معروفة * بنذل الجميل وكف الأذى

فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها * ان الطعام يقوى شهوة النهم *
لما كان الغرض من ذكر هذا التزم من التصوف تيممه الغافل ووعظ السامع ارتكابا
لنصيحة الآفة الواجبة بقوله عليه الصلاة والسلام الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال الله
ولرسوله ولكابه ولائمة المسلمين وعامتهم استفتح ذلك بتذكير نفسه وذمها خروجا من مذمة
قوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتسنون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وجبه
خطابه هنا لكل من يصلح للخطاب تعمها الموعظة كما هو شائع في الكلام وكلمه من شاهد في
التنزيل واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا * ونهية الخطاب الاعتماء بشأن الامر
والتحريص على القبول فان المشافهة مدخلا في تأثير مقاصد الكلام لا ينكر * والفاء تحتجمل
ان تكون الفصيحة أى اذا تبين لك ان النفس أمارة وأنها مائلة الى الشهوات فلا ترم الخ لا يقال
ان الذى تبين حال نفسه فلا يظهر اللزوم لان تقول لكل انسان نفس أمارة الا المعصوم وتحتجمل
العطف والدلالة على التراخي الربى كما علمت وترم مضارع رام الشئ رما اذا طلبه والمعاصي
جمع معصية من العصيان ضد الطاعة وهو فعل محرم أو ترك واجب والكسر مصدر كسرت
الرجل بما ربه كسر اصرقه عنه كذا في شيخ الاسلام ولم يذكره صاحب القاموس والاساس
 والمعروف أنه يفرق أجزاء الشئ الصلب يقال كسرته وكسرتة فانكسر وتكسر ولا يخفى
لطف استعارته هنا والشهوة ميسل النفس والنهم بالكسر اسم فاعل من النهم بالتحريك يلتقى
القاموس النهم محركة والنهامة كسحابة افراط الشهوة في الطعام وأن لا تمتلى عين الآكل ولا
يشبع نهم كفرح فهو نهم ونهم ونهم اه ومن الاخير حديث مفهوم لا يشبعان طالب
علم وطالب مال وليس من نهم بكذا فهو مفهوم ولعبه لعدم ملاءمته للشبع ولا يخفى أن الالفاظ
الثلاثة بمعنى اسم الفاعل وان كان ثانيا على صيغة المفعول وسبب النهم عند الأطباء استيلاء
الحرارة الغريزية في المعدة على ما يقع فيها والمعنى لا تطلب صرف النفس عن شهوتها بارتكاب
المعاصي طنا من ذلك أنها اذا قضت وطرها مناهضت عنها وماتها فيكون صرف عنايتها الى
المعاصي رادها بلين ورق ثم ضرب لذلك مثلا وهو النهم فانه اذا أكل من الطعام تقوى شهوته
وربما كانت ساكنة قبل فكذا حال النفس اذا أخذت في المعاصي قويت شهوتها وصعب
اقلاعها عنها لانها بها ولأن بعض الشئ يعود الى بعض ولذا نهى عن الوقوع في مستهبات
الامور كما ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الحلال بين والحرام بين وبينهما
مستهبات لا يعلمن كثير من الناس فن اتقى الشهوات فقد استبرأ لرضه ودينه ومن وقع في

الشهات وقع في المحرمات كالزاعى برعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه الأوان لكل ملك حتى
الأوان حتى الله محارمه الأوان في القلب مضغعة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد
الجسد كله الأوهى القلب اه وبما قررناه ظهر قياس المصنف واتضح دليله وان دفع عند
التأمل ما قيل عليه من أن دليله غير ظاهر فان النهم انما تقوى شهوته الى الطعام اذ لم يشبع
منه أما اذا شبع فقد أخذ حاجته منه اه وكذا ما قال بعضهم ان الدليل أخص من المدعى
لان قوله لا ترم الخ يدل على أن الشهوة لا تنكسر بل تتضاعف وعلى أنه اذا لم يتأد كفت نفسه
كما شهد له الدليل الثانى والاو لا يدل عليه اه وقد تبين لك بما بيناه أن ليس غرض
الناظم النهى عن ارتكاب المعاصي بل النهى عن سببها النفس بما فلا يتجه قول شيخ
الاسلام واتيانه بالنهى دون أن يقول أفلح عن المعاصي ليقتصد من أول الامر أنها مطلوبة
الاتقاء بحيث لا يصح أن يتلبس بها وأورد أن النهى عن آتيانها على وجه خاص والنهى عن
الخاص ليس نهيان العام وأجاب بما بنا في صدر تقريره كما يعلم من اجتهته * هذا وفي معنى
البيت ما قيل خف الله واخذ من عواقب شهوة * مسرته تفتى ويبقى لك الوزر
ولا تتحقرن ذنبا تصعبا تضيقه * الى مثله فالسبيل أوله قطر
والنفس كالطفل ان تهمله شب على * حجب الرضاع وان نقطمه ينظم *
تمثيل ثان لحالة النفس يتقرر به أمر ذلك النهى والطفل المولود فاذا فطم فهو فطيم وجمعه
أطفال وقد يقال الطفل للجمع وعليه قوله تعالى أوالطفل الذين لم يظفروا على عورات النساء
واهماله تركه ونفسه ومنه الهمل بالتحريك وهو الابل بالاراع ومنه قول الطغرائى
قدر شحوك لأمر ان فطنت له * فأربا لنفسك أن ترعى مع الهمل
وعليه المثل اختلط المرعى بالهمل وشب يشب بكسر الشين اذا كبر والرضاع مصدر رضع في
القاموس رضع أمه كسبح وضرب رضعاً ويحركه ورضاعاً ورضاعة ويكسر ان ورضعا ككف
فهو رضع والجمع كركع ورضع ككف والجمع كعقن اتمص ثديها اه ونقطمه تفصله عن
الرضاع وينظم مطاوعه والمعنى أن النفس اذا تركتها وشهواتها تآمادت عليها وألفتها واذا
صرفت عنها انصرفت كما هي حالة الطفل وفيه شهادة لتضاعف شهوتها بالمعاصي وعدم
انكسارها وابعاء الى جبلها على حب الشهوات حيث كانت لها كالرضاع للطفل الذى به
قوامه والى أنها فى طوع صاحبها وتحت رعيه بحيث لا تتميز لها بين النافع والضار وأصل
هذا المعنى لآي دلف في قوله والنفس راغبة اذا رغبتا * واذا ردت الى قليل تقع
وتصرف فيه الناظم بالاشبيه فعذب وزاده حسنا باجمال وجه الشبه ثم تفصيله * ومن المعجز
في هذا قوله تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم
يجده شيئا وعليه قول بعضهم

الصبر كالصبر مر في مذاقته * لكن عواقبه أحلى من العسل
وليس منه قول ابن المعتز

والليل كالحلوة السوداء لاجبه * من الصباح طراز غير مرقوم
كما يعلم بالتأمل وهذا وقد تفنن الناظم فيما أراده من التمثيل فأتى به في هذا البيت ظاهرا

مصراً جاباً للتشبيه وأتى به في البيت قبضه على صورة الدليل راخراً الى التشبيه على حد قوله
 فان تفرق الأنام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال
 وعليه قول شيخ المعرفة فان كنت تبغى العيش فابغى توسطاً * فعند التناهي يقصر المتطاول
 توفى البدور النقص وهي أهلة * ويندركها النقصان وهي كوامل
 فاصرف هواها وحاذر أن توليه * ان الهوى ما تولي يضم أو يضم *
 تفرع على ما تقدم والصرف الدفع والهوى بمعناه المصنوع وقد تقدم ولا يصح جعله بمعنى
 المفعول كقوله هو اى مع الركب الممانين مصعد * جنيب وجثمانى بمكة مؤثوق
 لان الغالب والوالى الاوّل دون الثانى كما لا يخفى وحاذر من الحذر وهو الخوف والتحرز
 والصيغة للبالغه اذ أصلها أن تكون من أكثر من واحد وأن توليه بتقدير من وهو مضارع
 من التولية وهي جعل الشئ والباوأميراً وفي رواية أن توليه من المواالاته بمعنى المتابعة
 وعليهما ما تولي أو توالى وما معنى أى تولية أو مواالاته ويضم بضم أوله من أصمى اذا قتل تقول
 العرب أصميت الصيد بمعنى رميته فأتى بمعنى أى وعليه الحديث كل ما أصميت ودع ما أصميت
 أى مارميت من الصيد فأتى بمعنى أى منك لا مارميت فأتى بضم أوله من الوصم وهو
 العيب يقال وضيمه اذا غاب ومنه غابى فلان وصمته أى عيب وعار والمعنى ادفع هوى النفس
 عنها وتحرز من أن يتبعه أمير عليها تنصرف على طاعته وتمثل أو امره فان الهوى ملك
 سوء اذا تولى قتل بسرعة أو أحدث العيب والعار وذلك فساداً لمر الرعية فبالحرى أن لا يولى
 ومن الأشكال من استرعى الذئب فقد ظلم أو تحرز من متابعة النفس اباه واصرفه عنها من
 أول الأمر لان متابعتة تحدث أحد الأمرين كما هو شأن قرين السوء ثم المراد التكنية عن
 عدم طاعته واتباعه كما هو شأن الأمر والمتابع أى الذى تكررت تبعيته فلا ضربة لأحدى
 الروايتين على الأخرى باعتبار المقصود وبالنظر الى تمام التحذير ببيان صولة الهوى المزينة
 للاولى واعلم أن الأمرين يتحلمان الحقيقة فيراد بالاول قول قتل الحدود كرجم الزانى المحصن
 ونحوه ويراد بالثانى وقوع الناس في عرضه وسقوطه من أعين الناس ورميه بالمراذل
 والدناس وبالجملة انه تطلق فيه مقدمات الألسن ويصير غرضاً لكل سبهم من القبائح * روى أن
 هشام بن عبد الملك لم يقل بيتاً من الشعر الا قوله
 اذا أنت لم تعص الهوى قاذل الهوى * الى بعض ما فيه عليك مقال
 ولما سمعه أبو عمر وقال لوقال الى كل ما فيه عليك مقال لسكان أبلغ وأحسن ومن ثم نهى عن
 الوقوف بباب التهم فانه مظنة للقول والأخذ في العرض واذا وقع فلا مرد لهما كما قيل
 قد قيل ما قيل ان صدقا وان كذبا * فما اعتذارك من قول اذا قبلا
 واما أن يكون المراد بذلك التكنية عن نوعي الهلاك الأكبر والاضغر وهذا أولى ليعم هلاك
 الدنيا والآخرة فيراد بالاول شدة العذاب أو الخلود في النار نسأل الله السلامة منها فانه
 شاع التعبير عن الأمر العظيم بالموت الأحمر ودليل أن الهوى يؤدي الى ذلك ما في الحديث
 ان العبد اذا عصي نكبت في قلبه نكبة سوداء ثم لا يزال يزداد الأمران توالى حتى يعم
 السواد قلبه وذلك هو الران قال تعالى كلاب ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم

قوله وما يعنى الخ كذا لا يصلح ان يبدلنا واعلم صوابه كما في شرح الشيخ خالد وحاشية الباجورى ما شرب طيبه يعنى ان يوقى نعل الشرط ويصم بولابه

عن ربهم يومئذ لمحجوبون ويراد بالثانى ما هو دونه هذا ومن مستعمل ما تحكى في طاعة الهوى
 وعصيانه ما روى عن ابراهيم الخواص رضى الله عنه قال رأيت رماناً فاشتبهته فأخذت منه
 فوجدته حامضاً فتركته ورأيت رجلاً مطروحاً وعليه الزناير فقلت السلام عليك فقال عليك
 السلام يا ابراهيم قلت كيف عرفتنى فقال من عرف الله لا يخفى عليه شئ فقلت لك حال مع
 الله فلوساً لته صرف عنك الزناير فقال وأنت لك حال معه فلوساً لته صرف عنك شهوة الرمان فان
 لذع الرمان فى الآخرة ولذع الزناير فى الدنيا * قال شيخ الاسلام ومصادقه قوله تعالى ثم لتسئلن
 يومئذ عن النعيم ورؤى رجل فى الهواء فقيل له لم نلت هذا فقال تركت الهوى فسخرنى
 الهواء والأخبار فى هذا المعنى كثيرة
 * وراعها وهى فى الأعمال سائمة * وان هى استخلت المرعى فلا تسم *
 عطف على اصرف وراعها بمعنى لاحظها وانظر الى ما نصير اليه والأعمال جمع عمل بمعنى
 الفعل * فى الامنية لشهاب الدين القرافى قيل معنى عمل فعل فعلا له شرف وظهور ولذلك تعلق
 به لمع اذا اشتد ظهوره للحس ولذا قال تعالى ألم تر كيف فعل ربك باصحاب القبل ألم تر كيف فعل
 ربك بعدا ولم يقل عمل لانه أثر فيه عقاب واستهضام لا شرف وتعظيم وقال تعالى بما عملت
 أيدينا أنعمنا وأكثرت ما ورد فى القرآن من ذكر أفعال الخير بلفظ عمل قال تعالى بما كنتم
 تعملون فنعيم أجر العاملين من عمل صالحاً فلنفسه ومن ثم جاء فى الحديث انما الأعمال
 بالنيات دون الافعال اه وسائمة من السوم وهو الرعى يقال سامت المشاة والابل وغيرهما
 تسوم سومارعت فهى سائمة واستخلت استفعلت من الحلاوة والسين والثناء للحسبان
 والفعل تفسيره بقدر رافع للضمير على المذهب البصرى المختار والمرعى كل رعى بكسر الراء اسم
 لما رعى وتسم مضارع أسهمت الناقه ونحوها اذا أخرجتها الى الرعى قال تعالى فيه تسميون
 والمعنى لاحظ النفس فى حال تقلبها فى الأعمال الصالحة وانتقالها من عمل الى عمل وان
 عذب لها عمل والتذت به فاصرفها عنه الى عمل آخر عليها فيه كلفه ومشقة فانه لا يرتاض
 الا بالمشاق وقد استعار لتقلبها فى الأعمال معنى الرعى أخذ من الحديث الشرف وهو قوله
 عليه الصلاة والسلام ان الحلال بين والحديث هذا اجمال ما فى البيت واما تفصيله فينبغى
 أن تقدم له مقدمتين * اولاهما * ما ذكره الامام أبو اسحق الشاطبى فى المسئلة الاولى من
 النوع الرابع من كتاب المقاصد من المواقفات وهو أن المقصد الشرعى من وضع الشريعة
 اخراج المكلف من داعية هواه حتى يكون عبد الله اختياراً كما كان عبد الاضطراراً وينبغى
 على ذلك قواعد منها ان كل عمل كان المتبع فيه الهوى باطلاق من غير التفات الى الأمر
 أو النهى أو التخيير فهو باطل باطلاق لانه لا بد للعمل من حامل عليه وداع اليه فاذا لم يكن
 لتلبية الشارع فى ذلك مدخل فليس الامتضاى الهوى والشهوة وما كان كذلك كان
 خلاف الحق فيكون باطلا اذ ما بعد الحق الا الضلال وكل عمل كان المتبع فيه باطلاق الأمر
 أو النهى أو التخيير فهو صحيح وحق لانه قد أتى به من طريقه الموضوع له ووافق فيه صاحبه
 قصد الشارع فكان صواباً وان امتزج فى العمل الأمران فالحكم للغالب والسابق
 وعلامة غلبة تلبية الشارع أو الهوى أن العامل ان كف عند نهى الشارع فالغالب

والسابق الشرع وان لم يكف عند دور ودا النهى فالغالب الهوى والشهوة ومنها ان اتباع الهوى طريق الى المذموم وان جاء في ضمن المحمود لانه اذا تبين انه مضاف بوضع الشرعية فيبها زاحم مقتضاها في العجل كان نحو فالانه اذا اتبع واعتمد رجبا أحدث للنفس أنسابه حتى يسرى معها في أعمالها ولا سيما وهو مخلوق منها لم يخلق مقصودا بالامتثال الشرعي فيه نرسا بقاله واذا صار رسا بقاله صار العجل الامتثال تابع له وفي حكمه فيسرعة ما يصير صاحب حبه الى المخالفة وليس التجربة كما هي هنا * ومنها ان اتباع الهوى في الاحكام الشرعية مظنة لان يتخيل بها على أغراضه فتصير كالاتي المعدة لاقتناص أغراضه وهو نهاية الذم * المقدمة الثامنة * ما ذكره شهاب الدين في الثامن والخمسين من فروقه ان الفعل المسالم عن المفسدة اذا كان وسيلة اليها منع وذلك معني سد الذرائع وهو على الجملة يجمع عليه لقوله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وان اختلفوا في بعض صورها بناء على قرب التوسل وعدم تحققه كما أجعوا على عدم اعتبار ما فيه عدم القرب كزراعة العنب اذا تم هذا فنقول ان الاعمال في كلام المصنف تشمل الطاعة واجبها وتمتدو بها والمباحات أما اذا قلنا بان العجل كالفعل فالامر بين وأما اذا قلنا باختصاصه بما له شرف فهو في الواجب والمندوبين وكذلك في المباح من حيث كونه مأذونا فيه من الله كما سيبين لك فاذا أخذت النفس في فعل الواجب من العبادات من حيث امتثال الامر والدخول تحت رتبة الاستخدام والتكليف متحملة لمشايق العبادات والظهار الحق العبودية قبلك الدرجة العليا التي لا يشئ منها ضرر وان استختمته متملذذ به فلا يتخلوا الحال من أن يكون تلذذها من حيث هوها وهو التسميم الباطل أو من حيث التعود فهو وان كان مختطبا عن الدرجة الاولى مقبول في الجملة ولكنه يشئ منه داعية الهوى فتصرف عن تلك الجهة في الفعل الى الجهة الاولى سدا لذريعة الفساد وان أخذت في المندوبات فكذلك الا أن الامر فيها بين فانها بالاستحلاء تصرف من فعل الى فعل لعدم التعمين فيها ولتعمين في الواجب امتنع هذا الطريق وتعين صرف الهمة والنية لا غير وان أخذت في المباحات التي هي لمحض حظ العبد فان تلقها من حيث اذن الله فيها وكونها هدية منه لعبده صارت مجردة من الخظ فألحقت بما لاحظ فيه وسلول تلك الطريقه فيها غير مخوف وان تناولت المباح من حيث حبه والشهوة النفسانية ردت عنه خوف اتباع الهوى في غيره وان لم يمكن فيه مفسدة من حيث ان اذن الشارع فيه لم يخط المسكاف لا غير * واعلم * أن الاستحلاء المذموم هو ما كان باعنا على المناولة أما اذا لم يكن الباعث عليها وانما حصلت المناولة امتثالا للامر أو قبولا للاذن فلا ذم فيه وهذا يجب بما قيل على ذم السعي الى الخظ من انه جاء عن سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم انه كان يحب الطيب والنساء والحلوى والعسل وكان يعجنه التراب ويستعذب له الماء فان ذلك لا يقضى بان تناوله عليه الصلاة والسلام تملك الاشياء من حيث محبته لها بل نقول انه يحبها ولا يتناولها الا من حيث قبول الاذن وامتثال النسيب وعلى قياس ذلك ما جاء عن العلماء والصالحين المتقدمين به صلى الله عليه وسلم قاله الشاطبي رحمه الله هذا ما اتقدح لي في بيان مراد الناظم ودوننا في شيخ الاسلام وغيره من الشروح واختر

لنفسك ما يحلو والله أعلم

* كم حسنت لذة للمرء قاتلة * من حيث لم يدرك أن السم في الدسم *
 لتعليل في المعنى للنهي عن تركها سائمة اذا استحل المبرحى وكم خبرية في موضع النصب على الظرفية بحسنت محذوفة التمييز أي كم زمن أو على المفعولية المطلقة أي كم تحسین وقول شيخ الاسلام انها مفعول لحسنت ولذة تمييزها غفلة عن وجوب تمييزها بالاضافة وحسنت من التحسين بمعنى التزين والمرء الرجل وقاتله صفة للذة والمرء متعلق به أو بحسنت والفصل للضرورة ومن حيث يتعلق بقاتله على معنى الابداء والسم بضم السين وفحها القاتل والدسم الودك والمعنى أن النفس شأنها المنكر والخديعة قهرز الامر المهلك في صورة المحسن فيعتبر بظاهر الزينة يفعل الفعل ولا يلتفت الى ما فيه من اللذة فيسرعه الهلاك الدنيوي والاخرى من حيث جهله بوضع المنكر في ذلك الميزان كوضع السم في الدسم بحيث لا يظهر له فيه أثر فالمعنى على التشبيه واذا كان ذلك شأنها وجبرعها او عدم اهمها هو امر فها عما تشتمه من الاعمال مخافة دسا سبها الدقيقة. وما قررنا علم أن القتل على طبق ما سبق ومساق هذا الميت التعليل للنهي السابق كما قدمنا فيجب أن يراد بالذم هو العجل المستحلى وبمعنى تحسينه ترينه بكونه عبادة الموجب عدم النقرة عنه ظاهر افغتر الجاهل بذلك ويقادى على الفعل مع ان ما في ضمنه من الهوى وسيلة الى الهلاك كما تقدم وأما عمله لذة المعصية الموجبة للعقوبة فبعيد من حيث عدم الملازمة للسابق واللاحق أما الاول فظاهر وأما الثاني فلعدم ملازمة التشبيه كما لا يخفى * وما أخذ ذلك المعنى الذي قصده الناظم على ما بينا مع بعض الالتفاظ ما حكاه القشيري عن الواسطي أنه قال اياكم واستحلاء الطاعات فانها مسموم قاتلة اه ومن الدسائس الخفية أتى بدسها النفس في صورة الطاعة أن تأمر صاحبها بالارتقاء الى مقام أعلى من مقامه الذي أراده الله فيه كما قال الشيخ ابن عطاء الله في الحكم ارادتك التجريد مع اقامة الله لك في الاسباب من الشهوة الخفية. ارادتك الاسباب مع اقامة الله تعالى لك في التجريد انحطاط عن الهمة اعليه اه فان التجريد يدع الاسباب والتوجه الى العبادة مرتبة علمية في ذاته الا أنه لما تعلقت الارادة الازلية في حق ذوى الاسباب بالتسبب كانت ارادة التجريد مع ذلك شهوة خفية معارضة للارادة * في شرح ابن زكري على النصيحة الزرقية سئل العارف ابن العربي أيجوز للرجل أن يدخل بيتا ويطين عليه بابه ويقنطر رزقه من عند الله فقال ان كان مثل أبي حمزة الخراساني فنعم والافحرم عليه فقال السائل وما حال أبي حمزة قال كان ماشيا ذات ليلة في بركة فاذا به وقع في حفرة فخاول الخروج فلم يستطع فاذا بجحى يقربه فأراد أن يستغيث بهم فاذا ابوارد على قلبه يقول أما تستحي أن تستغيث بالخواق وانت بين يدي الخالق وتعلم أنه مطلع عليك وقادر أن يخلصك مما أنت فيه فأمسك ولم تستغيث واذا برجلين مارتين نظرا أحدهما الى باب الحفرة فقال لصاحبه والله ما هذه الا مضرة خلق الله والرأي عندي أن أسدّها فوافقها صاحبه وأخذ في سدّها حتى سويها بالارض فلما علم الله صدق نيته في الثقة به بعث اليه من يخلصه فينمها هو ما كت واذا بالحسن على باب الحفرة فلما كشف عنها اذا بأسد عظيم بهمهم ويدل ذنبه في الحفرة ففهم أن الله أراد خروجه وتعلق بذي ذنبه حتى أخرجه ثم انصرف الأسدوسمعها تبايقول أجبيناك من التلف بالتلف اه والجملة

يجب على الانسان التمسك بالحديث الشريف كل ميسر لما خلق له

واخش الدسائس من جوع ومن شبع * قرب فحصة شر من التخم *

عطف على قوله فاصرف هواها واخش أمر من الخشية وهي الخوف والدسائس جمع دسيسة وهي المكر الخفي ويروى الدواخل جمع داخله وهي باطن الأمر ويحتمل أخذها من الدخل وهو المكر والخديعة وعليه قوله تعالى ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فترلق قدم بعد ثبوتها والجوع والشبع عرضان خلقهما الله تعالى في مجارى عادته عند خلاء المعدة من الطعام وعند وجوده فيها ومن ابتدائية متعلقة بمخدوف معرفة صفة للدسائس أى الحاصلة من الجوع والشبع كإقراره الجلال المحلى وتقدير المتعلق معرفة لمناسبة المعنى أجازه التقطازانى في شرح التلخيص والداميني وغيرهما وأما جعلها سائسة متعلقة بحال فيقتضى بأن الدسائس هي الجوع والشبع والمعنى ليس عليه كما سمي مظهر وكذا تعلقه بأخش فإنه يفيد كون الجوع والشبع مبدأ خشية جميع الدسائس وليس كذلك والفاء لتعليل كون الجوع منشأ للدسائس والمحصاة للمخافة والتخم جمع تخمة وهي فساد المعدة بالطعام والمعنى خف ما ينشأ عن الشبع من الدسائس وما ينشأ عن الجوع منها واتسكن حائلت على التوسط بينهما ولا تتوهم أنه لا دسيسة من الجوع قرب جوع يكون أشد شر من نهاية الشبع الموجبة لفساد المعدة بالطعام وبهذا التعليل الأخير يعلم المراد بهم ما حققتم على ما لاقاه شيخ الاسلام من قليل العبادة وكثيرها كما لا يخفى فهو وصية أخرى توجب ارتياض النفس وتهذيبها بعد الفراغ من الوصية بصرف هواها ومرادها في العبادة ولذا قلنا بالعطف على اصرف بعد دون راع مع قربها * واعلم * أن دسائس الشبع كثيرة اجمالها أنه يحرك الشهوة الداعية الى كسب الدنيا والميل اليها وحب الدنيا رأس كل خطيئة كما في الحديث وتفصيلها أنه يذهب الفطنة ويورث البلادة ويعمي القلب ويعين على المعاصي ومن ثم قيل البطن اذا جاع شبع سائر الجسد واذا شبع جاع سائر الجسد قال ابن زكري قالت عائشة رضى الله عنها أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم لما شبع بطونهم حجت نفوسهم الى الدنيا وشهوة الفرج لا تخفى غائتها فمن شبع لم يملكها وان منعته التقوى لم يملك عينه وجميع معاصي الاعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع اه وفي شيخ الاسلام أقل مفسد الشبع أن تكسب عن الطاعات ان لم تقع في المعاصي ففي الخبر لا تأكلوا كثيرا فشر بوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتنسوا واكثر اه وفي هذا الخبر اشارة الى أن كثرة النوم من الماء ووجهه ابن زكري بأن كثرة الماء تورث كثرة الدم فتثقل الحواس ويحبب النوم ومن مفساده كثرة الاسقام الناشئة من غلظة بعض الاخلاط الناشئة من كثرة الغذاء * وأما دسائس الجوع فهي فساد القلب والالم المشوش للفكر وضعف البدن فلا يتيسر لصاحبه القيام باصايبه النظر ووظائف العبادات ومن دسائسه أنه ربما أدى الى الهلاك بسبب حفاف رطوبات البدن فتخلل أجزاؤه بالحرارة التي لا تجد ما تستعمل فيه من الغذاء فيحصل الهلاك وبه يتبين أن مفسدة أشد من التخم وما أخذ مفسد الجوع قوله غزاسمه وتبلونكم بشئ من الخوف والجوع الآية واذا تبين ما في الجوع والشبع من المفسد كان الواجب

التوسط * وضابطه ما رواه أحمد والترمذى من قوله عليه الصلاة والسلام حسب ابن آدم لقيمت يقمن صلبه فان كان ولا بد فقلث للطعام وثلث للماء وثلث للنفس

واستقرغ الدمع من عين قدامتلات * من المحارم والزم حمية الندم *

لما أوصى بما يقدر سياسة النفس فيما يستقبل من أمرها بين هنا ما يقيد في جبر ما فات منها وهو التوبة والبكاء واستقرغ الدمع من العين اراقته على زيادة السنين والتاء وقد يرادهما الطلب الحديث ان لم يتمكوا قتما كوا والمحارم جمع محرم بمعنى الحرام والحمية الامتناع من المضار من حمية المريض الطعام اذا منعت منه والندم الكره يقال ندم بالسكر بمعنى كره والمعنى ارق دمك أو اطلب اراقته من عين قدامتلات من المحارم أى كثر نظرها الى ما لا يحل اليه النظر حتى كأنها امتلات بذلك والزم التوبة فانها وقاية من العقوبة وفي وصف العين بالامتلاء من المحارم ايماء الى وجهه بناء اراقة الدمع ثم لما كان أول المعصية غالباً النظر كما قدمنا جعله مقدمات على التوبة مبدأ لها واقتصر على الندم من أركان التوبة وهي الندم والاقلاع والعزم على عدم العود لما أن الندم جماعها اذ مع الندم لا يتيسر عدم العزم ولا يتيسر البقاء على العمل ولذا ورد في الحديث الندم التوبة * وأدلة كون الندم حمية ووقاية كثيرة في الكتاب والسنة ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال عليه الصلاة والسلام التائب من الذنب كمن لا ذنب له وأما أدلة فضل البكاء فكثيرة منها ما في الحديث القدسي ان عند المنكسرة قلوبهم وقال عليه الصلاة والسلام لعقبة بن عامر حين سأله ما النجاة املك عليك اسنانك وليس عليك بيتك والى على خطيئتك وورد ان الله تعالى قال لموسى عليه الصلاة والسلام يا موسى حرمت على النار ثلاثة أعين عين سهرت في سبيلى وعين غضت عن محارمى وعين دمعت من خشيتى ولكل شئ جزاء غير الدمعة فلا جزاء لها غير المغفرة والرحمة اه واعلم ان المحارم النظرية كثيرة منها نظر المرأة والصبي بالشهوة ومنها النظر فى كتاب الرجل من غير اذنه ومنها التطلع الى ما ستر عنك لانه تجسس ومنها اجالة النظر فيما أذن لك في دخوله من بيت ونحوه من غير اذن ومنها التطلع الى عورة ولو عورة نفسه وقيل بالعكس اراهة فى الأخير ومنها النظر الى الجسارة بعين الرضا والتعظيم ومنها النظر بعين الاحتقار لأحد من خلق الله ومنها النظر بالشزر والغضب لغبر متكبر ولا ظالم ومنها النظر للضعفاء من المؤمنين بعين السخرية والاستهزاء ومنها النظر فيما لا يحل كتبه ولا تعلمه بقصد كتبه أو تعلمه كذا فى النصيحة الكافية

وخالف النفس والشيطان وأعصهما * وانهما محضانك النصح فاتهم *

الحالفة ضد الموافقة وتقدم معنى النفس وأما الشيطان فغور وف وخلقته من النار * فى شرح الجوهرة لناظمها عليه رحمة الله نقلا عن السعد أن الشياطين أجسام نارية شأنها القاء الناس فى الغواية بتدبير أسباب المعاصي وانشاء مواضع الطاعة والجن أجسام هوائية تتشكل بأشكال مختلفة منهم المطيع والمعاصى والملائكة أجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكل كاملة فى العلم والقدرة شأنها الطاعات ومسكنها السموات فيدل تركيب الانواع الثلاثة من امتزاج العناصر الاربعية الا أن الغالب على الشياطين عنصر النار وعلى الآخرين

غصمها الهواء، وذلك أن استزاج العنصر قد لا يكون على القرب من الاعتدال بل على قدر صالح من غلبة أحدها فان كانت الغلبة الارضية يكون الممزج مماثلا الى الارض وان كانت المائية فالى الماء والهوائية فالى الهواء أو النارية فالى النار ولكون الهواء والنار في غاية الشفوف واللاظفة كانت الملائكة والجن والشياطين بحيث يدخلون المناقذ والمضايق ولا يرون الا اذا اكتسبوا من المعجزات الاخر التي تغلب عليها الارضية أو المائية بخلاف غواشي فيرون في أيدان كأيدان الناس أو غيرهم من الحيوانات قال السارح يجوز أن يكون تشككهم تابعاً لارادتهم والقاعل هو الله وأن يكون عن أسماء علمها هم اه وتعتو الشيطان وتسرده سمي كل عات متمرده من الجن والانس والدواب شيطانا وسمت العرب الحية شيطانا وقيل في قوله تعالى طلعها كأنه رؤس الشياطين المراد الحقيقة لان رأس الشيطان موصوفة بالقعق وقيل المراد رؤس الحيات لقبها وقيل المراد به نبت قبيح يسمى بذلك اه وبقية المفردات تقدمت والمعنى خالف النفس والشيطان فهما طلناه منك ولا توف لهما المطوب واعصهما ان أمر الله بشئ فلا تمتثل لهما أمر أو اذا أظهر لك خالص النصح فاحلها على الاتهام ولا تغتر بظواهر الحال وكيف يظن عاقل نصح النفس بعد كونها أمانة بالسوء صاحبة مكر وخديعة أو يرى نصحاً من الشيطان وقد طهر أمر بصحته مع أئبنا آدم مع قسمه على كونه ناصحاً كما في نص القرآن وتقدم النفس على الشيطان بشره الى الشدة مخالفتها وذلك ان دعوة النفس الى أمر تابعة لهواها وشهوتها وليس لها غير ذلك من الاغراض فاذا دعت الى أمر ألحت في طلبه كالطفل فلا تزال تعاد والطلب وتسكره حتى تصل الى مرادها أو يقضى لها التوفيق من الله تعالى عند صدق المجاهدة وأما الشيطان فان غرضه الاغواء زلة كفيما كانت فاذا دعا الى زلة وزينها وخواف فيها تركها وانتقل الى أخرى ولا شك أن المخالفة مع الاحاح أشد ومما قيل في هذا المعنى قول بعضهم
 اذا مادعتك النفس يوما شهوة * وكان عليها للخلاف طريق
 فخالف هوها ما استطعت فانما * هو لك عدو والخلاف صديق
 ولا تطع منهما خصما ولا حكما * فأنت تعرف كيد الخصم والحكم
 الطاعة الاقياد والفعل طاع وأطاع والخصم المحادل وأصله مصدر خصم تكسر الصاد اذا كثر جده ثم اطلق على الموصوف ومن ثم أفرد وذكر ولو واقعا على الاثنين والجماعة والمؤنث وقد يثنى وعليه قوله تعالى هذان خصمان والحكم الحاكم ومنه المثل في بيته يؤق الحكم والكيد المكر والمعنى أن النفس والشيطان اذا أتياك من حيث المحاجة واقامة الدليل على حسن الفعل أو من حيث الأمر والحكم عليك بالقيل فلا تطعهما بأن تمتل مع المحاجة في الاولى وتمثل الحكم في الثانية لانك تعرف كيد الخصم ومكره بصاحبه فهو به الأمر عليه وتريننه له توصلا الى غلبته وتعلم كيد الحاكم اذا جارى حكمه توصلا لاغراضه فانه أقوى من كيد الخصم حيث كان مكرامهم وبالنسوة والسلطان هكذا ينبغي تقرير البيت حتى يكون على طبق ما قبله مبينا لمقام المخالفة ومقام العصيان وأما ما قرر به شيخ الاسلام من أنهما اذا كانا في بداية الأمر فهما خصمان واذا استوليا كانا

حكيمين والمعنى اعصهما قبل الوقوع بان لا تفعل ويعد به ان لا تقامدى على الفعل متمثلا لهما بذلك وحمل الخصم والحكم على العهد غير مقبول عند ذى الفطرة السلمية هذا وقد أورد شيخ الاسلام هنا كلاما بالأس يدكره قال فان قلت قوله ولا تطع تأكيد بغنى عنه واعصهما قلت أما عند من يرى أن الأمر بالشئ ليس عن النهى عن ضده ولا يتضمنه فليس تأكيدا وأما على مذهب من يرى أنه يتضمنه فالمطابقة أولى من التضمين وأما على مذهب من يرى أنه عينه ففأئذ عموم العصيان في جميع الاحوال فان قوله اعصهما فعل مثبت وهو لا يدل على العموم في أقسامه على الصحيح بل هو مطلق وقوله لا تطع نهي والنهي في الفعل المنفي يعم على الصحيح وأيضا اختلف في الأمر هل يدل على التكرار أو المرّة وهن يقتضى الفور أو التراخي ولم يختلف أن النهى يفيد التكرار والفور فان قلت لم يقتصر على النهى قلت لان المختار أيضا أنه ليس عين الأمر ولا يتضمنه أولان المطابقة أولى ومثل هذا في قوله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون اه كلامه أقول أصل المسئلة ما في جمع الجوامع قال الشيخ الاشعري والقاضي الباقلاني الأمر النفسى شئ معين نهي عن ضده الوجودى وعن القاضي يتضمنه وعليه عبد الجبار وأبو الحسن والأمام والأمدى وقال امام الحرمين والغزالي لا عينه ولا يتضمنه على الاصح اه وبذلك تعلم ما في قوله وأما على مذهب من يرى أنه عينه الخ من الخلل لانه نظير في الأمر والنهى اللقظيين كما هو بين ولا فائل بالعينية فيهما كما رأيت وعلى ارضاء العنمان فما أبداه من الفائده غير تام لان الأدلة على العموم تابعة للنهى واذا قلنا ان الأمر عين النهى عن الضد كان اعصهما ماد الاعلى عموم عدم الطاعة في جميع الاحوال فلا فائدة في النهى وبعد ذلك كان الصواب أن يقول الفائده عموم عدم الطاعة لا عموم العصيان كما هو بين فالاصوب في الجواب تسليم السؤال والاقرار بالتكرير والتوكيد ولا ضريفه فان مقام المواظ والتنبية جدير بذلك على أن لك أن تقول طبق ما مر في المبكاء ان المذكور في البيت السابق عصيانها من حيث مجرد الطلب وفي هذا البيت من حيث المحاجة والحكم وهما معشيان متغايران باعتبار الطريق متحدان باعتبار المسأل وأما الآية الكريمة فعنى الجملة فيهما متغاير * قال في الكشاف أليست الجملةتان في معنى واحد قلت لان معنى الاولى انهم يتقبلون أو أمره و يلاتزمونها ولا ياتكرونها ومعنى الثانية أنهم يؤذون ما يؤمرون به لا يتماقلون عنه ولا يتوانون فيه
 * أستغفر الله من قول بلا عمل * لقد نسيت به نسلا لذى عقم *
 الاستغفار طلب المغفرة وهى ستر الذنوب والتجاوز عنها أخذ من الغفر وهو الستر وسمته الغفر السائر لها مة والحج الغفر أى السائر والارض كثرتم قال الشيخ لطف الله في المعارج والمغفرة مما يختص به تعالى اذ لا يتصور الغفران من غيره ولذا أتى بالحصص في قوله ومن يغفر الذنوب الا الله وتجاوز المحسن مناعن المسمى عفو وصفح لا غفران اذ لا ذنب الا بخالف الحق تعالى هذا كلامه ولفظ الله اسم للذات الواجب الوجود المبدع لما يعبر عنه بالممكن الجهول بالسكنه المعلوم بالوصف المقدس عن سمان الحدوث لم يتسم به غيره فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا أى مشار كفى اسمه وهو الله قيل وهو الاسم

الاعظم وفي اشتقاقه وعدمه وارتجاله ونقله أقوال مبسوطه في الكشاف والنسب الولد
وعقم بضم العين واللقاف للضرورة والاصل اسكانها مصدر عقمت الرحم بالفخ اذا لم تقبل
الولد لعلة فيها ورجل عقيم لا ولده ومنه ريج عقيم التي لم تلحق بها ولا شجرا * والمعنى استغفر
الله أي أطلب منه المغفرة من أجل القول والمواظب الصادرة بلا عمل بما أمرت به
يعصمها فان ذلك مما يرتب عليه المقت لقوله تعالى تأمرون الناس بالمعروف والنهي عن المنكر
وانتم تعلمون الكتاب أفلا تعقلون وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتنا
عند الله أن تقولوا مالا تفعلون قال الشاطبي في آخر الموافقات عن جعفر بن برقان قال سمعت
ميمونا يقول ان المتكلم ينظر المقت والسميع ينظر الرحمة قلت رأيت قول الله يا أيها الذين
آمنوا لم تقولون الآية هو الرجل يقول فعلت كذا وكذا من الجبر وأهو الرجل يأمر بالمعروف
وينهى عن المنكر وان كان فيه تقصير فقال كلاهما اه وما أحكم قول أبي الاسود الدؤلي
في هذا المعنى يا أيها الرجل المعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم
ابدأ بنفسك فانها عن غيرها * فاذا انتهت عنه فأنت حكيم * فهناك يسبح ما تقول ويقتدى *
بالرأي منك وينفع التعليم * لانه عن خلق وتأني مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم *
(واعلم) أن موافقة القول للفعل شرط كمال في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تهما
لمقتضى المرتبة الموروثة عن النبوة وتقوية بداعي الامتثال فاذا انعدمت لا يعدم الاصل
كما قرره الشاطبي وغيره من أن كل تكملة أدت الى انحراف الاصل غير معتبرة ولذا قال ابن
عرق في الشامل على ما نقله ابن زكري في شرح النصيحة نقل عن الامدي لا تشترط عدالة
الامر بل يجب عليه ولو كان فاسقا فيجب على متعاطي الكس النهي عنها للجلال لان
النهي عن المنكر واجب والانكفاف عن المحرم واجب والاخلال بأحد الواجبين لا يمنع
وجوب الآخر ولو كان عدلا كان أولى بقوة غلبة الظن باجابه اه واستدل بقوله تعالى
كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه فانه يقتضى الاشتراك في الفعل وقد ذمهم على ترك التناهي
عنه بأن ينهى بعضهم بعضا وعلى هذا المعنى جاء قول الخليل بن أحمد
اعمل بقولي وان قصرت في عملي * ينفعك قولي ولا يضرك تقصيري
انظر لنفسك فيما أنت فاعله * من الأمور وهم رأي تشهير
وقال آخر خذ العلوم ولا تعبأ بأقلها * اجن الثمار واخل العود للنار

حفظه الله الاستغفار وأخر الخطبة فقال ان الخطبة لما كانت مشتملة على زجر ووعظ كانت
مذكرة لذنوب سالفة فيقع الاستغفار بازائها هذا وفضيلة الاستغفار شهدها الكتاب والسنة
أما الاول فقوله تعالى ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيمًا وقوله
تعالى ولولا أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا
رحيمًا وأما الثاني فله ما خرجه الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى يا ابن آدم انك مادعوتني ورجوتني غفرت لك يا ابن
آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك يا ابن آدم انك لو أتيتني بقراب
الارض خطايا ثم لم تيتني الا تشرك بي شيئا لا تتبك بقرابها مغفرة وفي الحديث أنه عليه الصلاة
والسلام قال لو لم تذبوا وتستغفروا لذهب الله بكم ولحاق بقوم غيركم فيذبون ويستغفرون
فيغفر لهم ولقد آجدا من يقول فلوان فرعون لما طغى * وقال على الله افسك ووزورا
أنا الى الله مستغفرا * لما وجد الله الاغفورا
* أمرتك الخير لكن ما تميرت به * وما استممت فاقول لك استقم *
تفسيره وبيان لقوله قول بلا عمل والأمر القول الدال على طلب الفعل مع الاستعلاء كيهو
مذهب جماعة منهم الرازي والامدي وعليه ابن الحاجب قال في المختصر في حد الامر النفسى
اقتضاء فعل غيرك على جهة الاستعلاء وذهب جماعة منهم ابن السبكي الى عدم اشتراطه
قال الجلال المحلى لا يطلق الامر دونه قال عمرون العاص لمعاً و
أمرتك أمر اجازة فصيتني * ولكن من التوفيق قتل ابن هاشم
وهو رجل من بني هاشم خرج من العراق على معاوية فأسسكه فاشار عليه عمرو وقتله فخالفه
وأطلقه فخرج عليه مرة أخرى فأنشد عمرو البيت والمشرطون يبخنون الى الحجاز ية في
مشله والخير ضد الشر وهو ثاني مقعولى أمر بتعدى اليه بنفسه تارة وبالباة أخرى وهما
في البيت وأتمرت اقتعلت منه للمطاوعة وهو كناية عن عدم الفعل والاستقامة الاعتدال
قال شيخ الاسلام قبل حقيقة في الاجسام مجاز في المعاني يقال استقام له الامر ومنه فاستقيموا
اليه والاستقامة الشرعية هي لزوم الطاعة كذا قال بعضهم وقال البيضاوى اتباع الحق
والقيام بالعدل ولزوم المنهج المستقيم وذلك خطب حسيب لا يحصل الا لمن أشرف قلبه
بالانوار القدسية وتخلص من الكدرات البشرية وأيده الله من عنده وقليل ما هم اه ولذا
كان من جوامع كاهه عليه الصلاة والسلام مارواه سفيان بن عبد الله قال قلت يا رسول الله
قل لي في الاسلام قولاً لا أسأل عنه أحد غيرك قال قل آمنت بالله ثم استقم وهو مترع من
قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولعظم أمر
الاستقامة قال عليه الصلاة والسلام حين قيل له قد أسرع قلب الشيب شيمتني هو دقيبل
ما فيها من قصص الامم السابقة وهلاكهم وقيل آية فاستقم كما أمرت وعن بعضهم رأيت
النبي عليه الصلاة والسلام في النوم فقلت روى عنك أنك قلت شيمتني هو دقيبل ندم
فقلت ما الذي شيمك منها أخصص الانبياء وهلاك الامم قال لا وان كان قوله فاستقم كما
أمرت كذا في العدة والاستفهام في فما الح انكارى أى لا حقيقة لقولي لك استقم لعدم
موافقة للفعل ومعنى البيت واضح مما قررناه الا أنه بقي عليه شئ وهو أنه أمر ونهى فيما

تقدم فكان الواجب أن يقول أمرتك ونهيتك والجواب من وجهين الأول أن يكون استعمل
الامر في مطلق الطلب مجازاً فيصرف على الامر والنهي فان قلت تعلمه بالخبر يمنع قلت
لان متعلق النهي الكف عن النهي عنده فهو فعل خبير التاني أن يكون ناظراً الى المقصود
والمثال من الامر والنواهي وهو فعل الخبرات فيكون حاصل تلك الاوامر والنواهي افعل
الخبر ويؤيده قوله فا قولك استقم فكانه يشير به الى توجيهه صديقه

ولا تزودت قبل الموت نافلة * ولم أصل سوى فرضي ولم أصم *

زيادة تويج لنفسه عما تقدم في البيتين قبله والتردد تكلف الزاد واتخاذ وأصل الزاد
الطعام الذي يتخذ للانتفاع به في السفر ثم تجوز به عن اعمال البر النافعة قال تعالى
وتزودوا فان خير الزاد التقوى والموت ضد الحياة وقيل عدم الحياة عما من شأنه الحياة
والنافلة والنقل العظيمة تطوعاً ونافلة العبادة المتطوع بها لعدم وجوبها وأصل من الصلاة
وهي العبادة المخصوصة والفرض والواجب مترادفان ومعناها ما أوجب الله تعالى على
العبد أي طلبه طلباً جازماً وقال أبو حنيفة الفرض ما ثبت بقطعي كالصلوات الخمس والواجب
ما ثبت بظني كالزور والصوم الامسال عن الشيء قال أبو عبيدة كل ممسك عن طعام أو شراب
أو كلام أو غيرها فهو صائم ومنه اني نذرت للرحمن صوماً أي صمتاً وفي الشرع العبادة المعروفة
وحذف الاستثناء منه لقريئة السابق والمعنى لم آخذ من النافلة زادا لسفر الآخرة قبل حلول
الموت الموجب للفوات واقتصرت على فرائض فلم أصل سوى الفرض ولم أصم سوى الفرض
وبهذا العطف بين أن المنفي النافلة المستقلة فلا يرد أن أداء الفرائض يستلزم أداء بعض
النوافل وهو ما اشتملت عليه الفريضة كسنة الصلاة ومندوباتها ولا يحتاج الى الجواب بأن
كلامه مبني على المجاز والمبالغة وجاء في الحديث القدسي لا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل
حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها
ورجله التي يمشي بها واثني سائياً لأعطينه واثني استعاذني لأعيننه * وجاء في فضل النافلة
ما رواه أبو هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ما يجاسب به العبد
يوم القيامة من عمله صلاته فان صلحت فقد أفلح وأنجح وان فسدت فقد خاب وخسر وان انتقص
من فريضته قال الرب سبحانه انظر واهل لعبدى من تطوع فيك عمل به ما انتقص من
الفريضة ثم يكون سائر عمله كذلك قال ابن العربي في العارضة يحتمل أنه يكمل ما انتقص من
أعداد الصلاة بفضل التطوع ويحتمل ما انتقص من الجشوع ونحوه والاول أظهر * فان قلت
أي وجه لتخصيص نفي نافلة الصلاة والصوم بالذكر بعد التعميم * قلت بوجه بأن فيه زيادة
تأكيد لنفي النافلة من حيث أن نافلة الصلاة من فعل هو عماد الدين ونافلة الصوم من فعل
ورد في شأنه كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وأنا أجازي به وما كان كذلك حدير بصرف
الهمة اليه فاهماله يستدعي اهمال غيره بطريق آخرى وبأنهما من الأفعال البدنية
والشأن أن الجسد يها دون الجسد بالماليات لتكون النفس محبولة على حب الدنيا وتمام
المناسبة لقوله بعد

طلبت سنة من أحيا الظلام الى * أن اشمتك قدماء الضر من ورم *

فيحسن بذلك له التخلص كما استعرفه ان شاء الله والظلم الجور والسنة الطريفة واحياء الظلام
مجاز في قيامه والقدمان تنبية القدم وهي طرف الرجل مما يلي الأصابع والضر بالضم
الهزال وسوء الحال والورم الانتفاخ واشتكت قدماء الخ على تشبيه خالها في بلوغ الضرر
بهاجمالة الشاكي أو شكت بالناس حال والمعنى اني بذلك الامر الذي هو ترك النافلة خالفت
طريق النبي صلى الله عليه وسلم ولم أتبعها فظلمت احقها من الاتباع المأمور به في غير ما نص
وروى القاضي في الشفاء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء
الراشدين تسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة
وكل بدعة ضلالة وروى عن عمرو بن عوف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهلال بن الحرث
من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي كان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان يقص
ذلك من أجورهم شيئاً ومن أبدع بدعة ضلالة لا ترضى الله ورسوله كان عليه مثل آتام من عمل
بها لا يقص ذلك من أوزار الناس شيئاً اه واختار الوصلية ايماء الى وجه بناء المخالفة بذلك
الترك وإشارة الى اختصاصه عليه الصلاة والسلام بمشهور الصلوة حتى يقوم مقام اسمه
في الدلالة عليه ووافق الجملة الاولى ما خوذ بمماري عن عائشة أم المؤمنين رضيت الله عنها قالت
قام صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه وفي رواية حتى تظفرت فقلت له لم تصنع هذا
يا رسول الله وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبداً شكوراً اه
وروى انه لما تورمت قدماه من القيام نزل عليه جبريل عليه السلام بقوله تعالى طه
ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى الآية وفضيلة قيام الليل من حيث التمكن
من الجشوع والتضرع والبعد من أسباب الرياء جاء أن الله يباهي بقوام الليل الملائكة
يقول انظر الى عبادي قد قاموا في ظلام الليل لا يراهم أحد غيري أشهدكم أني قد أحتهم
داركم اتي وعن أبي مالك الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة غرفاً
يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدتها الله لمن ألان الكلام وأطعم الطعام
وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام اه وكفاه دليل على فضيلته قوله تعالى تتحافى
جنوهم عن المضاجع هذا وان رجع الى صفيح المصنف في النظم فنقول انتقل من التغزل
وما بعده الى المقصود من مدح صلى الله عليه وسلم مع رعاية الملازمة وحسن الارتباط وذلك
المسمى بالتخلص عند أهل البيدع وبشرط حسنه رشاقة المعنى ودقة الاتقال بحيث لا يشعر
السامع بالانتقال من المعنى الاول الا وقد وقع في التاني لسددة المصارحة والالتزام بينهما وبشرطه
أن لا يرجع الى المعنى الاول وان لا يقتضى الكلام عنده فان كان أحدهما فهو الاستطراد
فن جيداً التخلصات قول أبي نواس

واذا جلست الى المدام وشربها * فاجعل حديثك كله في الكاس

واذا نزع عن الغواية فليكن * لله ذلك النزاع للأناس

واذا أردت مدح قوم لم تكن * في مدحهم فامدح بنى العباس

وأحسن التخلصات ما كان في بيت كالتقدم وقول شيخ المعرة

ولو أن المطي لها عقول * وحملت نسد لها عقالا * مواصلة بهار حلى كافي

من الدنيا أراد بها انقباضها * سألت فقلت مقصدنا سعيد * فكان اسم الأمير لهن قال
 وأخذته فقلت في تخليص بمدح مولانا الأمير بطر زبا سمد يباحه هذا الشرح
 * معاللة بالصبح وهي عيسلة * وقد غرّها من كذب الفجر ما يمتد
 فقلت لها سرافيا صادق بشري * فقالت أحبل ان الأمير هو القصد
 ومن جيد التلخيص النبوية قول البدر الدماميني
 وان كنت في أيدي الحوادث فاصطبر * على مضها وابطس لا يملك العذرا
 ومهما ترى حسن التلخيص فامتدح * أحبل البرايا تغتم الاجر والفخرا
 * وشدت من سغب أحشائه وطوى * تحت الحجارة كشحا مترق الأدم *

شديعني ربط وأوثق وفي عين مضارعه الكسر والضم قال شيخ الاسلام قال الفرقاء مضارع
 فعل المضعف اللازم تكسر عينه وعين مضارع متعد به تضم الأشدته وعله فانه ورد في
 مضارعهما الضم والكسر وهو مقصور على السماع ومن تعليلية والسغب مصدر سغب
 بالكسر بمعنى جاع ومنه المسغبة والإحشاء جمع حشا وهو ما انضمت عليه الضلوع وطوى
 بمعنى ثنى والحجارة جمع حجر والسكع ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف وهو أقصر اضلاع
 الجنب ومترق على صيغة المفعول بمعنى منعم من أثره النعمة بمعنى فتمته والأدم بفتح الهمزة
 والدال اسم جمع أديم وهو الجلد والمعنى أنه عليه الصلاة والسلام شد أحشائه وأوثقها لأجل
 شدة الجوع الناشئ عن كثرة الصيام تسكيننا لألم الجوع وتبني كشحه الناعم الجلد تحت
 الحجارة لذلك وفيه دلالة على ما قاله من ظلم ستمه بقلة الصوم وانما كان شد الأحشاء والربط
 المذكوران يسكنان ألم الجوع من حيث ان الحرارة الغريزية اذا لم تجد شيئا في المعدة من
 الطعام انتشرت فعلقت بأكثر جواهر البدن ويستمد ضررها كما تصدّم فاذا ضم الجلد
 والأحشاء على المعدة اتحدت بعض الاتحاد فيقل الضرر ويقاسها على النار يزيد ما نافعها
 اذا أطلق التماسها ولم تغط كثر فعلها واذا غطيت قل وبرد الحارة يزيد كسرا لسورة الحرارة
 أيضا وفي وصف السكع بما ذكر زيادة تسكيت على نفسه حيث كان ذلك السكع الناعم قد
 شد على الحجارة المؤثرة فيه تأثيرا لا يكون في غير الناعم وشاهد الوصف الا قول مارواه مسلم
 عن أنس رضي الله عنه قال جثت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فوجدته جالساً مع أصحابه
 يحدثهم وقد عصب بطنه بعصا به فقالوا من الجوع وشاهد الثاني مارواه البخاري في غزوة
 الخندق عن جابر رضي الله عنه اننا يوم الخندق نحفر فعرضت لنا كدية شديدة فجاؤا النبي صلى
 الله عليه وسلم فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق فقال صلى الله عليه وسلم اننا نزل لها ثم
 قام صلى الله عليه وسلم وبطنه معصوب بحجر ولبنا ثلاثة أيام لا نفوق ذواقا فآخذ النبي صلى
 الله عليه وسلم المعول فضرب فعاد كئيبا فقلت يا رسول الله اننذني الى البيت فقلت لا امرأتني
 رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم شيئا ما في ذلك صبر فعندك شيء فقالت عندى شعير وعناق
 فذبحت العناق وطحننت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة ثم جثت النبي صلى الله عليه وسلم
 والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تنضج فقلت طعم لي فقم أنت يا رسول
 الله ورجل أورجلان قال صلى الله عليه وسلم كم هو قد كرهته له قال صلى الله عليه وسلم كثير

طيب قل لها لا تزغ البرمة ولا الخبز من التنور حتى آق قال صلى الله عليه وسلم قوموا فقام
 المهاجرون والانصار فلما دخلت علي امرأتني قلت ويحك جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين
 والانصار ومن معهم قالت هل سألك قلت نعم فقال صلى الله عليه وسلم ادخلوا ولا تضاعطوا
 فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويقرب الى أصحابه فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شعوا
 وبقى بقية فقال صلى الله عليه وسلم كلي هذا أو أهدي فان الناس أصابتهم مجاعة وفي رواية
 سعيد عن جابر وهم ألف وأقسم بالله لا كلوا حتى تركوه وانصرفوا وان برمتنا لتغط كما هي
 وان يحبنا الخبز كما هو اه هذا وقد أورد شيخ الاسلام هنا سؤاله وهو أنه ثبت في الصحيح
 ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نسي الناس عن الوصال فعمل له انك تواصل فقال اني لست
 كهيتبتكم اني آبيت يطعمني ربي ويسقيني من هذه حاله كيف تألم بالجوع حتى يحتاج الى
 عصب بطنه وأجاب بأن المراد بذلك نقاء قوته وأن الله ضمن له ذلك كما تشهد به واقعة الكدية
 فلا يخجز عن القيام بالعبادات بخلاف غيره اه وهذا الجواب نقله في المواهب عن
 الجمهور في تأويل الحديث ونصه وقال الجمهور هو مجاز عن لازم الطعام والشراب وهو
 القوة فكأنه قال يعطيني قوة الأكل والشرب ويقوئني على أنواع العبادات من غير ضعف
 في القوة والمعنى أن يخلق فيسه الشبع والرى ويبعده أنه ينافي حال الصائم ويقوت المقصود من
 الصوم والواصل لان الجوع هو روح هذه العبادة قال القرطبي ويبعده أيضا النظر الى
 حاله عليه الصلاة والسلام فانه كان يجوع أكثر مما يشبع اه وبه تعلم أنه لا يصلح جوابا
 وقيل في تأويل الحديث المراد أنه يؤتى له بظعام وشراب من الجنة وذلك من جنس الثواب
 كما كل أهل الجنة في الجنة لا من جنس الطعام والشراب المتناولين في الدنيا حتى يبطلان
 الوصال ومعناه أنه يحصل له في الدنيا ما يحصل لهم في الجنة كرامة له صلى الله عليه وسلم وعليه
 يستدفع ذلك السؤال وقد يقال على ذلك يخرج ما للجمهور فان العبادة وان قضت بان بقاء
 القوة لا يلائم الجوع لكن من كرامته صلى الله عليه وسلم أن جمع له بين الحالتين تحصيلا
 لثواب الجوع أيضا هذا اذا كان قوله والمعنى الخ من زيادة التناقل وفي المواهب أيضا عن
 ابني القيم ورجب أن المراد في الحديث ما يغذيه الله به من معارفه وما يقبضه على قلبه من لذة
 مناجاته وقرّة عينه بقربه ونعيمه بحبه والشوق اليه وغير ذلك من الأحوال التي هي غذاء
 القلوب ونعيم الأرواح وقد يعنى هذا عن غذاء الاجسام كما قيل

لها أحاديث من ذكر الك تشغها * عن الشراب وتلهيها عن الزاد
 اذا اشتكت من كلال السر واعدتها * روح القدوم فقبها عند سعاد
 اه وما نقله الزركشي عن بعضهم من أن تعصيه الحجر على بطنه صلى الله عليه وسلم يحتمل
 أن يكون كعبادة العرب اذا خلت أجوافهم وغارت بطونهم وأنه فعل ذلك ليعلم أصحابه أنه
 ليس عندهما يستأثر به عليهم لاحقية الجوع واستشهاد الحديث ينافيه ما تقدم في ردنا ويل
 الجمهور وما سأتى من حديث عائشة رضي الله عنها
 * وراودته الجبال الشم من ذهب * عن نفسه فأراها أعياشهم *
 وراودته خادعته والشم جمع أشم بمعنى طويل وأراها من الرؤية البصرية والهمزة لتعدي أي

جعلها مبصرة والشهم ارتفاع قصبه الانف مع استواء أعلاه وهو كناية عن ارتفاع الهمة
وما في أعمار أئمة والمعنى أن فعله عليه الصلاة والسلام لما ذكر ليس لعيلته وفاقته كيف وقد
قال تعالى ووجدك غائلا فاعني وانما هولاء هذه في الدنيا ورغبته عنها والافتقار منها ما لم
يتمكن منها غيره فقد عرضت عليه الجمال العالية من الذهب فأبهاها وقابلها بارتفاع
معنوي أعلى قدر من ارتفاعها الحسني امتثالا لقول ربه ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به
ازواجه منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى * روى أن جبريل عليه
السلام نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك أتعب
أن اجعل لك هذه الجبال ذهبا وتسكون معك حيثما كنت فأطرق رسول الله صلى الله عليه
وسلم ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له ويجمعها من لا عقل له
فقال له جبريل عليه السلام ثبلك الله بالقول الثابت يا محمد وخرج الترمذي من حديث أبي
امامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي أن يجعل لي بطحاء مكة
ذهبا فقلت لا يارب ولكن أشبع يوم ما وأجوع يوما فاذا جعت أضربت اليك وذكرك اذا
شعبت حمدت وشكرت ومن أدلة زهده عليه السلام ما روى عن عائشة رضي الله عنها أنها
قالت لم يمتلئ جوف نبي الله سبحانه ولم يبت شكوى الى أحد وكانت الفاقة أحب اليه من
الغنى وان كان ليظلم جائعا لبتوى طول ليلته من الجوع فلا يمنعه سيام يومه ولو شاء سأل
ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورد عيشها وقد كنت أكبر رحمة مما أرى به واصمع بيدي على
دطنه وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا ما يقول يا عائشة مالي والدنيا
اخواني من أولى العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا الخضوع على حالهم فقد مواعلي
رهبهم فأكرم مثابهم وأجزل ثوابهم فأجدي أستحي ان ترفعت في معيشتي أن أكون غدا دونهم
وما من شيء أحب الي من الحقوق باخواني وأخلائتي قالت لها أقام بعد الاشهر احتى توفي
صوات الله وسلامه عليه اه وقد تبين أنه لا حقيقة لمراودة الجبال والأقرب في بيانه أن
يكون كناية عن شدة تمكنه من ذلك وقرب الحصول وعليه فن ذهب بيان للجبال وانكار
الشيخ ابن مرزوق له نظر لظاهر العبارة فتدبر

﴿ وأكدت زهده فيها ضرورته * ان الضرورة لا تعدو على العزم ﴾
التأكيدي والتوكيدي والثاني أفصح بمعنى التقوية والتثبيت والزهد ضد الرغبة وفعله بكسر
العين وفتحها لغة والضرورة الحاجة وعدا عليه يعدو عدا القبح والمدوعدوا ظلم وتجاوز
الحد ومنه فيسبوا الله عدوا وبغير علم والعزم جمع عصه وهي في الشرع قوة من الله في عبده
تمنعه عن ارتكاب شيء من المعاصي والمكروهات والمعنى مما يؤثر كزهده في جبال الذهب
ويثبتة احتياجا صلى الله عليه وسلم الى شيء منها وضرورته اليه ولا شك أن الأعراس عن
الشيء مع الاحتياج اليه أدل دليل على الزهد فيه ولما كان في هذا الأمر نوع غرابية من حيث
ان الضرورة توجب الأقبال على الشيء المحتاج اليه والاتفات اليه طبعيا وشرعا ألا ترى الى
اباحة تناول الميتة والخمر للضرورة زال تلك الغرابية بقوله ان الضرورة الخ أي ان عصمته
صلى الله عليه وسلم لا تعدو عليها الضرورة وتعلمها حتى يكون أمره تابعا لها ولا يخفى ما فيه

من ارسال المثل وقد تقدم له نظائر وفي ذلك إيماء الى أن الميل الى الدنيا مذموم وشاهده حجب
الدنيا رأس كل خطيئة وما قررنا علم أن لا حاجة الى تقدير المضان في العزم كما زعموا هذا
وشواهد ضرورية صلى الله عليه وسلم كثيرة منها ما في العجيجين عن عائشة رضي الله عنها أنها
قالت ان كمال محمد لم تكن شهر امانستتوقد نارا ان هو الا التمر والماء وعن سمك قال
سمعت النعمان بن بشير رضي الله عنه يقول لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم وما يحجد من
الدقل أي ردىء التمر ما عملا بطنه

﴿ وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من * لولا لم تخرج الدنيا من العدم ﴾
كيف استفهام انكارى والدعاء الى الشيء الحث عليه والدنا فعلى من الدنو وهو القرب
والعدم ضد الوجود وهو قسمان سابق ولاحق والمراد الأول والمعنى أن ضرورة من هو السبب
في وجود الدنيا بعد عدمها لا يتصور فيها أن تكون داعيته اليها موجب ارتفاعه عنها حيث
كانت من مستتبعتها ممتنقرا اليه في وجودها اقتنار المسبب الى السبب فبقه تأييدا تضمنه
قوله ان الضرورة الخ وما بيننا يعلم وجه ترك مفعول تدعو لأن الغرض بيان أن تلك الضرورة
لا تصلح أن تكون داعية الى الدنيا في ذاتها الا بيان المدعو من هو فتنبه له فقد غلطوا فيه وأكثروا
فيه الكلام وزعموا أن النظم لا يخفى من تعقيد قال شيخ الاسلام ان المعنى المقصود كيف
تدعو صلى الله عليه وسلم ضرورته الى الدنيا وهي انما خرجت من العدم لاجله الا أنه غير جار
على لفظ البيت والجارى عليه كيف تدعو الى الدنيا ضرورة الشخص الذي لولاه الخ فعلى
الأول يكون المستبعد أن تدعو الضرورة سبحانه صلى الله عليه وسلم وعلى الثاني لا يكون
تدعو متعلقا بمفعول فان ضمن معنى تيسل القاصر صح المعنى وان ترك على حقيقته من التعدى
فان قدرته النبي صلى الله عليه وسلم لقريظة السياق صح وعاد المعنى الى الأول وان لم يعين
وأطلق ليدل على العموم فالمعنى كل مدعو ولكن يخص النبي بالدعاء الى انالة الدنيا ولا يصح
مطلقا لاقتضائه أن لا تدعو ضرورته بعض أصحابه الى أن يسعي في اراتها عنه بشيء من
متاع الدنيا والواقع خلافه كما تقدم في حديث جابر ثم قال وبالجملة فالفاظ البيت لا يتخلو عن
تعقيد وفاق ويحتمل وجه آخر وهو أن يكون ضرورة متوينا في الاصل وحذف توينه
ضرورة ومن مفعول تدعو والمعنى لا تدعو الى الدنيا ضرورة أي ضرورة كانت عظيمة أو صغيرة
شخصا لولاه الخ وهذا الوجه في غاية الحسن اذ فيه نفي المطلق فيستلزم نفي التعقيد نفي فيه
ضعف التأليف أعني مخالفة القياس بحذف التنوين وذلك بوجوب كون الكلام غير فصيح
فان قلت الأول فيه التعقيد اللفظي أيضا قلت مفسدة التعقيد أخف من مفسدة ضعف
التأليف اه فانظر أيها الواقف عليه كيف ترك المعنى المقصود لنا ظم وخاض تلك البحور
من التسكفات واقحم مضائق تلك المعاني التي يعجز عن ادراك مفسدها المعاني والتأ
في تخليص نفسه من ورطبة فلق ما أبداه من التماسير الى نسبة البيت الى القلق والتعقيد
وهو يرى عنهما بشهادة العارف ثم ادعى أن حذف التنوين للضرورة من ضعف التأليف
المحل بالفصاحة ولا يلقى له مساعدا على ذلك ويقال له حيث دار البيت بين التعقيد المعنوي
وضعف التأليف وكان غير فصيح فامعنى البحث عليه من جهة البديع كما صنع وهل يكون

المحسن بحسنا لا يكونه تابعا للبلاغة المتوقعة على الفصاحة نسأل الله الهداية الى الصواب
 جنبه هذا وشاهد ما قاله الناظم ماروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال لى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لما اقرت آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد الاغفر لى فقال الله
 تعالى يا آدم فكيف عرفت محمد ولم أخلق قال يا رب انك لما خلقتنى بيدك ونفخت فى من
 روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوب بالا اله الا الله محمد رسول الله فعلت
 انك لم تضيف الى اسمك الا أحب الخلق اليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم انه أحب الخلق
 الى وادسا لتنى بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك نقله فى المواهب وفيه انه لما خرج
 آدم من الجنة رأى مكتوب باعلى ساق العرش وعلى كل موضع فى الجنة اسم محمد مقر وبالاسم
 الله فقال يا رب هذا محمد من هو فقال الله تعالى هذا ولدك الذى لولا ما خلقتك فقال يا رب
 بحرمة هذا الولد ارحم هذا الولد فتودى لو استسفعت الينا محمد فى أهل السموات والارض
 لشفعناك وفيه أيضا من حديث سلمان أنه قال هبط جبريل عليه السلام على النبي صلى
 الله عليه وسلم فقال ان ربك يقول لك ان كنت اتخذت ابراهيم خليلا فقد اتخذت حبيبا
 وما خلقت خلقا اكرم على منك ولقد خلقت الدنيا وأهلها الا عرفهم كرامتك ومزاملت عندى
 ولولا ان ما خلقت الدنيا اه وكان الخلال المحلى لم يطاع على هذا الحديث ولم ثبت سنته لديه
 فأتصر على ما قبله وتم الاستدلال للناظم بضم مقدمة أخرى مأخوذة من آيات فقال وآدم
 أبوا البشر وقد خلق الله لهم ما فى الارض وسخر لهم الشمس والقمر والليل والنهار وغير ذلك
 * محمد سيد الكونين والثقلين والقرينين من عرب ومن عجم *
 لفظ محمد بدل من من فى قوله ضرورة من أو من فى قوله ظلمت سنة من الخلام من ضمير لولاه وأحيا
 كاطنه شيخ الاسلام والغرض من تقديم الصفات وتأخير الاسم التشويق اليه كما يفعل بما يقصد
 تقريره وتثبيتته فى النفس لكونه الأهم والدليل على اختصاص الصفات بالمسمى فيكون
 كالشهادة بها وان رفع فهو خير مبتدأ محذوف ولا يفوت ذلك الغرض وعليهما اعزاب نينا
 والوصفين بعده ومحمد اسمه الشريف وعلمه المنصف سماه به حده عند المطلب رجا أن يحمد
 أهل السماء والارض كما هو مشهور ولما قالت أمه آمنة الامينة انى لما حملت به ودنت ولادته
 أنانى أت فقال قولى أعيدته بالواحد * من شر كل خاسد * ثم سميته محمدا قال السهيمى فى الروض
 الأنف أما أحمد وهو اسمه الذى سمي به على لسان عيسى وموسى عليهما الصلاة والسلام
 فانه منقول من الصفة التى معناها التفضيل فعنى أحمد أحد الخامدين لربه وكذلك هو
 فى المعنى لانه يقع عليه فى المقام المحمود محامد لم تفتح على أحد قبله فيحمد ربه ولذا يعقد
 له لواء الحمد وأما اسمه محمد فنقول من صفة أيضا وهو فى معنى محمود ولكن فيه معنى
 المبالغة والتكرار فالمحمد هو الذى حمد مرة بعد أخرى وقد طابق الاسم المسمى فانه صلى الله
 عليه وسلم محمود فى الدنيا عا هدى اليه ونفع به من العلم والحكمة ومحمود فى الأخرى بالشفاعة
 ثم انه لم يكن محمد حتى كان أحمد حدر به فنبأه وسرفه فلذلك تقدم اسمه أحمد على محمد
 فذكره عيسى وموسى به هذا باعتبار الترتيب فى الدنيا وكذلك فى الآخرة بحمد ربه بالمحمد
 التى يفتحها عليه فيكون أحمد الخامدين لربه ثم يشق فحمد على شفاعته فانظر كيف

ترتّب هذا الاسم قبل الاسم الآخر فى الذكر والوجود فى الدنيا والآخرة باختصار ولما كان
 محمد معنى محمود قال جسان بن ثابت رضى الله عنه
 أغر عليه للنبوّة خاتم * من الله من نور يلوح ويشهد * وضم الاله اسم النبي الى اسمه *
 اذا قال فى الخمس المؤذن أشهد * وشوقه من اسمه ليحله * فذوالعرش محمود وهذا محمد *
 قال فى المواهب وأخرج البخارى فى تاريخه الصغير من طريق على بن زيد قال كان أبو طالب
 يقول فشق الخ قال الشهاب القسطلانى فى مقصد الخصاص من المواهب مما اختص به صلى
 الله عليه وسلم ان التسمي باسمه ميمون نافع فى الدنيا والآخرة * روي ناعن أنس بن مالك رضى الله
 عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بوقف عبدان بين يدي الله تعالى فيؤمر بهما الى
 الجنة فيقولان رب بنام استأهلنا الجنة ولم نعمل عملا تجازىنا به الجنة فيقول الله تعالى ادخلا
 الجنة فانى آلت على نفسي ان لا يدخل النار من اسمه أحمد ولا محمد وروى أبو نعيم عن نبيط
 ابن شريك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وعزنى وجلالى لا عذبت أحدا
 تسمى باسمك فى النار اه ولذا يقول المصنف فى آخر النظم
 فان لى ذمة منه بتسميتى * محمدا وهو أوفى الخلق بالذم
 وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال ما من مائدة وضعت لخص عليها من اسمه محمد
 أو أحد الا قدس الله ذلك المنزل كل يوم مرتين رواه أبو منصور الديلى اه والسيد الخليل
 الكريم العظيم والكونين تشية كون مصدر التامة بمعنى الوجود والمراد به وجود الدنيا
 ووجود الآخرة والمراد أهلها والثقلين الانس والجن والقرينين تشية قرين وهو الجماعة
 الكثيرة وفسرهما بالعب والعجم وهما معروفان والقرين الاول من أولاد سام وهو ابن
 نوح باقاق النساءين وأما القرين الثانى فمنهم من شارك الاول فيه وهم فارس والروم ومنهم
 من هو ولد سام أصغر ابن نوح وهم القبط والسودان والبربر ومنهم من هو ولد يافث بن نوح
 وهم الترك والصقالبة وبأجوج وما أجوج وهذه أصول أنساب العرب بعد طوفان نوح
 عليه السلام * ثم ان العرب على طبقات ثلاث (الطبقة الاولى) العرب العاربة وهم
 عاد وثمود وطسم وجديس وأميم وعبيل وعبد بن ضخم وجرهم وحضر موت وكان مسكنهم
 جزيرة العرب المحتوية على اليمن والحجاز وحضر موت (الطبقة الثانية) العرب المستعربة
 وهم تبع وحمير والعماليق وغيرهم وكان غالب مسكنهم صنعاء اليمن (الطبقة الثالثة)
 العرب التابعة وقد اتفق النسابون على أنهم يرجعون الى ثلاثة أذساب عدنان وقحطان
 وقصاعة والاول من ولدا اسمعيل وفى الثالث خلاف والاصح أنه من قحطان * وهذا
 الصنف العربى بطبقاته الثلاثة له الفضيلة على غيرهما رواه الترمذى فى سننه أن النبي
 صلى الله عليه وسلم قام على المنبر فقال من أنا قالوا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم أنا
 محمد بن عبد المطلب ان الله تعالى خلق الخلق فجعلنى فى خيرهم ثم جعلهم فرقتين فجعلنى
 فى خيرهم فرقة ثم جعلهم قبائل فجعلنى فى خيرهم قبيلة ثم جعلهم بيوتا فجعلنى فى خيرهم
 بيتا اه وفى حديث الطبرانى ان الله اختار الخلق فأختار منهم نبي آدم ثم اختار نبي آدم
 فأختار منهم العرب ثم اختارنى من العرب فلم أزل خيارا من خيار الخوف مسلم قوله عليه

الصلوة والسلام ان الله اصطفى كائنة من ولد اسمعيل واصطفى قريشاً من كائنة واصطفى
من قريش بنى هاشم واصطفاى من بنى هاشم اه وفي الشفاء عن ابن عباس ان قريشاً
كانت نوراً بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق آدم بألني عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة
بتسبيحه فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأهبطني الله الى الارض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح وقذفني في صلب ابراهيم ثم لم
يزل الله تعالى ينقلني من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة حتى أخرجني بين أبوي ولم
يلتقيا على سقاح قط إلا فن أحب العرب فحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم
وأما حديث لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى فيخرج علي نفي الفضل في النسب الاسلامى
كحديث لا تتفولوني على يونس وبما ذكرناه تبين دليل المنصف على ما ادعاه وكفى شاهداً عليه
وما أرسلناك الا رحمة للعالمين قال الزركشي نبينا صلى الله عليه وسلم مستثني من الخلاف
في التقصيل بين الملك والبشر

ذكر النسب الشريف العالى * وسلسلة اليواقيت والآل * (محمد) صلى الله عليه وسلم
ابن سيدنا (عبد الله) الذي يعقب بذلك لان أباه نذر في حفرة زمزم لث جاءه عشرة بنين وعافوه
ليدخن أحدهم قرباناً فلما تم له أمره وتكامل له من البنين عشرة قام ليلة عند الكعبة فرأى
في المنام قائلاً يقول يا عبد المطالب أوف بتذرك لرب هذا البيت فاستيقظ وذبح كبشاً ثم نام
فرأى أن قرب ما هو أكبر من ذلك ففعل ولم يزل يتكبر زعمه الا امر الى أن قيل له في النوم
قرب أحد أولادك الذي نذرته فاغمم غمها شديد أو أقرع بين أولاده فخرجت على عبد الله وكان
أحب ولده اليه فقبضه وأخذ المشفر فقام اليه سادة قريش وقالوا لا تدنجه حتى تعذرفيه الى
ربك وقالوا انطلق الى سباح الكاهنة فقالت لهم كم الدية فيكم فقالوا عشرة من الابل فأشارت
عليهم بأن يساهموا بيته وبين عشرة من الابل فان خرج سهمهم عليه زادوا حتى تخرج عليها
ففعلا حتى بلغت الابل مائة فخرج سهمها ففكرت ولذا روى عنه عليه السلام أنه قال
أنا ابن الذبيحين يعني اسمعيل وعبد الله بن (عبد المطالب) واسمه شيبه الحمد وهو أول من
خضب بالسواد وعاش مائة وأربعين سنة قال الزرقاني في شرح المواهب كان حجاب الدعوة
محرم الخمر على نفسه قال ابن الأثير هو أول من تخنث بحراء كان اذا دخل شهر رمضان
صعد وأطعم المساكين وكان يقال له الفياض لجوده اه وهو القائل لما جاء أبرهة بالبعير
لهدم البيت * وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك * (ابن هاشم) واسمه عمرو
قال الزرقاني عن المنتقى انه كان أخيراً قومه وأعلاهم وكانت له مائدة لا ترفع في السراء ولا
في الضراء وكان نور رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بتوقد شعاعه وتبلا لأضياؤه
ولا يراه حبر الا قبل يده ولا يمر بشئ الا سجد له مات عن عشرين أو خمس وعشرين سنة
(ابن عبد مناف) واسمه المغيرة ساد في حياة أمه وكان يدعى القوم بلجماله قال الواقدي كان
فيه نور رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الزبير بن موسى بن عقبة أنه وجد كعبة في حجر
أنا المغيرة بن قصى أمير قصى الله وصله الرحم (ابن قصى) بضم القاف واسمه زيد وقيل يزيد
كان عالم قريش وأقومها بالحق (ابن كلاب) بكسر الكاف واسمه حكيم وقيل عروة (ابن حمزة)

بضم الميم (ابن كعب) وهو أول من جمع الناس يوم العروبة وكانت تجتمع اليه قريش في هذا
اليوم فيخطبهم ويذكرهم ببعث النبي صلى الله عليه وسلم ويعلمهم بأنه من ولده ويأمرهم
باتباعه والايمان به ويفسد في ذلك أياماً منها قوله
يا ليتني شاهد فواء دعوته * اذا قريش تبغى الحق خذلاتنا

(ابن لؤي) بضم اللام والهمزة وقد تسهل واوا (ابن غالب بن فهر) بكسر الفاء واسمه
قريش واليه تنسب القبيلة (ابن مالك بن النضر) واسمه قيس (ابن كائنة) بكسر الكاف
(ابن خزيمه) بالتصغير (ابن مدركة) بضم فسكون ففتح سمى به لادراكه كل عز وغر كان في
آبائه واسمه عمرو وكان فيه نور المصطفى صلى الله عليه وسلم بينا (ابن الياس) بكسر الهمزة
وفتحها وهو أول من أهدى البدن الى البيت الحرام ويذكر أنه كان يسهر في صلبه تلبية النبي
صلى الله عليه وسلم بالحج ولم يزل العرب تعظمه تعظيم أهل الحكمة كقمان وأشباهاه (ابن
مضر) بضم ففتح وهو أول من سن الحداء روى أنه سقط عن بعيره وهو شاب فانكسرت يده
فقال يا بيا له فأتت اليه الابل من الرعي وكان من أحسن الناس صوتاً فلما صح وركب حدا وفي
ربيع الأبرار قال النبي صلى الله عليه وسلم أتدرون متى كان الحداء قالوا بل بآبينا وأمنأ قال ان
أباكم مضر خرج في مال له فوجد غلامه قد تفرقت عليه ابه فضربه على يده بالعصا فعد الغلام
في الوادي وهو يصيح وايداه وايداه فسمعت الابل صوته فتمعظفت عليه فقال مضر لو اشتق
من الكلام مثل هذا لكان شياً تجتمع عليه الابل فاشتق الحداء (ابن نزار) بكسر النون
(ابن معد) بفتحين وتشديد الال (ابن عدنان) روى أنه أول من كسا الكعبة واليه يقضى
النسب الطيب وما فوقه كذب كذا في الحديث وأما أمه عليه السلام فهي السيدة آمنة الامينة
ابنة وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب وفيه تجتمع السلسلتان * واعلم * أن هذا النسب
الطاهر محمود بطرفه على سبقت النجاة سالك الملة الخنيفية دين ابراهيم عليه السلام قال
الامام فخر الدين الرازي في أسرار التنزيل مما يدل على أن آباءه عليه الصلاة والسلام
لم يكونوا مشركين قوله عليه الصلاة والسلام لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام
الطاهرات وقال تعالى انما المشركون نجس فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركاً
قال الزرقاني وقد ارتضى ذلك العلامة السنوسى والتمساني محشى الشفاء فقالا لم يتقدم لوالديه
صلى الله عليه وسلم شركاً لانه عليه السلام انتقل من الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة
ولا يكون ذلك الا مع الايمان بالله وما نقله المتأخرون فله حياء وأدب اه وتقبل الزرقاني عن
جلال الدين السيوطي رحمه الله استدلالاً لطيفاً على ذلك من كان من مقدمتين احدهما ما ثبت
في الاحاديث الصحيحة أن كل جدم من أجداده صلى الله عليه وسلم خير قريته كحديث البخاري
بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرأنا حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه والمقدمة الثانية
ما ثبت أن الأرض لم تخل من سبعة مسلمين فصاعد ايدفع الله بهم عن أهل الارض أخرج عبد
الرزاق وابن المنذر بسند صحيح على شرط الشيخين عن علي قال لم يزل على وجه الارض سبعة
مسلمون فصاعداً فلو لا ذلك لهلكت الارض ومن عليها وأخرج أحمد بسند صحيح على شرط
الشيخين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ما خلت الارض من بعد نوح من سبعة يرفع الله بهم

يخفي وما أحسن ما يفسب الى الامام الشافعي رضي الله عنه في ذلك المعنى
 وهما زادني شرفا وتبها * وكدت بأخصى أطأ التريا
 دخولي تحت قولك باعبادي * وأن صيرت أجدلى نبيا
 وقد جمع الناظم في البيت بين تطابق الاسمين والحرفين ومن المعجز في الأول قوله عز اسمه
 وما يستوى الاعمي والبصير ولا الظلمات ولا النور وفي الثاني لها ما كسبت وعليها
 ما اكتسبت وفي العمدة من الطباق الحسن قول اعرابي خرجنا حفاة حين اتعل كل شيء
 ظله وما زادنا الا التوكل ولا مطا بانا الا الأرجل حتى لحقنا بالقوم وقال آخر صاحب ان يسار
 النفس أفضل من يسار المال فان لم ترزق غنى فلا تحرم تقوى فرب شعبان من النعم غرثان
 من السكر (واعلم) أن المؤمن على خير ترحب به الارض وتبشر به السماء ولن يساء اليه في
 بطنها وقد أحسن على ظهرها اه وفي قوله فلا أحد الخ التقسيم وهو استقصاء أقسام الشيء
 وكأنه أخذ من قول نصيب فقال فريق القوم لا وفريقهم * نعم وفريق قال ويحلم أدر
 فقد قيل انه أفضل بيت وقع فيه التقسيم وبما بيننا علم أن ليس قوله لا ونعم من الف والفتى
 المعكوس كما قال شيخ الاسلام
 * هو الحبيب الذي ترجى شفاعته * لكل هول من الأهوال مقتم *
 الحبيب بمعنى المحبوب والمراد محبوب الله والقصر المستفاد من تعريف الخبر ما باعتبار التسمية
 أو بجزءا معنى الكمال كما سيظهر ان شاء الله فلا يريد يحبهم ويحبونه وترجى بالبناء للغائب
 من الرجاء حمدودا وهو الامل في الصحاح وقد يكون الرجاء بمعنى الخوف قال الله تعالى مالكم
 لا ترجون الله وقار أي لا تتخافون عظيمة قال أبو ذؤيب
 اذا لسعته النحل لم يرج لسعها * وحالفها في بيت نوب عواسل
 والشفاعة في اللغة الوسيلة وعليه قول قيس بن الملوح
 ونبتت ليلي أرسلت بشفاعة * الى فهل انفس ليلي شفيعها
 وقريب من ذلك ما في العرف أنها طلب الخير للغير والهول الفرع مصدر هاله الشيء حوله اذا
 أفرغه ومنه الهولة بالضم اسم لتار الخفاف في الصحاح قال أبو عبيدة كان في الجاهلية لكل
 قوم نار وعليها سدنة فاذا وقع بين رجلين خصومة جا آ الى النار فيخاف عندها وكان السدنة
 يطرحون فيها الحما من حيث لا يشعرهم ولون بها عليه قال أوس
 اذا استقبلته الشمس صد بوجهه * كما صد عن نار الهول حالف
 ومن الأهوال صفة والحرف للتبعيض كما قال ابن القصار ومقتم اسم مفعول من اقتحمت
 الشيء اذا رميت نفسك فيه من غير روية والمراد منه هنا لازمه وهو الوقوع فيه بغمته بلا طيب
 نفس والمعنى أن نبينا عليه السلام هو المحبوب لله الذي يرجو الخلائق شفاعته وطلبه الخير
 لهم من الله عز اسمه عند كل الأهوال والشدائد المفزعة أولا جلاها حيث تبغتهم ويحسون
 للوقوع فيها واختار صيغة المضارع في الصلة لقصد ما تشعر به من الاستمرار التجدي
 فيناشب العموم الشامل لاهوال الدنيا والآخرة هذا وقد طفت الأحاديث بأنه عليه السلام
 حبيب الله وأخاهم ثم يومئذ يومئذ التي شاركت فيها الخليل عليه السلام وينا في الشفاء

لاي الفضل عياض رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جلس ناس من أصحاب رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دن منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم
 فقال بعضهم بحبان الله قد اتخذ ابراهيم من خلقه خليلا وقال آخر ما ذابا محب من كلام
 موسى كنه الله تكليما وقال آخر فبعسى كلمة الله وروحه وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج
 عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد سمعت كلامكم ومحبكم ان الله اتخذ ابراهيم
 خليلا وهو كذلك وموسى نبي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله
 وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا نخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا نخر وأنا أول شافع
 وأول مشفع ولا نخر وأنا أول من يحسب لخلق الجنة فيقع الله لي فيه خليلها ومعي فقراء
 المؤمنين ولا نخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا نخر وفيه من طريقتي عبد الله بن مسعود
 وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وقد اضطربت الآراء في أي المرتبتين أفضل وموجب الشبهة
 اختصاصه عليه السلام بمرتبة المحبة وقد ظهر للذهن السكليل أن أئبنا ما ناشا من ترعا من
 كلام أئمة الدين المذكور في كتاب الشفاء من غير تصريح بحبنا عليه الانفصال فأقول أولا
 قد تقدم بيان المحبة بما لا مزيد عليه مما علمت به استحسانا على الذات العلية وان مثلها ان ورد
 في حقه منظور فيه الى الوازم ولذا قال القاضي أبو الفضل رحمه الله محبة الله لعبده تمكنه
 من سعادته وعصمته وتوفيقه وتثبيتته لاسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف
 الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصره فيكون كما قال في الحديث فاذا أجمعته
 كنت سمعته الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ولا يقبني أن يفهم من
 هذا سوى التجرد والانقطاع اليه والاعراض عن غيره وصفاء القلب له واخلاص الحركات
 له اه وهو بيان لما تقدم في الحب من قول بعضهم أوله يحبهم وآخره يحبونه ثم بعد هذا نقول
 ان الخليل فعيل بمعنى فاعل كعلمي بمعنى عالم كما صدر به القرطبي في تفسيره اما معنى الفقير المحتاج
 المنقطع الى من احتاج اليه أخذ من الخلة ما افتق وهو الحاجة وعليه قول زهير يمدح حرم بن
 سنان وان أتاه خليل يوم مسغبة * يقول لا غائب مالي ولا حرم
 ومن ثم قيل سمي ابراهيم عليه السلام خليلا لا تقطاعه باحتياجه الى الله تعالى مخلصا ما أريد
 أن يرحى في النار روى أنه لما رمى بالمنجنيق وصار في الهواء أتاه جبريل عليه السلام وقال له
 ألك حاجة فقال اما اليك فلا وعليه نحلة الله له نصرته اياه لما انقطع اليه وهذا المعنى ثابت
 لنبينا عليه الصلاة والسلام بلاربي وعليه يحمل حديث لو كنت تتخذ اخليليا غير ربي
 لاتخذت أبا بكر خليلا فلا يتأفاه ثبوت محبته عليه السلام لفاطمة وغيرها كما قيل وخيرية
 مرتبة المحبوبة على هذه المرتبة غنية عن البيان واما معنى الخلة في وده أخذ من الخلة
 بالضم بمعنى صقاء المودة واخلاصها وهو ما صرح به بشار في قوله
 قد تخلفت مسلأ الروح مني * وبدا سمي الخليل خليلا
 فاذا ما نطقت كنت حديثي * واذا ما سكت كنت الغليلا
 وعليه قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا يسع فيه ولا حيلة
 ولا شفاعة وقوله عز اسمه الا خلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو وعلى هذا فارق بين المرتبتين هو

الفرق بين مرتبتي المحب والمحبوب فاعتبر ما بينهما من البون الذي أدركه من قال
 فيا ليت قاضي الحب يحكم بيننا * وداعى الهوى لمادعاني دعاكم
 ولا حظ لازمه في جانب من استحبل عليه الحقيقة جمل ثناؤه وهذا ما أراده من قال كما في
 الشفاء الخليل يصل بالواسطة لقوله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض
 والحبيب يصل المسبه لقوله فكان قال قوسن أو أدق وقول من قال الخليل قال ولا تخزني
 والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي فابتدئ بالمشارة قبل السؤال والخليل قال في المحنة
 حسبي الله والحبيب قيل له يا أيها النبي حسبي الله والخليل قال واجعل لي لسان صدق في
 الآخرين والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك أعطى بلاسؤال والخليل قال واجنبي وبنى أن
 نعبد الأصنام والحبيب قيل له اغار بد الله لينذهب عنكم الرجس أهل البيت اه واذا
 ذقت لطافة وسوف يعطيك ربك فترضى وحديث لولا أن الحبيب يحب معاينة حبيبه
 ما حاسبت أمتك سر أو لأجهرا أتضح لك منار ذلك المقام واذا كنت على يقين مما أرناك
 ونبغت في الأدب وحداثي البلاغة أدركت ما في الحديث السابق عن ابن عباس من المرتبة
 البلاغية المعلنة بصدق قوله عليه السلام أنا أفصح العرب حيث جمع فيه خرايا خصه الله بها
 امتنا تأمنه وفضلا معلنة بما له لديه من شديد المسكنة بما ساه على أنه حبيب الله وان كان خليله كما
 في غير ذلك الحديث وتبين لك حسن وصف الحبيب بالذي ترحى شفاعته في كلام الناظم اغترافا
 من بحر بلاغة الحديث وان الأولى نسخ وهو الحبيب الخ على منوال هو البطل المحامي فلا
 قصر وان راعيته فاما باعتبار التسمية وهو بعيد واما باعتبار قصر الجف من راعة لكلمة فيه
 واما باعتبار الوصف وعموم الشفاعة فانها وان ورد النص بثبوتها غيره عليه السلام لكن
 لا على وجه الاستعراق لكل مفزع وأنت تعلم الخلاف في الشفاعة وانكار المعتزلة لها وان
 لتبيننا عليه الصلاة والسلام شفاعات أممها شفاعاة الموقف لتجيب الحساب وان شئت
 استفاء أقسامها وما ورد فيها من الاحاديث فعليك بالباب الثالث من القسم الأول من كتاب
 الشفاء

دعا الى الله فالستمسكون به * مستمسكون بحبل غير منقسم

سان لرسالته عليه السلام وأصل الدعاء النداء وطلب الاقبال استعمل في تبليغ الرسالة
 والأمر بما مثال الأمر واحتجاب النواهي لما فيه من طلب الاقبال من المدعو على المدعو
 اليه والى الله على حذف المضاف أي دين الله وهو الاسلام والفاء للتفريع والمستمسكون من
 استمسك بالشيء فاستمسك به وتمسك به وامتسك به اعتصم به ومنقسم من فهمت الشيء كسره من
 غير أن تبين أجزاءه وأما القسم فهو الكسر مع المينونة ومن ثم اختار الاول المصنف لان نفيه
 يستلزم نفي الثاني دون العكس والمعنى أنه عليه الصلاة والسلام لما بعثه الله تعالى دعا كل
 أحد الى دين الله فن أجابه وتمسك به واتبعه كان كالتمسك بحبل متين لكونه داعيا الى الله
 وما أخذ هذا قوله تعالى يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه
 وسراجا منيرا وقوله تعالى لن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى
 لا انفصام لها وفي تغليق الدعاء بعنوان لفظ الجلالة الاله على صفتي الجلال والجمال ايماء الى

ان دعاءه ما بين ترغيب وترهيب وذلك مضمون البشارة والندارة وفي مادة الدعاء ترجيح جانب
 الترغيب ويؤيده ما ورد في الحديث مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل بنى دارا وصنع مأثمة
 وأمر دعا يذعو الناس الى تلك الدار فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المائدة ومن لا
 فلا وحذف المفعول في البيت اقتداء بالنظم القرآني للدلالة على العموم فيفيد عموم رسالته
 لكل أحد من الجن والانس وهو الواجب اعتقاده وانكار اليهود والنصارى ذلك وزعمهم
 التخصيص بالعرب فرط بلادة ضربت عليهم أيما تقفوا وقوله في الآية باذنه اشارة الى
 ما صرح فيه بالامر بذلك من الآي كقوله تعالى وهو أول آية في الرسالة يا أيها المدثر قم فأنذر
 الآية قال أبو القاسم السهيلي في الروض الانف قال بعض أهل العلم في تسميته اياه بالمدثر في
 هذا المقام ملطقة وتأتين ومن عادة العرب اذا قصدت الملاطفة أن تسمى المخاطب باسم
 مشتق من الحالة التي هو فيها كقول النبي لحذيفة قم يا نومان وقوله لعلي بن أبي طالب وقد ترب
 جنبه قم بأثر اب فلوناداه سبحانه وهو في تلك الحال من الكرب باسمه أو بالامر المحترم من هذه
 الملاحظة لها ذلك والبدء بها أيها المدثر علم أن ربه راض عنه فان قيل كيف ينظم يا أيها المدثر
 قم فأنذر وما الرابط بين المعنيين حتى يلبث في قانون البلاغة قلنا من صفته عليه السلام
 ما وصف به نفسه حين قال أنا النذير العريان وهو مثل معروف عند العرب يقال لمن أنذر يقرب
 العدو ويأمن في الأنداز هو النذير العريان وذلك أن النذير الحاد يجر دثوبه ويشير به اذا خاف
 أن يسبق العدو صوتة وقد قيل ان أصل المثل لرجل من ختم سلب العدو وثوبه وقطعوا يده
 فأنطلق الى قومه نذيرا على تلك الحال فقوله عليه السلام أنا النذير العريان أي مثلي مثل ذلك
 والتدثر بالثياب مضاد للتعري فكان في قوله يا أيها المدثر مع قوله قم فأنذر تشا كل بين والتشام
 يديع وسماة في المعنى وجزالة في اللفظ

فانق النبيين في خلق وفي خلق * ولم يدانوه في علم ولا كرم

فانق الرجل أصحابه يفوقهم فوقا ووقا أي علاهم بالشرف كذا في القاموس والخلق في الاصل
 التطوير ويطلق على النشأة والمراد به هنا الهيئة التي عليها نشأت الذات والخلق بضمه تين
 السجية والطبيعة كالخلق والمداينة المقاربة والعلم المعرفة والكرم السخاء والجود وفي
 المعارج الكرم فينا ملكة فطرية تتجمل صاحبها على البذل في غير مقابلة وبجازاة قوله
 مراتب ترجع الى صفاء تلك الملكة وكدورتها اه والمعنى أنه عليه الصلاة والسلام فاق
 على جميع النبيين في المحاسن الذاتية وفي جميع الاخلاق الطبيعية أخذان من عموم النكرة
 في الاثبات بقدرية المقام نحو علمت نفس كائن عليه الاصوليون وهذا الجمال خلقه وخلقه
 لتعذر تفصيله كما سبق قول اعياء الوري الخ ويتعرض للنز في قوله أكرم بخلق نبي الآيات ولم
 يقاربه في صفتي العلم والكرم وهذا كالا استثناء مما يقتضيه العلم من قرب المسافة فنبه على
 أنهم لم يقاربه في هاتين الصفتين كيف وان من حوده الدنيا ووضرتها ومن علومه علم اللوح
 والقلم وفي الحديث علم أمرني بتبليغه وعلم أمرني بكما انه يريد بالاول علم الشريعة وبالثاني
 علم سر الربوبية ومن ثم حكى مشيخة التصوف بأن افشاء سر الربوبية كفر كذا في المعارج والعلم
 في الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم طبيعة فطرية كما قال القاضي في الشفاء وأدعوا العلم

والحكمة في الفطرة قال تعالى وآتيناهم صيدا ومن تتبع سيرهم وقصصهم علم ذلك
 يقينا هذا وشواهد حسن خلقه صلى الله عليه وسلم متكاثرة منها ما في الشفاء عن علي كرم
 الله وجهه من رأه بديهة هابه ومن رأه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله
 عليه وسلم وشواهد حسن خلقه كذلك وكفى شهادة قوله عز وجل وأنت على خلق عظيم وعن
 عائشة كان خلقه القرآن انظر شرحه من شرح الشهاب على الشفاء وقد تضمن كلام
 الناظم أنه صلى الله عليه وسلم فاق جميع الخلق فيما ذكر لكونه فاق الأحسن كما في حديث
 أنس ما بعث الله نبيا الأحسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم أحسنهم وجها وأحسنهم
 صوتا ومن ثم قال الناظم في آخر النظم بيا كرم الخلق الخ

وكلامهم من رسول الله ملتصق * غرقا من البحر أو شفا من الدير *

الالتصاق بالطلب وفي المشهور بشرط موافقة المطالب والعرف مصدر غرق الماء سدى
 اذا تناولتمها والبحر معروف سمي به لعمقه واتساعه وجمعه أبحر وبحار وبحور والرشف
 مصدر رشفه يرشفه يرضه الشين وكسرهما اذا امتصه والرشف المرأة الطيبة النعم والديم جمع
 ديمة وهي المطر ليس فيه رعد ولا برق يدوم يوما ليلة واتصاب غرقا ورشفا على المفعولية للتمسك
 والمعنى على التشبيه أي شيا قلبلا كالغرف من البحر أو الرشف من الدير وكل من الظرفين
 لغو والتخريج على الاستعارة أو التشبيه المبلغ بحذف الاداة على طريق السعد والجهور
 وأول التشكك تقيها على المبالغة في القلة كما هو شأنه عند قصد المبالغة في الأوصاف ومن
 جيده قول ابن خنيس التمساني

ظفرت اليك بمثل عيني جؤذر * وتبسمت عن مثل سمطي جوهر

عن ناصع كالدرا أو كالبرق أو * كالطلع أو كالأقحوان مؤشر

والمعنى ان جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام ملتصقون من بحر معارفه صلى الله عليه وسلم
 شيئا بالغافي القلة مبلغ العرفقة من البحر أو الرشفة من الدير ومن البين أن الالتصاق المذكور
 نوراني لانه في المعارف والعلوم التي هي أنوار وحجج ثم كان معنى التماسها اتصال أشعتها
 بالتمسك كما سبق قول * فانه شمس فضلهم كواكبها الخ والتشبيه بما ذكرنا هو لبيان غاية
 القلة تنبيها للمعقول بالحسوس فلا يرد عليه أنه يقتضي نقصان معارفه بقدر ما التمسوا بخلاف
 البتة الآتي على أن لك أن تتجمل من في الظرفين متعلقة بحال مقدرة أي منسوب من البحر
 ويقسوا بامن الدير مثلها في حديث أنت مني بمنزلة هرون من موسى ويصكون المعنى أن
 ما التمسوه من أنواره بمثابة العرفقة منسوبة الى البحر والرشفة منسوبة الى الدير فلا يرد ما ذكر
 أصلا

وواقفون لديه عند حدتهم * من نقطة العلم أو من شكاة الحكم *

واقفون خبران روعي فيه المعنى كإروعي في ملتصق اللفظ ولدى بمعنى عند الأنها تختص
 بالحضور والحد المنتهي ومن يانته مشوبة بتبعيض والنقطة عند الحكم عرض لا ينقسم
 بوجه وهو نهاية الخط المنتقسم طولا وهو نهاية السطح المنتقسم طولا وعرضها وهو نهاية الجسم
 التعليمي المنتقسم عمقا أيضا والشكاة ما يميز به حال النطق بالحرف والحكم جمع حكمة

وهي اتقان علم الشيء ومن ثم قيل في قوله عز اسمه يؤتى الحكمة من يشاء عنها العلم النافع
 والإصابة في الأمور وقيل الفقه والعمل به والإضافة من إضافة المشبهة به الى المشبه أي علم
 كالنقطة وحكم كالشكاة ووجه الشبهة في الأول أن العلم المبشري متحد المسأل من حيث ان
 المقصد الحقيقي منه المعرفة بالله جل ثناؤه فجميع العلوم وسواؤها ومقاصدها راجعة اليها
 وهي جهة وحدتها وقصور النظر من الغالب أو جب التعبد في المقاصد بناء على الظاهر
 ومن ثم قيل العلم نقطة كثرتها الجاهلون ووجه الشبهة في الثاني أن الشكاة في الحرف
 بها يعرف حاله ويندفع اشكاله وفيه اتقان المقصود منه والحكمة كما تقدم اتقان العلم
 فتناسبا وأول تقسيم والمعنى أن جميع الانبياء عليهم السلام واقفون في حضرة الاولية عليه
 الصلاة والسلام عندما حدثهم من العلم والحكم وما قرأه علم أنه لا حاجة لبدلية عند
 من لدى مع فساده كالاتي ولا لما قيل في معنى البيت هذا وأصل معنى البيتين ماروي عن أبي
 سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح
 والجسد ومثله ماروي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم لما خلق الله آدم
 أهبطني في صلبه الى الارض وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذفني في النار في صلب
 ابراهيم ثم لم يزل ينقلني من الاصلاب السكرية الى الارحام الطاهرة حتى أخرجني بين أبي
 لم يلتقيا على سقاح قط والى هذا المعنى أشار عمه العباس بقوله

من قبلها طبت في الظلال وفي * مستودع حيث يخصف الورق * ثم هبطت البلاد لا بشر *

أنت ولا مضغة ولا علق * تتقل من صائب الى رحم * اذا مضى عالم بدأ طبق *

وتفصيله ما ذكره لطف الله في المعراج الثالث أنه اشتمر ما بين الخاص والعام ان أول ما خلق
 الله نور محمد صلى الله عليه وسلم أخذ من حديث أول ما خلق الله العقل فان الشيء الواحد
 قد يسمى باسماء متعددة باعتبارات وان ذلك النور تجزأ بفسط منه العوالم كلها وفي بعض
 الآثار أن الله أودع نوره في آدم ثم في حواء ثم في أمية بنت وهب وقد اتفق على الأولى
 الصوفية والمتشرعون والفلاسفة قالوا ان الصادر عن الحق تعالى قبل خلق كل شيء
 من عالم الامر والتمكين نور بسيط مجرد يعبر عنه بالعقل الأول والعقل الكل والروح
 الكل والقلم الاعلى والدرة البيضاء وغير ذلك ونعته الصوفية بنعوت بديعة قالوا انه قدس
 وتعالى لما أراد ان يكشف عن كلالته الازلية بالوجود التفصيلي أوجد ذلك النور البسيط
 وأودع فيه جميع كلالته التي كانت كثرًا مخفيا وأدرج فيه جميع ما يكون في العالم ومخفوقاته
 بحيث لم يشذ عنه فرد من الازل الى الابد فكأنه في المثال صورة علمه القديم تمثلت به
 فصامت بذاتها ولم يفتقه الا الوجوب والغنى الذاتيان والوحدة الذاتية بمعنى ان هذه
 الثلاثة لم يمكن تمثيلها في سوى ذات الحق تعالى كما يمكن غيرها من الكالات وسمي بذلك
 النور حقيقة محمدية ويعتقدون أن ذلك النور أول مرتبة من عالم الامر وأكملها
 وأعظمها وان منه وجود العوالم كلها على مراتبها وما ورد في الآثار مما يقتضي تجزئ ذلك
 النور المنافي لبطاقته كما قررر ومحمول على صحة نقله وكونه واردا على صدوله على ما يحال أمره
 الى العلم الخبير ولذا لم يذهب أحد من الطوائف التي اليها انتهى علم البشر بعد الانبياء

ان ذلك وذلك لان التجزئة من خواص المقدار وهو بالجسم ولم يكن في عالم الامر جسم ولا جسماني بمقتضى الكشف الصحيح عند الصوفية والاشراق بالتصوفية عند الاشراقيين والادلة العقلية عند الحكماء وانما ظهور ذلك العالم من ذلك الجوهر النوري الجزر بنسبة سببية خفية ليس له شبهة في عالم الخلق حتى يتوسل به الى فهمه فان قلت كيف ذلك وقد قام صلى الله عليه وسلم في صورة البشر لولائه وخواصه قلت قد ثبت في كشف المحققين أن النفوس الكاملة لا تقيد بموطن ولا تعيب عن حضرة ولا تعجب بشئ والحقيقة المحمديةأكملها وأقربها الى الحضرة الاحدية وبها ظهورات بحسب المواطن وطوال بحسب الآفاق كما كانت تنقل من ظهر الى آخر ومن جهة الى أخرى وليست في ذلك كما عجزتة ولا منتمصة ولذا صح عنه قوله عليه السلام كنت نبيا الحديث لانه لم يزل مبلغا للفيوضات الالهية والمعارف الربانية في كل عالم وموطن والظهور على حسب الاستعداد فلا تغررك الظواهر فانها حجب البواطن ومن لسان الجمع ارفع الاواني وحض في المعاني حتى تراني وله صلى الله عليه وسلم مطلق ولاية يسمى سر الخصوصية وهو جهة ارتباط باطن سره الى حضرة القدس ومطلق نبوة وهي جهة ارتباط ظاهره اليها فكل نبوة وولاية فهي خليفة من بحرهما اوشعاع من شمسهما فهو القسم الاول الكائن به ففتح قبل الوجود وكاله ولده استقر حسنه وجماله ومن ثم ظهر كل نبى بخصوص قوم وبجزة ومشرى ومعرفة ومملكة نفس وذات سر الوجود صلى الله عليه وسلم ما تقيد بشئ منها بل احتوى الكل في الكل ليمتدح آخردارته على أولها ويظهر سر قوله عز وجل كابدأ كم تعودون والقانون الكلى المتزم في جميع الحقائق الوجودية والكالات الظهورية انطباق البداية على النهاية حقيقة وشأن وحكما ومن ثم قيل في مطلع تنميس الهمزية

كنت نورا وكان ثم عماء * ونبيا وليس طين وماء * فاذا كان من علاك العلاء كيف ترقى ريقك الانبياء * يا ماما طامات اسماء اه بتصرف
 * فهو الذى تم معناه وصورته * ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم
 الفاء للتفريع دلالة على أن مدخولها نتيجة الكلام السابق والتمام الكمال والمراد بالمعنى هنا الحقيقة بدل المبالغة بالصورة أو ما عنى من الشئ أى أر يد منه والاصطفاء الاختيار والبارئ من أسماءه تعالى بمعنى الخالق والنسم جمع نسمة بالتحريك بمعنى الانسان والمعنى ان كان التفريع على فاق النبيين أنه الذى تمت صورته وأخلاقه الكريمة التى هى مدار المراد من البشر وذلك بنشأته وفطرته كما تقدم ثم بعد مضى مدته وهى أربعون سنة بعثه الله نبيا مصطفي حبيبا وان كان التفريع على وكلهم وما بعده كان معناه أنه الذى تمت حقيقة المحمدية وصورته النورانية في عالم الامر ثم ابرزه الله للوجود العيانى مصطفي حبيبا بمعناه الخاصة للرسالة

منزه عن شريك في محاسنه * فجوه الحسن فيه غير منقسم *
 أصل التثنية التباع من الماء كما قال ابن السكيت شاع من قولهم سقيت الى ثم زهتها الماء أى باعدتها ثم شاع في البعد عن النقيصة ومنها مشاركة من دون الاعلى له في كلالته

والمحاسن جمع الحسن على غير قياس وهو ضد التبج والجوهر النفيس من الاجار والعرف على اختصاصه بالدر وعند الحكماء المتخير بالا صالة الذى لا يقبل الانقسام والمعنى أنه عليه السلام باعده الله من أن يشاركه أحد في جميع محاسنه فكان حسنه الذى هو لتفاسته بالنسبة الى غيره كالجوهر الفرد لا يقبل الانقسام الذى هو أصل المشاركة وناسب ما بين الجوهر ونفى الانقسام باهام ما عند الحكماء فان قلت على ما اعتبرته من العموم في المحاسن أخذنا من اضافة الجمع رد المشاركة في وصفي النبوة والرسالة قلت ليست نبوته ورسالته كنبوة ورسالة غيره وقد مر شرحه فتذكر وكلمة فيه متعلقة بخذوف امانكرة حال أو معرفة صفة ان قلنا بجواز تقدير متعلق المستفوم معرفة وفي معنى البيت من التفرد بالمحاسن قول بعضهم

أضحى الجمال بأسره في أسره * فلاجل ذلك على القلوب استحوذا
 والله ما خطر السلو نجا طرى * مادمت في قيد الحياة ولا اذا
 ان عشت عشت على هواه وان أمت * وجداه به وصبا به يا حبيذا
 وقول الآخر وفيه ما فيه رشأتفرذ فيه قلبي بالهوى * لما عدا بجعله متفردا
 ومن جيد ذلك قول شيخ المعرفة مكنيا عنه

أعاذ محمدك عبد الله خالق * من أعين الشهب لامن أعين البشر
 فالعين يسلم منها مرات فنبت * عنه وتلحق ما تهوى من الصور
 * دمع ما دعتهم النصارى في نبيهم * واحكم بما شئت مدحافيه واحتسكهم

دع أمر بمعنى اترك مستعمل المضارع متروك الماضى والمصدر والصفتين استغناء بصرفات الترك وسجع نادرا ما ضيه في قوله ليت شعري عن خليلي ما الذى * غاله في الحب حتى ودعه ومنه حديث دعوا الحبسة ما ودعوكم وجاء في الشعر أيضا وصفه كقول خفاف بن بديعة اذا ما استحمت أرضه من سمائه * جرى وهو مودوع ورواعد مصدق

أى متروك لا يضرب ولا يترك كذا في الصحاح والنصارى جمع نصران ونصرانه كنداعى جمع بندان وندمانه ولم يستعمل المفرد الا لاساء القسب نسبة الى نصران قرية بالشام كان نزلها عيسى وأمه عليهما السلام وقيل سمو بذلك لتناصرهم وقيل لقوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام من أنصارى الى الله والمراد بقبيلهم عيسى بن مريم واحكم من الحكم بمعنى القضاء والمدح الثناء الحسن ويختص في أصله بالجميل الغير الاختيارى وان عم في العرف واحتسكهم من قولهم حكمتهم في كذا فاحتسكهم أى أجاز حكمه والمعنى اترك ما دعتهم النصارى في عيسى عليه السلام من دعوى الالهية واقض بما شئت من أنواع المدح في حقه فان حكمتك به ماض صادقة محله ودعوى النصارى الالهية عيسى متنوعة الى أقوال ثلاثة فمنهم من يقول هو اله ومنهم من يقول ابن الله ومنهم من يقول ابن الهين وهم مع اختلافهم مجمعون على التثليث ويقولون ان عيسى لاهوت وناسوت أى هو مركب من جزء الالهى وجزء انساني وفي اضافة النبي اليهم نداء بغبا وتهم وفرط بلادتهم فان معنى النبوة بيان معنى الالهية فان قلت لماذا عدل عن صيغة النهى الى صيغة الامر مع تلازم المعنيين من حيث ان الامر بالشئ نهى عن ضده واتحاد معنى كل هنا فان النهى طلب ترك الفعل والامر المذكور

طلب ترك قلت يعرف ذلك بمعرفة الفرق بين كف عن الفعل ولا تفعل وهو كما قال السيد ملاحظة الترك في الاول من حيث ذاته وفي الثاني من حيث كونه وسيلة لعرفه حال الفعل على ما هو الشأن في الفرق بين المدلول الحرفي وغيره عند اتحاد اصل المعنى ويتبع ذلك اعتبار تحصيل مصلحة الترك ودفع مفسدة الفعل فالقائل لا تضرب يدا معتبر لما في ضربه من المفسدة والقائل اترك ضربه يدمعته لما في الترك من المصلحة ولا تغتر بالتلازم فان للاولية مرتبة في المقاصد لا تسكر وبهذا يستنكر عند صاغه الكلام قول الحسن بن هاني

دع عنك لومي فان اللوم اغراء * ودأوى بالتى كانت هي الداء
ما لم يكن له في ميدان الصرف عن الظاهر مجال بان يقال التعليل منظور فيه للازمنة أعني ما في الترك من المصلحة وعلى ذلك تخرج نظائره وتطبيق هذا البيان على صنيع الناطم أن المقام لما كان للمدح كان باعتبار جاب مصلحة الترك أهم من ترك مفسدة الفعل وفيه ايماء لطيف الى شدة ما وقع فيه النصرارى من مناقضة المقصود تلك الدعوى حيث ضيعوا المدح بتلك الدعوى ووقعوا في الذم بها واليهما الاشارة بالتصريح بقوله مسدحان مدح المدح ووجه المقام ليس له ولا لتوعده ذم وان كان أعلى كما تقدم في مقدمة الكتاب وان وصلت الى قول من قال بمدح مدح كما تجب من كلام التقي

لئن جاد شعرا بن الحسين فانما * تحييد العطايا واليهما تفتح الله
تقبأعجبا بالقرىض ولودرى * بانك تروى شجره لتألهما

وقفت على الغاية من فساد القول المنبئ عن ضيق حضرة القائل فان قيل ما وجه الاقتصار على النصرارى وقد ادعى اليهود مثل دعواهم في عزير كما حكاها الله عنهم بقوله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصرارى المسيح ابن الله قلنا بوجه بأحد توجيهيهن أو وهما أنهما مقالة خاصة ببعض اليهود غير غامضة كقالة النصرارى قال القرطبي في تفسيره لفظ اليهود عام ومعناه الخصوص مثل قوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم قميل قائل ما حكي عنهم سلام من مشكم ونجمان بن أوفى وشاس بن قيس وما لك بن الضيف قالوه للنبي صلى الله عليه وسلم * وروى في سبب تلك المقالة أن اليهود لما قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام رفعت عنهم التوراة ومحييت من قلوبهم فخرج عزير يسبح في الارض فأتاه جبريل عليه السلام وقال له أين تذهب قال أطلب العلم فعلمه التوراة فغاءهم بها فقالوا لم يتأت هذا له الا وهو ابن الله اه ثاسهما أن الغرض من الامر الأول التنبيه على كون المقام أعلى مما ادعى فيه الألوهية حتى أنه يحتاج للتنبيه على ترك ما وقعوا فيه فهو بداية للمدح تلميحاً واعتبار عزير في التفصيل مخجل به كما قرر ومجرد الدعوى من اليهود فرط بلاهة لا يخفى وحقيقته تناسب الجملة ان أشد تناسب بحيث يتضح تناسقهما كالاتي في قوله

* وانسب الى ذاته ما شئت من شرف * وانسب الى قدره ما شئت من عظم
التسمة الاضافة وذات الشئ حقيقته والشرف العلو والمكان العالي والمجد ولا يكون
الابالاء أو علو الحساب من القاموس ومن حيث ان الشرف له رفعة معنوية كثيرة
ما يستعاره الجبل كما قال السموأل

لنا جبل يحتمله من تحجيره * منسبح برد الطرف وهو كليل
رسا أصله تحت الثرى وسخا به * الى النجم فرع لا يرام طويل
والقدر المبلغ كالقدر وعظم الامر ضد صغير يستعمل في الاجسام والمعاني وهو المراد هنا والمعنى أضف أيها المساح الى ذاته الكريمة ما أردت من أنواع الشرف التسبية والحسية والى قدره ما شئت من أنواع العظمة المدالة على كماله بقربة السابق فتخرج دعوى الألوهية لانها في مثله منقصة كما تقدم فان قلت ما الفرق بين معنى البيت وسابقه قلنا معنى السابق مدح ومعنى الثاني نسبة واعتقاد كما هو ظاهر اللفظتين والاول وان كان يستلزم الثاني دون العكس لكن صرح به دلالة بالمطابق وعلى مثله من الاكثار بنيت المدائح غير أن قوله في البيت بعده فيعرب عنه ناطق بعم لا يناسبه لتعريف رجوعه للسابق فيلزم الفصل ويحتل أمر النظام والوجه كما قيل أن البيت الثاني تفصيل لاجمال الاول لبيان استحسانه عليه السلام المدح لذاته ومقامه

وخاصيته من تمكن المعنى في النفس لا ينسكرو موقعها في باب المدح أو ما ترى قول السموأل اذا سيد منا خلا قام سيد * قوول بما قال الكرام فعول * وما أجمدت نار لنادون طارق * ولا ذمنا في النازلين نزيل * وأيامنا مشهورة في عدونا * لها غسر معلومة وخجول * فانك اذا تدبرت وجدت ما بعد البيت الاول شرحا لمضمونه ومن هذا متروك فيه حرف العطف قول أبي نواس الذي قال فيه بعضهم أجمع أهل العلم على أنه أجد قول في المدح للولدين أنت الذي تأخذ الايدي بحجزته * اذا الزمان على أنسائه كلها

وكلت بالدهر عيننا غير غافلة * من جود كفلت تأسوك ما جرحا
وأما قول شيخ الاسلام في الجواب ان مضمون البيت الاول الحكم على مدح الغير بالهجة والقبول ومضمون الثاني الامر بمدحك أنت في نفسك فلم يتحد معنى فهو مع قوله جدواه ونفور الطبع من مرماه لا يساير الامر في صدر البيت ولا قوله مسدحا الرجوع الى كلمة ما فان مقتضى ما قرره أن يقول صحة وفي البيتين مع ما مر من التفصيل بعد الاجمال الجمع مع التقسيم ومن جديده قول أبي الطيب

حتى أقام على أرباض خرسنة * يشقى به الروم والصلبان والبيع
للسبي ما نسكواوا القتل ما ولدوا * والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا
وخص الذات بالشرف لما أنه يرجع الى الحسب أو النسب وهما للذات لا للقدر بخلاف العظمة فانها في مقام المدح للمقام لا للذات وفي اناطة المدح بالمشيئة ايماء الى عدم استقصائه ضرورة ووقوف مشيئة الحادث عند حدثها وحينئذ جاء التعليل آخذاً بحجزه في قوله

* فان فضل رسول الله ليس له * حد فيعرب عنه ناطق بعم *
مفردات البيت غنية عن البيان والمعنى أنه لا يمكن استقصاء مدحه لانه لا غاية لفضله حتى يوقف بالمدح عليها وفي قوله بعم تقبيله على قصد الجنس وتخصيص على التعميم كما في قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها الآية والمراد رسول الله نبيا عليه السلام ولا مساع لمسا قبل يراد به الكلي لم يفهم أن في حد الفضل ثابت للجمع ويدخل فيه المقصود بالمدح فانه مع فساده في نفسه بشهادة قوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض والمقصود محدود

فضله ضرورة أنه معدي بالفضل لا يلاقى سياق الكلام ولا يقتظم مع كلامه السابق أعني قوله فاق النبيين الخ وما بعده

ولو ناسبت قدره آياته عظما * أحيانا اسمه حين يدعى دارس الرعم *

المناسبة المشاكلة والآيات جمع آية بمعنى العلامة والدارس من درس الرسم اذا عفا وذهب والرعم جمع رمة وهي العظام البالية والمعنى لو كانت آياته على قدر مقامه مماثلة له في العظمة لكان من آياته أن اسمه مهماد كراحيما الله البالي من العظام الذي لم يبق له أثر بركة ذكر اسمه عنده فقسمة الاحياء اليه مجازية ودارس الرعم منصوب بأحياء ولا وجه لغرضه ولا تعقيد في الكلام كما سبق الى الاوهام ومن حيث ان مضمون البيت الحكيم على الآيات بأنها غير مناسبة لمقامه ولو كانت مناسبة لكانت تلك الآية العظيمة تدفع ما قيل انه أعطى ما يساوي تلك الآية المفروضة في العظمة كالشفاعة الكبرى وغيرها من الشفاعات وكسلام الحجر والشجر وحنين الجذع وهذا نوع من الاحياء وفي حديث قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم طرحت بنية في وادي كذا فانطلق معه الى الوادي ونادى اها يا فلانة اجبي ياذن الله فقالت لبيك وسعديك فقال اها اسلم اوالك فان احييت رجعت اليها فقالت لا وجدت الله خيرا منهما اها وذلك ان الشفاعة ونحوها ليست من الآيات لتكونها من مغيبات الآخرة وأما ما بعده فهو وان كان يساوي المفروض في الكون احياء لكنه دونه في الدلالة للفرق التام ما بين ذاته الشريفة ومخاطبته الكريمة وما بين ذكر اسمه وهذا بين لا ستره فيه بقي أنه قيل عليه ان ما ادعاه من عدم المناسبة باطل لان من آياته القرآن وهو كلام الله وصفته فكيف يقال انه لم يناسب قدر النبي وفيه كما قال شيخ الاسلام انه مغالطة فان الجعول آية الحروف والاصوات التي هي مناط البلاغة والاعجاز دون الصفة فانها لا تقارن الموصوف وان اشترك المعنيان في الاطلاق اسم القرآن قال شيخ الاسلام وقد ذكرت بعض فضلاء المصريين في هذا الاشكال فذكر عن بعض فضلاء الحنم انه أجاب عنه بأن مبنى الشريعة على مناسبة كل آية لان آيات جمع مضاف فيعم والعام كلية لا كل وحينئذ لا يضره أن بعض الآيات مناسبة كل قال شيخ الاسلام واستحسن هذا الجواب حين ذكره ثم نظرت فيه فقرأته بفضي الى خلاف المقصود لانه انما يستثنى في هذه القضية تقيض التالي فينتج تقيض المتقدم أي لم يناسب كل فرد من آياته قدره نعم لو كان العام كالأصح فانه لا يلزم من نفي الحكم عن المجموع تقيضه عن كل فرد اها وفي كل من الجواب والبحث نظر أما الجواب فهو مبني على اعتبار الكلية كما قال وذلك مفسد لزم الشرط اذلا علة بين مناسبة تلك الآية المفروضة ومناسبة كل آية وانما المعنى على ازيادة الخف من الآيات ومناسبة بعض الخفس يوجب مناسبة الخفس وأما البحث فلأن نفي العموم لا يقتضي نفي كل فرد فنقول انما تناسب كل آية مقامه لا يقتضي أن كل آية لم تناسب مقامه فافهمه فان قيل ما وجه اعتبار سببية الذكر في الاحياء دون أمم آخرها فبني عن التعظيم فلنا ان للاسم نسبة من المسمى لا تختص ولما كان المسمى السبب في أصل الوجود وناسب أن يكون الاسم سببيا في الوجود الثاني قصد اللتشاكل وهو مأخوذ من قول شيخ المعرمة يمدح الشريف أبا إبراهيم

ولو كتب اسمه ملك هزيم * على رايته والى الفتوحا وعلى ذلك جاء قول سلطان العاشقين في خمر يته

ولو رسم الرائي حروف اسمها على * جبين مصابحن أبراه الرسم

فان المسمى لما كان مبرئاً من جنون الجهل والغبطة الذي هو الجنون حقيقة ناسب أن يكون الاسم مبرئاً من الجنون الحسي الظاهري وهذا البين تلاشت الأوهام فان قلت أي ربط بين البيت وسابقه قلنا فيه دلالة على عجز المدح الملوخ اليه بما يقو به الأمل شيبته والمبرج به بعد في نفي حد فضل المدح ووجه الدلالة هو أن الآيات أعظم مظهر لمقامه الرفيع وأسطع مصرح بشرفه الشاخص المنيع وكفالك أنها منبوطة بخرق العادة وقد وقع له منها ما لم يقع لغيره فاذا كانت دون مقامه لزم أن يكون كل مدح من الحادث وان تناهى الى غاية غير وافي بذلك لزم ما بيننا والله أعلم

لم يحتمنا نعيما العقول به * حرصا علينا فلم ترتب ولم نهم *

الاختبار الاختبار وتعبا به لم تهتم لوجهه في القاموس عبي بالأمر كرضى كتعبا واستعبا وتعبا لم يهتم لوجه مراده أو عجز عنه ولم يطبق احكامه والحرص شدة الطلب وبعد على مضاف أي على هذا ابتنا وترتب نسل ونهم من همام في أمره اذ لم يجد له مخرجا والمعنى أنه عليه الصلاة والسلام لم يأت بالآيات المصدقة لنبوته المقصود منها امتحان الامة في التصديق بما لا تهتدى العقول لوجه دلالة بل أتى بها على وفق ادراك العقول حرصا على هذا ابتنا فلم نسل في أمره ولم نخبر فيه والمقصود ابداء وجهه لسكون آياته دون مقامه وبيان أن الحكمة من نصب الآية تصديق الآتيها مدعى للنبوته ووجه دلالة لها عليه ادراكها وعلم انها خارجة عن المعتاد لا تكون الا بعناية الله تعالى لمن أتى بها فاذا لم يمكن الوصول اليها لم يمكن الايمان بها فلا يحصل التصديق بل يبقى الامر فيه تابعا لحالها من الحيرة فيها وقد تدرج لجهة عظمتها من غير وجه دلالة لها فيتمتع منها الى الخروج عن حاله الآتيها بتعبا عظيمة أمرها حتى يصل الامر الى دعوى الألوهية كواقع للنصارى فيحصل الهيام والضلال وقد مر بيان مرتبة الحقيقة المحمدية بما يتبين به أن لو كانت الآيات على قدرها لاشتبه الامر غاية الاشتباه ولم يكن منه محال الا بالعناية الصمدية وبما قررنا تبين لك وجه الاقتصار على نفي الشك والهيام واندفعت وساوس الاوهام وفي هذا الترتيب تسكيت تام على من لم يهتد بتلك الآية مع نصبها على وجه نفي من الشبه

أعيان الوري فهم معناه فليس يرى * للقرب والبعد فيه غير منقسم *

الوري الخلق والفهم العلم والمعرفة ومعناه ما يعنى منه وهو حاله وحقيقته ويرى مضارع المجهول من الرؤية العلمية لا البصرية كما لا يخفى واللام تتعلق بمخدوف جال من الثائب وأصله الصفة وفيه يتعلق بيري ومنقسم اسم فاعل من انقسم سكبت ولم يجب يقال ألجمته اذ أسكته في خصومة أو غيرها وفي الأساس هذا كلام مسدى ملحم كل فصحيه منقسم والمعنى أعيان جميع الخلق اذ الحقيقة المحمدية لعسر التوصل اليها والاجاطة بها على ما هي عليه فلا يعلم في شأنه غير ساكت عاجز عن التعبير بما يفيد أمره لعدم الوصول اليه فان اللسان ترجان

القلب ان الكلام في القوادخا * جعل اللسان على القوادد ليل
 حال كون ذلك المنعم مفسوباً للقرب منه والمعد واختار مادة الانفحام المدالة على الغلبة
 لنا نسبة الاعياء ونسبته الى الفهم مجازية والحقيقة اعيانهم الله بفهمه ولك ان تجوز
 بالانفحام فبراديه عجز العقل لا يجز الخطاب والاول أفيد فان قلت ما المراد من القرب والبعد
 قلنا يحتمل ارادة قرب الزمان وبعده وجدواه قليلة فانه لامرزية للقرب الحسي على البعد مع
 ضبط الاحوال وتناقض اخبارها في ادراك الحقائق اذ ليست مما يختص بالمشاهدة وان
 كان للعيان لطيف معني من جهة وجدانية التلذذ بالخطاب والاصوب ارادة القرب والبعد
 المعنويين فالقرب حالة ارباب القلوب الصافية والبواطن النقية الذين خصهم الله برفع
 الحجب فشاهدوا بواطنهم حضرة ملكوته والبعده حالة ارباب الظاهر الواقفين عندما كفوا
 به من ظواهر الحال فان قلت هلا اقتصر على القرب وبفهم امر البعد بالاولى قلت
 في ذلك اشعار بالاختلاف النفسي وأن للقرب فزية باقسية الى الادراك وذلك لخل المراد
 من الاستواء في الجهل الدال على شدة صعوبة الامر وان شئت فارجع بوجدانك الى قولك
 لتلذذ من مقام يعجز عن ثنائه العبي والفصح ويعجز عنه الفصح فأولى العبي تجد بينهما فرقا
 بينا واذا تبين لك معنى البيت علمت أنه تحقيق لضمون ما قبله ثم ضرب مثلا محسوسا لاستواء
 القريب والبعيد في الجهل بحقيقة ذلك الامر عند ذوى النهى لاف النفس
 بالمحسوسات فقال

* كالشمس تظهر للعينين من بعد * صغيرة وتكسر الطرف من أعم *

مفرداته بينة غير أن فيه تحريك عين بعد لاقامة الوزن والاعم القرب والمعنى أن الشمس
 تظهر للرأى البعيد منها صغيرة الجرم واذا نظر اليها القريب منها أعيت نظره بأشعتها
 المازعة من تثبته فلا يدركها فالقريب والبعيد استويا في الجهل بحقيقتها إلا أن جهل القريب
 بسيط وجهل البعيد مركب لانه أدركها على خلاف حقيقتها حيث رآها صغيرة كذلك حال
 القريب والبعيد منه عليه الصلاة والسلام فالبعيد يدرك بحسب قصور علمه على خلاف
 مقامه لانه لا يعلم منه الا ما ظهر والبعيد تحجبه أنوارها لسفينة الباهرة عن الوصول الى
 حقيقته فتساو باقى الجهل وان افترقا بالبساطة والتركيب وما أحسن قول شيخ المعرفة في هذا
 المعنى رأوك بالعين فاستعوتهم ظن * ولم يروك بفكر صادق الخبر
 والنجم تستغفر الابصار رؤيته * والذنب للعين لا للشم في الصغر
 هذا وضرب المحسوس مثلا للعقول لتتوصل به العقول طريقة بلاغية جاء عليها استعمال
 الكتاب المجيد في غير ما آية كقوله تعالى في حالة المناقنين مثلهم كمثل الذي استوفد نارا فلما
 أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون وقوله تعالى مثل نوره
 كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري الآية روى أن أباتمام
 لما مدح العباس بسينيته التي يقول فيها

أقدام عمرو في سماحة حاتم * في حلم أحنف في ذكاء اناس

قال له بعض الخاضرين ما صنعت شهت أمير المؤمنين ابعادك العرب فقال ارتجالا

لا تسكر واضرب له من دونه * مثل اشرو داني الندى والباس
 فآله قد ضرب الأقل لنوره * مثلان المشكاة والنبراس
 * وكيف يدرك في الدنيا حقيقته * قوم نيام تسلو اعنه بالحلم *
 كيف استقهام تعجبى معناه التعجب من الادراك تلك الحالة المتعاقبة فان قلت انه يقتضى
 الادراك المتعجب منه قلت مناط التعجب الطمع في الادراك بالاخذ في أسبابه كما يقتضيه معنى
 الاعياء فانه لا يكون الا بعد الشروع والترقب ويجوز أن يكون انكار بأى لا يدركون مع
 الحالة المذكورة أو استبعادها والاول أرشق والقوم اسم جمع للرجال دون النساء كما قضى به
 به قوله وما أدري وسوف اخال أدري * أقوم آل حصن أم نساء
 وقد يردن منه وعلمه بحمل هنالان التعميم أنسب بالمراد والسلو عن الشيء تركه ونسيانه في
 القاموس سلوه وعنه كدعاه ورضيه سلوا وسلوا وسلوا وسلوا نسيه وأسلاه عنه فقللى اه
 فقول شيخ الاسلام هو ترك الشيء عن طيب نفس اه مأخوذ من موارد استعماله كما يعلم
 بتبعها ويؤيده ما أخذنا سلوانه منه قال في الصحاح هي خزرة كانوا يقولون اذا صب عليها ماء
 المطر فشر به العاشق سلا قال الشاعر
 شربت على سلوانه ماء مفرنة * فلا وجد العيش يا حى ما أسلو
 واسم ذلك الماء السلوان قال الشاعر

لو أشرب السلوان ما سلمت * ما بى غنى عنك وان غنيت

اه فان ذلك الفعل لتسكين الحب وذها به ولازمه ترك المحبوب وطيب نفسه بذلك لانسيانه
 وعلى هذا ما نقل في الصحاح عن الاصمعي يقول الرجل لصاحبه سقيتني سلوة وسلوانا أى طيبت
 نفسى عنك اه فالمادة تقتضى طيب النفس والصيغة تتحكم بالتكاف فكان حاصلهما
 وحملوا أنفسهم على أن تطيب لتركه والحلم بتعلقه وبأوه آليه وهو بضمين ما رآه النائم
 والمعنى أنه لا يتيسر ادراك حقيقته المحمدية مع تلك الضميين اعنى صفة النوم وتطيب النفس
 عما يرى في المنام (واعلم) أن البيت مجملين أحدهما ظاهرى وهو المأخوذ من حديث الناس
 نيام فاذا ماتوا استيقظوا القاضى بأن انفعال الحياة الدنيا كالخيال المنامى وحينئذ يكون
 التقييد بالدنيا للاحتراز عن الآخرة وهذا الذى اقتصر عليه شيخ الاسلام فقال المعنى أن في
 الدنسان لا يدرك الحقائق المحضة لآخرة لان نفس الدنيا حجاب بينه وبينها كما يحجب
 النائم النوم عن ادراك أحوال اليقظة وكذا هو حال جميع الورى لا يشاهدون حال تفصيل
 محمد صلى الله عليه وسلم معانية وتفصيلا كما ادركوه بالخبر جملة وذلك يوم القيامة حيث يبعثه الله
 المقام المحمود الذى يغبطه فيه الاوتون والآخرون وحيث يوثق الوسيلة وهى الدرجة التى
 لا يتأهلها عبد من عباد الله غيره فالمراد بكونهم نياما أى احياء في دار الدنيا وقوله تسلو اعنه
 بالحلم شبه عجزهم عن ادراك حقيقته بسبب الحلم وهو كونهم في الدنيا بترك الشيء عن طيب
 نفس لان ما لا يكون من المقدور لا يتأسف الانسان على فقد بل تطيب نفسه بذلك هذا هو
 التحقيق في هذا المقام فعليك به يغنك عما وقع فيه من تخليط الشراخ اه وليس عندى
 بجيد أمأولا فلان المنفى في كلام الناظم ادراك الحقيقة وذلك لا يتوقف على المشاهدة

كلا يخفى وأماننا فلأن ما نثبته لآخرة مشاهدة كرامات حصل العلم بها في الدنيا وليس ذلك أدرا كالحقيقته والافكم من كرامات وقعت مشاهدتها في الدنيا والأظهر أن التقييد بفي الدنيا نظر ككونها دار النظر وادراك الحقائق واعمال الافكار في تخصيلها وأن المقصود أن حقيقته المحمدية لا تدرك البتة وإنما يتحصل منها المثال فان الناس قاطبة بالنسبة اليها تحال النائم ليس الحلم فاحاصله من مثال حقيقته هو بالنسبة اليها كالمترني في المنام بالنسبة لحقيقته تصور العقول وجمعها عن الوصول اليها ودليله ما مر تحقيقه فان قيل يرد ما فر منه شيخ الاسلام حتى جعل الفائق المشاهدة وهو أنه لا يتأتى ذلك الحكم في الخواص من أرباب الكشف فضلا عن الانبياء قلنا مدفوع بأن كل الخلق سواء في المحب عن ادراك الحقيقة المحمدية غير أن جهنم متفاوتة وبيانه أنه تقرر عند القوم أن المحب ثلاثة حجب ظلمانية صرفة وهي حجب المعاصي وحجب نورانية مذمومة وهي حجب الطاعات والمعاملات الربانية فانها حجب عن الترتي في المقامات العلية وحجب نورانية صرفة وهي ما نشأ من المقامات المرصية فان كل حاصل بالترقيات حجاب عما فوقه من المقامات وقد مر لك أن الحب أرفع المقامات والدرجات وأن نبينا صلى الله عليه وسلم اختص به من بين سائر الخلق فلا غرو أنه لا يصل الى ادراك حقيقته كل من عداه اذ أعلاه محجوب بمرتبته عن ادراك مرتبة الحب المختصة به وتد كرامات في قوله * وواقفون لديه عند حدهم * وفي قوله فليس يرى * للقرب والمعد فيه غير منفتح * فان قلت ماذا ترى في قوله تسلا عنه الخ فان من لا هدايته لم يسبق له شوق الى الحقيقة المحمدية وادراكها حتى يكون تركه في حقه سألوا قلنا فيه إشارة لطيفة الى أن الحقيقة المحمدية قبلما كانت أصل النعم الى الخلق قاطبة وحجب أن يعلق حجبها بكل نفس لجبل النفوس على حب من أحسن اليها إلا أن من سبقته له عنابة أزلية لم تطمس آثار ما جبلت عليه نفسه فكان مسوقا الى تلك الحقيقة ومن قضى عليه بالشقاء حبل ما بين نفسه وبين مقتضى حبهاتها وصرف عن الالتفات الى السبب في كل نعمة اليه فغارت عين حبه لما عميت عين قلبه ففي نسبة السائر الى الجميع اشعار بأن حق كل نفس أن تصرف هممتها الى تلك الحقيقة وأن لا تطيب الاادراكها لتكنه لما تعذر لما مر من تطيب وتراض على مثالها وتخيها فربما قام المثال عند المشوق قيام صاحبه وارتاضت نفسه اليه اذ تعذر عليه الاصل كما أفصح به من يقول

تسليت صداعكم بعد بعدكم * بذكركم حتى كأنكم عندي

فله ما أدق إشارة هذا الناظم رحمه الله

﴿فبلغ العلم فيه أنه بشر * وأنه خير خلق الله كلهم﴾

مفرداته بينة ومضمونه نتيجة ما تقدم من قوله دع ما دعته النصارى في نبيهم الخ وحاصله أن غاية العلم والذي يتهدى اليه الادراك من حقيقته أنه بشر لا اله كما ادعته النصارى في عيسى عليه السلام وأنه أفضل جميع الخلق وأما الاطاعة بما به التفضيل فلا سبيل اليه لوقوف العقول دون معشاره ولا يخفى علينا أن الكلام في معنى حقيقته المحمدية بعد كونه نبيا ورسولا وأن اثبات البشرية لتفي ما ذكرنا عنه لما في شيخ الاسلام من استسكال نفي العلم

بالرسالة كما هو صريح حصر العلم في الامر من معا وجوابه بما تكافه خروج عن مذاق المصنف نعم ينبغي أن يتنبه الى أن أل في العلم ظاهرها أنها عوض عن مضاف اليه أي علمهم بعود الضمير الى القوم وقد مر عمومه والكافر لا يعلم الصفة الثانية وان صح بمثل ما قررنا به التسلي في حقهم على معنى أن من الحق أن يعلموا ذلك لوضوح أدلتهم والارشاق بالمعنى الحمل على الجفسيه فلما تأمل

﴿وكل آتى الرسل الكرام بها * فانما اتصلت من نوره بهم﴾

مفرداته بينة ومعناه أن نبوته لما كانت أصلا لكل نبوة ورسالة وأن جميع الرسل قبل ظهوره بشريته تواب عنه في تبليغ الشرائع الى من أرسلوا اليهم كما تقدم تحقيقه ويشهد له أخذ الميثاق في قوله عز اسمه واذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وجب أن تكون جميع آياتهم المعلنة تأييد رسالاتهم في الحقيقة آيات له صلى الله عليه وسلم وأعلاما لرسالته في المعنى التي قاموا بتبليغها على وجه النيابة وهذا المعنى اللطف وأعلق بالحقيقة بما ذهب اليه بعضهم ولهم حجة الشعراء من نسبتها اليهم نظر الظاهر واثبات ان كل آية ثبت له عليه السلام مثلها أو قريب منها وعلى ذلك جاء قول الشاعر وكل معجزة للرسل قد سبقت * وافي بأعجب منها عند الظاهر فما العاصية تسعى بأعجب من * شكوى البعير ولا من مشى أشجار ولا انفجار معين الماء من حجر * أشد من سلسل من كفه جارى وعلى طريقة الناظم جاء قول العارف سيدي على وفاقدس الله روحه

سكن القوادعش هنيئا يا جسد * هذا النعم هو المقيم الى الأبد

روح الوجود حياة من هو واحد * لولاه ماتم الوجود لمن وجد

عيسى وآدم والصدور جمعهم * هم عين هونورها الماورد

ومن حيث ان الآيات بالحقيقة له عليه السلام وليس لهم عليهم السلام الا مجرد الظهور على أيديهم بخلاف ما لهم من المعارف والعلوم ظهر سر قوله سابقا وكلهم من رسول الله ملتصق الميت وقوله هنا فانما اتصلت من نوره بهم وتمكن التشبيه ككل التمكن في قوله رحمه الله ورضي عنه

﴿فانه شمس فضلهم كواكبها * يظهرن أنوارها للناس في الظلم﴾

وشرحه أن علماء الهيئة قالوا ان اجرام الكواكب ما عدا الشمس مظلمة صغيلة قاطبة لا تنطباع النور فيها وأن ما بها من النور منطبع من أشعة نورا الشمس ليكنه لا يظهر معها نارا الغلبة ضوءها فاذا غابت بالليل ظهر ذلك كما هو مشهور في القمر وانما يمكن لها خسوف كما كان له من حيث ان ظل الارض المخروط لا يصل الى الفلك المسكوب وهو فلك الثوابت أعنى الفلك الثامن وايضاح هذا أن الشمس اذا غابت تحت الارض خرج من الارض ظل مخروط مبدؤه من الارض ونهايته دون الثامن وأشعة الشمس بجوانبه منبعدة فاذا فاتت نهاية المخروط انضمت أشعتها وعمت فتضى جميع الكواكب منها وهذا بناء على قواعد الهيئة وما عليه غالب المتأخرين الفقهاء من كرية الارض هذا حقيقة المشبه به وأما المشبه فهى حالة

فوله لا تعذر الخ كذا بالوصول الوجودية بأيدينا واعلمه سقط من الناس جواربنا ومليه ربط العبارة فخره

الزئبق في اظهار آياته التي هي أشعة نوره حال غيبية وجوده البشري الذي هو ظلمة بانفسه الى ظهوره ووجود حقيقته نوره وان كان هو نور في نفسه لكنه لعدم حقيقته لم يكن له ضياء تام وفي هذا التشبيه لطيفة وهي الاشارة الى اختصاص رسالة غيره اذا النجم لا يعم ضوءه كما يعم ضوء الشمس قال شيخ الاسلام وهذا التشبيه مأخوذ من قول النابتة

ألم تر أن الله أعطاك سورة * ترى كل ملك دونها يتدبذب
فانك شمس والملوك كواكب * اذا طلعت لم يبدوهن كوكب

وقيل ان غير النابتة سبقه الى هذا المعنى فقال

تكدت عميد الارض بالناس أن رأوا * لعمرو بن هند غضبة وهو غائب
هو الشمس وافت يوم سعدا فضلت * على كل ضوء والملوك كواكب

اه ولا يخفى اختلاف مسلك الناظم مع مسلك الشاعرين نعم يوافقهما في بيت بعده هذا مشهور على الاسن غير موجود في الشرح وهو

حتى اذا ظهرت في الافق عم هذا * ها العالمين وأحيت دارس الرمم

﴿ أكرم بخالق نبي زانه خلق * بالحسن مشتمل بالبشر متمم ﴾

الصيغة احدى صيغتي التعجب المعهودتين في النحو فغناها ما أكرم خلقه والكرم طيب الاصل والعنصر وبه التمدح في كلام العرب دون مجرد البذل والاعطاء الا اذا نشأ عن ملكة تقتضي ذلك وهي راجعة الى الصفة الاولى ويطبق الكرم على الغريق قال هو كرم عنده بمعنى عزيز وارا دته هنا غير متمنعة كافي قول كعب

أكرم بها خلة لو أنها صدقت * موعودها أولوان النصع مقبول

والضهر في زانه يعود الى الخلق فان حسن الخلق صفة تظهر جمال الخلق وتوجب قبوله وبالضد الضد قال عمرو بن معد يكرب

ليس الجمال بعزيز * فاعلم وأن رديت بردا * ان الجمال معادن * ومناقب ورثن مجدا *
ومنه أخذ المتنبى قوله وما الحسن في وجه الفتى شرفه * اذا لم يكن في فعله والخلائق

وتقدم معنى الخلق والخلق والحسن تفيض القصيد كان بالوجدان والاشتمال الاتفاف والبشر بكسر الباء طلاقة الوجه وتمتص من اسم الرجل اذا جعل لنفسه علامة يعرف بها

والوصفان بالجزعت خلق نبي الاول يرجع الى الاجزاء عامة والثاني الى الوجه خاصة ومن ثم اختار الاشتمال في الاول والانسام في الثاني ولك أن تجعل الاول راجعا الى أصل الخلق

والثاني الى تزيينه بالخلق فان طلاقة الوجه عنوان الخلق الجميل ومن ثم قال الأثر النجعي

بقيت وحدى وانخرقت عن العلى * ولقيت أضيافي بوجه عبوس
ان لم أشن على ابن حرب غارة * لم تتخل يوما من نهاب نفوس

ومضمون البيت مدحه عليه الصلاة والسلام بكال الخلق والخلق بعدما بين أن مدحه على طريق الاحاطة بكالاته لا يتيسر ايعا الى أن الميسور لا يسقط بالمعسور وأحاديث حسن

خلقته وخلقته صلى الله عليه وسلم كثيرة جدا ومن اجالها الملاقى لكلام الناظم حديث البراء رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا وفي

حديث أبي هريرة ما رأيت أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجرى في وجهه قال الشهاب القسطلاني في المواهب والله در القائل

لم لا يضيء بك الوجود وليله * فيه صباح من جالك مسفر

فشمس حسنك كل يوم مشرق * وبدروجهنك كل ليل مقمر

وأما حسن الخلق فقد اجتمع فيه منتهى ما لا يحصى حد وناهيك بشهادة الله في قوله وانك لعلى خلق عظيم قال الحلبي انما وصف خلقه صلى الله عليه وسلم بالعظيم مع أن الغالب وصف الخلق

بالكرم لان كرم الخلق يراد به السماحة ولم يكن خلقه صلى الله عليه وسلم مقصورا على ذلك بل كان رحما بالؤمنين رقيقا بهم شديد على الكفار غليظا عليهم مهيبا في صدور

الاعداء منصورا بالرعب على مسيرة شهر فكان الوصف بالعظمة أولى يشمل الانعام والانتقام اه من المواهب وبه يطالع على لطائف النظم اذ وصف الخلق بالكرم دون الخلق

ونكره تكبير تعظيم ليلاقى لفظ الآية الشريفة وجعل منه علو الهمة والجلالة والهبة في الاسات بعده وفي المواهب اللدنة قالت عائشة رضي الله عنهما كان خلقه صلى الله عليه وسلم

القرآن قال صاحب عوارف المعارف لا يبعد أن قول عائشة فيه رمز غامض الى الاخلاق الربانية فاحشمت من الحضرة الالهية ان تقول كان خلقا باخلاق الله فعبرت عن هذا المعنى

بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وسر اللعالي بلقظ المقال وهذا من وفور عقلها وكال أدبها انتهى قلت ولا غرابة فيه فقد شق له من اسمه وسماه من أسمائه

بالرؤف الرحيم فتدبر

﴿ كالزهري ترف والبدر في شرف * والبحري كرم والده في همم ﴾

تشبيه خلقه وخلقته صلى الله عليه وسلم والزهر اسم جنس جمعي واحده زهرة وهو نور النبات والترف التنعم وقد تقدم والبدر القمر عند تمامه والشرف علو المنزلة والدهر الزمان كما

قال الشاعر ان دهر ايلف شملي بليلى * لزمانهم بالاحسان

والهمم جمع همة يقال هو بعيد الهمة بكسر الهاء وفتحها وهي الارادة من همت بالشيء أردته والمعنى أن خلقه الشريف كالزهري تنعمه من فضارة جسم وطيب رائحة وكالقمر ليلة

تمامه في شرف ذاته وكال حسنه وان خلقه العظيم كالبحري الكرم والدهري علو الهمة وشاهد الاول ما في الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم رقيق

البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف غضبه ورضاه في وجهه وقال رضي الله عنه ما مسست حريرة ولاد بياجة ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما طيب ريحه صلى الله عليه

وسلم فلا تله كثره * في المواهب عن امرأة عتبة بن فرقد السلمي قالت كما عند عتبة أربع نسوة فاما امرأة الاوهي محتمدة في الطيب لتكون أطيب من صاحبها وما عسى عتبة

الطيب الا أن عسى دهنها يسبح به لحيمته وهو أطيب ريحا منا وكان اذا خرج للناس قالوا ما شمنا ريحا أطيب من ريح عتبة فقالت له يوما انا لجهدي في الطيب ولا نت أطيب ريحا منا قم ذلك قال

أخذني الشرى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكوت ذلك اليه فامرني أن أتجرد فتجردت وقعدت بين يديه فنفت في يده ثم مسح ظهرى وبطني يده فعلق بي هذا الطيب من

يوثق وعن أذس رضي الله عنه قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عندنا فعرق
 وجاءت ابي بقارورة فجعلت تسلب العرق فيها فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
 يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين قالت هذا عرقك نجعله لطينا وهو أطيب الطيب انتهى وقد
 تقدم ما بين بعض كرمه وأما ما يتعلق بكونه كالدهر فيتوقف على حقيقة ذلك التشبيه قال شيخ
 الاسلام معنى التشبيه هو كالدهر فيما يرجع من الاخلاق الى الهمم أي ارادته التي يريد بها
 من اعطاء ومنع وضرو نفع وهذا باعتبار ما جرت به عادة الادباء من تشبيه الهمم بالدهر حتى
 قال قائلهم له همم لا منهى لكارها * وهمته الصغرى أجل من الدهر
 ووجه هذا التشبيه ان الحوادث الخلية والدقيقة اما تقع في الدهر ففسبورها اله وكان الدهر
 باعتبار ما يقع فيه من الحوادث لا يرضى الا بالغاية من ذلك الحادث فاذا رفع بلغ الغاية واذا وضع
 وصل النهاية ومن ثم قال معاوية رضي الله عنه نحن الزمان من رفعنا ارفع ومن وضعنا
 اتضع اه ومعنى كلامه معاوية أن من المقصد في ذلك التشبيه نفوذ الامر ومضيه ويجبني
 قول اعرابي مدح مالك بن طوق فانه قال

ومازلت أخشى الدهر حتى تعلقت * يداي من لا يتقى الدهر صاحبه
 فلما رأ في الدهر تحت جناحه * رأى مرتقى صعبا منيعا ذائبه
 رأ في بحيث النجم في رأس باذخ * تطل الورى أكفاه وجوانبه
 فتى كسما الغيث والناس حوله * اذا أجدبوا جادت عليهم سحائبه

وقدمت أن خلقه صلى الله عليه وسلم وصف بالعظمة لما له من المهابة والجلال
 ولا خير في حلم اذا لم تكن له * بوادرتحمي صفوه أن يتكبرا
 وان الناظم نكر لذلك فصع له هذا التشبيه وقد جمع ما في البيت من آيات للبحر يمدح الفتح
 ابن خاقان وكابدروا فته لتم سعوده * فتم سناء واستقلت منازلها
 فسلمت واعتاقت جنا في هيمه * تنازعتي القول الذي أنا قائله
 فلما تأملت الطلاقة وانثى * الى يبشر آنتقتي مخايله
 دنوت فصلمت الندى من يد امرئ * كريم محياه بساط أنا مسله
 وفي بعض ما قال الناظم قال ابن جابر

يروى حديث الندى والبشر عن يده * ووجه بين منهل ومنسجم
 من وجه أحمدلى بدر ومن يده * بحر ومن فله درلنتظم

وله على ما أتبعه في نفع الطيب
 يا أهل طيبة في مغنا كم قمر * يهدى الى كل محمود من الطرق
 كالغيث في كرم والبيت في صرم * والبدر في أفق والزهر في خلق
 هذا وانت تعلم أن الغرض من ذلك التشبيه توضيح المعقول بالمحسوس لتصل اليه الاذهان
 والافالمشبهه أعلى جرات من المشبهه ومن ثم ذكر وجه التشبيه زيادة في الايضاح وان فاته
 بذلك المبالغة فيه فانها في مقام البيان ليست بشئ بل ربما نافت المقصود فتدبره
 * كانه وهو فرد في جلالاته * في عسكر حين تلقاه وفي حشم *

الجلالة العظمة والعسكر الجيش الكثير مأخوذ من العسكرة وهي الشدة وأقله الجر يده ثم
 السرية من خمسين الى أر بعماثة ثم الكتيبة الى ألف ثم الجيش الى أربعة آلاف ثم الخميس
 الى اثني عشر ألفا والخشم خديم الرجل ومن يغضبه والظرف يتعلق بما يتعلق به خبز كان
 أو بالتشبيه وقوله في جلالاته يروى عن وهي تعليلية تتعلق بالتشبيه وجملة وهو فرد الخ حالية
 ويروى بنى فان كانت سميية كان المعنى كالأول وان جعلت ظرفية تعلقت بفرد جمعني منفرد
 في ذلك الوصف وكانت الجملة اعتراضية قصد بها دفع الشركة في هيئته صلى الله عليه وسلم ويصح
 أن يجعل في جلالاته حال من اسم كان والمعنى كونه والحال أنه منفرد وأحال كونه في جلالاته
 في عسكر الخ أو كانه وهو مفرد بالجلالة لا يشارك فيها * ومن شواهد هيئته صلى الله عليه وسلم
 الحديث الشهير كان صلى الله عليه وسلم اذا تكلم أ طرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير وقال
 البراء رضي الله عنه كنت أؤر سؤا له صلى الله عليه وسلم عن الامر سنين من هيئته ولله در
 علي كرم الله وجهه اذ قال في وصفه صلى الله عليه وسلم من رأه يدية لها به ومن خالطه
 معرفة أحبه وأعجب من هذا وقوع هيئته مجرد ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم في قلوب
 العارفين وذلك من شواهد تفرد به بجلالاته * في الشفاء للقاضي عياض رحمه الله قال مصعب
 ابن عبد الله كان مالك اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه ويخني حتى يصعب ذلك على
 جلسائه ف قيل له يوما في ذلك فقال لورا يتم مارا أيت لما أنكرتم علي ماترون لقد كنت أرى
 محمدا بن المنكدر وكان سيد القراء لا يكاد يسئل عن حديث الا يبكي حتى يرحمه ولقد كنت أرى
 جعفر بن محمد الصادق وكان كثير الدعابة والتبسم اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم
 اصفر وما رأته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعلى طهارة ولقد كان عبد الرحمن
 ابن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر الى لونه كانه نرف منه الدم وقد جف لسانه
 في فقه هيئته لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى هنا انتهى كلامه وفي معنى كلام الناظم قول
 بعضهم وأجاد يغيبك في محل يعينك في ردى * بروعك في درع ووقك في برد
 جمال واجلال وسبق وصوله * كشمس الفحى كالنزل كالبرق كالرعد

* كأنما اللؤلؤ المسكون في صدف * من معدني منطق منه ومبتسم *
 اللؤلؤ جمع لؤلؤة وهي الدرّة وفي الاساس لآل بين المثالة وهو باع اللؤلؤ قال
 درّة من عقائل البحر بكر * لم تخنم اساقب اللؤلؤ

والمسكون من اكنفت الشيء اذا سترته والصدف غشاء الدرّة واحده صدفة والمعدن بكسر
 الدال مر كوكب شئ قال في الاساس فلان في معدن الخبز والكرم وهو من مر كوا الخبز
 ومعادنه وعليه عدنيات أي ثياب كريمة وأصلها التسمية الى عدن وكثير حتى قيل للرجل
 الكريم الاخلاق عدني كما قيل للشيء العجيب من كل فن عبقرى قال كثير بن جابر المخاربي
 سرت ما سرت من ليها ثم عرت ست * الى عدني ذي غناء وذى فضل
 الى ابن حصان لم تخضرم جدودها * كريم النشا والخيم والفعل والاصل
 والمنطق الكلام والمبتسم موضع الابتسام وهو مادون الخحك ومعنى البيت تشبيه الجواهر
 النفيسة على أكمل أحوالها وهي كونه في صدفها بمنطقه عليه السلام وتناياه التي تظهر

عند ابتسامه على عكس التشبيه بما لغة ووجه الاقول النفاضة المعنوية ووجه الثاني صفاء
 الماء والبرق والبياض ومرجع الاقول الى ما اوتيه صلى الله عليه وسلم من الفصاحة
 والبلاغة واما حديث الفصاحة اعني قوله عليه السلام انا فصيح من نطق بالاضاد يداني
 من قرئس واسترضعت في بني سعد فاظن رزوق هذا الكلام وعذوبة الفاظه كماها العذب
 السلسبيل مع احتوائه على اللفظ كناية في قوله من نطق بالاضاد ودقة ذلك الاستدراك
 الموجب لتأكيده ما تقدم بايهام المناقضة * ومن شواهد الثاني ما روى عن بعض ناعتيه كان
 صلى الله عليه وسلم اذا ضحك اقرن عن مثل سنا البرق وحب التمام وقال آخر اذا ضحك تلالا
 الجدر ويحجني في معنى جمع اللؤلؤ والصدق قول ذي المذلتين

سألتها عسله من ماء مبيها * تظني بها خر مصدوع الهوى ذنف
 تبهمت ثم قالت تغرذي شغب * في تغرذي تلخ نوع من الكف
 لقد درت أنه والله لا يحجب * أن يوجد الدر مقر وانع الصدق
 وبيت الناظم مأخوذ من قول البحري
 ولما التقينا والووى موعدا * تجبرائي الدر نظما ولا قطه
 فن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الكلام تساقطه
 لا طيب يعدل ترابهم اعظمه * طوبى لمن تشق منه وملتئم *

من تشرى به عليه الصلاة والسلام تعظيم جميع ما يقب اليه قال القاضي أبو الفضل في كتاب
 الشفاء من اعظامه واكله صلى الله عليه وسلم اعظام جميع اسبابه واكله مشاهده
 وامكنته من مكة والمدينة ومعاهده ومالمسه عليه السلام او عرف به وروى عن صفيه بنت
 بحيرة قالت كانت لاني محذورة قصة في مقدم رأسه اذا قعد وأرسلها أصابت الارض فقبل
 له ألا تحلقها فقال لم أكن بالذي أحلقها وقدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسده اه
 وساق آثارا آخر من هذا الباب فلم يخرج المصنف بذلك عند مدحه عليه السلام بل أتقل من
 مدحه لذاته لم يدح بما مدح لا نسا به اليه من مكان وزمان وذلك عند التأمل أشد من المدح الاول
 والطيب ما ينطبق به محاله راحة طيبة ويعدل بمعنى مماثل في الاساس تقول العرب اللهم
 لا عدل لك أي لا مثل ويقال في الكفارة عليه عدل ذلك ولا قبل الله منه عدل أي فداء وما
 يعدل عندى شيء أي يشبهك اه والتراب التراب وضم جمع وطوبى كلمة دعائه وتهنئة معناها
 أصابة الخير وأودامه ومن تشق اسم فاعل اقتعل من تشقت منه ريحا طيبة أي شممتها في
 الاساس نشق النطبي في الحباله نشب فيها ومن الحجاز نشق فلان في حباله فلان اذا وقع منه
 فيما لا يتخاص منه ونشق الريح نشقا واستنشقا وتنشقها قال المتلمس
 فلأول محجوما بخير مدنقا * تنشور ياه الأقلصا ليه

وملتئم اسم فاعل من التئم اذا شد اللثام وهو النعاب كذا نقل شيخ الاسلام عن ابن القصار قال
 ولا يصح أن يكون من التقبيل لانه لا يقال في معناه التئم بل اتم بالكمس والفتح قال شيخ
 الاسلام وهذا اليتم اذا انصواعلى أنه لا يشق من لثم بمعنى قبيل اقتعل اه والاطهر أن لا
 منع من الصوغ وانما المنع لعدم صحة المعنى هنا لا يتجوز ليس له في المقام موقع وذلك ان اللثم

وضع القم على الفم خاصة الذي هو موضع اللثام كما في الاساس والمراد هنا التكنية عن تعفير
 الوجه بالتراب حتى يحصل له مثل اللثام ومعنى البيت ان التراب الذي ضم حسده الشريف
 لا يخاله شيء من أنواع الطيب فهنيئا لمن استنشق رياه وعقر فيه محياه وكيف لا وقد جمع
 منبع أطيب الطيب ثم يحتمل أن يريد حقيقة الطيب فيثبت له الفسور والرائحة وذلك يدرك
 بقوة توجه النفس وصدق المحبة وصدق الهمة بالكلية وهو كثير في كلام الشعراء ومنه قول
 الطغرائي فسر بنا في ذمام الليل معتسقا * فنفضحة الطيب تهدينا الى الحلل
 وعلى ذلك جاء قول ابن العريفة رحمه الله في المدينة المنورة

اذا ما حد الخادي باجمال يثرب * فليت المطايا فوق خدي تهج
 الى أن يقول فما عبق الريحان الا وقرنها * أجل من الريحان طيبا وأعبق
 ولبعضهم حيث الهدى دونه في الطيب دارين * ثم النبي رسول الله مدفون
 عز التراب لكون الهاشمي به * كأنه لؤلؤ في التراب مكنون
 وعلى ذلك جاء قول فاطمة الزهراء رضي الله عنها

ماذا على من شم تربة أحمد * أن لا يشم مدى الزمان غويا

ويحتمل أن يراد أنه أطيب الطيب من حيث التمتع ورأبضة النفس به وان لم تكن له رائحة
 ظاهرة لكل الناس فان قلت لم يعدل عن ضم جسمه الى ضم أعظمه مع أن أجسام الانبياء
 لا تبلى قلنا للنص على المراد من تراب المدينة المنورة اذ لو قال جسمه لشم غيرها مما س جسمه
 الشريف قبل الانتقال وبعد هذا يجوز أن يراد خصوص القبر كما هو ظاهر العبارة وقد
 أخرجها العلماء من الخلاف بين تشرى بمكة والمدينة بل قالوا انه أشرف المقاع في الارض
 والسماء ويجوز أن يراد جميع تراب المدينة المنورة فان لها من التشرى والتكريم بسبب
 احتوائها على حسده الشريف ما ليس لغيرها قال القاضي أبو الفضل رحمه الله كان مالك
 لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول أستحي من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بخافر أبي وقد أفتى رحمه الله فيمن قال تربة المدينة رديئة بضربه ثلاثين درة بكسر الهمزة
 وآلة من جلد غليظ يضرب بها وأمر بحبسها وكان له قدر وقال ما أوجه الى ضرب عنقه تربة دفن
 فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم أنها غير طيبة وحدث أن أبا الفضل الجوهري لما
 ورد المدينة زار اقرب من بيوتها رجل ومشي با كما نشدا

ولما رأينا رسم من لم يرع لنا * فواد العرفان الرسوم ولا لنا
 بزئاعن الأكواع شى كرامة * لمن بان عنه ان نلم به ركا

ثم قال وجد يرملوا طر عمرت بالوحي والتزليل وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت منها
 الملائكة والروح وضجت عرصاتهما بالتقديس والتسبيح واشملت تربتها على جسد خير البشر
 وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر مدارس آيات ومساجد صلوات ومشاهد
 الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين
 ومواقف سيد المرسلين وبتبدأ خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة وآين فاض عباها
 ومواطن مهبط الرسالة وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها أن تعظم عرصاتنا وتنسم

نفحاتها وتقبل ربوعها وجدراتها
 يادار خيرا المرسلين ومن به * هدى الأنام وخص بالآيات * عندي لاجلك لوعة وصباية *
 وتثوق متوقد الجمرات * وعلى عهدان ملأت محارجي * من تلكم الجدرات والعصرات *
 لأعفرت مصون شبي بنها * من كثرة التقبيل والرشقات * لولا العوادي والأعادي زرتها *
 أدا ولو سحبا على الوججات * لكن سأهدى من جميل تحيتي * لتطين تلك الدار والحجرات *
 أذكي من المسك المفق نفحة * تغشاها بالأصال والبكرات * وتخصه بزواكي الصلوات *
 ونواحي التسليم والبركات * اه وانما ذكرناه بطوله لكونه مأخذ كلام الناظم مع
 ما اشتمل عليه من رقة اللفظ وحزلة المعنى واعراب حذنه عن شوق كامن بين أضلعه رحمه
 الله * ومن عجيب الاتفاق ما ذكره الشهاب في شرح هذا المحل من الشفاء أن الشيخ أحمد بن
 الرافعي كان كل عام يرسل مع الحجج السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فلما زاره وقف تجاه
 مرقداه وأنشد في حالة البعد روحى كنت أرسلها * تقبل الارض عنى فهى ثابتى
 وهذه نوبة الاشباح قد ظهرت * فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى
 فقيل ان البعد الشريفة مدت له قبلها هنيئا له ثم هنيئا له فلبت وقرىب منه ما حكاها ابن السباط
 فى شرح الشقراطسية من كرامات ناظمها أنه لما أنشد القصيدة على منبر النبي صلى الله عليه
 وسلم قام رجل فقال حق على صاحب هذا القبر أن يأخذ بيد هذا ويردخه الجنة فسمعوا النداء
 من ناحية القبر فزم اه

*** أبان مولده عن طيب عنتره * يا طيب مبتدا آمنه ومختتم ***

أبان بمعنى أظهر وضمينه معنى كشف فعدها يعن ومولده زمان ولادته بدليل يوم في البيت بعده
 والعنصر الاصل في الاساس انه لكرم العنصر وتقول لهم عناصر تنبى بها الخناصر
 ويا طيب نداء للتعجب ومنه نائب فاعل مبتدا ضميره عائد الى العنصر ومختتم على الخذف
 والأينصال والتقدير مختتمه والمعنى أن زمن ولادته صلى الله عليه وسلم كشف عن طيب أصله
 وهو تراب قبره الشريف الذى خلق منه لما ورد أن الانسان عند ما يرد الله تخليقه من النطفة
 يأمر الملك فيأتى بتراب من المسكن الذى يدفن فيه فيعجنه بتلك النطفة * وفي سمط الآتى ذكر
 العارف الربانى عبد الله بن أبى جرة فى كتابه بحجة النفوس ومن قبله صاحب شفاء الصدور
 عن كعب الأخبار قال لما أراد الله تعالى أن يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم أمر جبريل أن
 يأتبه بالطينة التى هى قلب الارض وبهاؤها ونورها قال فهبط جبريل فى ملائكة الفردوس
 وملائكة الرفيق الأعلى فقبض قبضة رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع قبره الشريف
 وهى بيضاء مبررة فعمت بماء التنعيم من معين أنهار الجنة حتى صارت كاللثة البيضاء لها
 شعاع عظيم ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكبرى وفى السموات والارض والجمال
 والحجار فعرفت الملائكة وجميع الخلق سيدنا محمدا وفضله قبل أن يعرف آدم اه ثم تعجب
 المصنف من طيب ذلك التراب من حيث كونه مبدأه عليه الصلاة والسلام وختمها فالبيت
 من تمام ما قبله وفيه تلخيص الى مدح يوم الولادة الشريف وكشف ذلك اليوم عن طيب
 العنصر بما ظهر فيه من الكرامات والآيات فللسق الأمر من أوله لما فيه من اظهار

الكرامات المحمدية * فى المواهب اللدنية قال سهل بن عبد الله التستري فيما رواه
 الخطيب البغدادي لما أراد الله تعالى خلق محمدا صلى الله عليه وسلم فى بطن أمه آمنة ليلة
 رجب وكانت ليلة جمعة أمر الله تعالى رضوان خازن الجنان أن يفتح الفردوس ونادى مناد
 فى السموات والارض ألا ان النور المحزون المسكون الذى يكون منه النبي الهادى فى هذه
 الليلة يستقر فى بطن أمه الذى يتم فيه خلقه ويخرج الى الناس بشيرا ونذيرا وفى رواية
 كعب الاخبار أنه نودى تلك الليلة فى السماء ووصفا جها والارض ويقاعها أن النور
 المسكون الذى منه رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقر الليلة فى بطن آمنة فباطونى لها
 ثم ياطونى لها وأصبحت يومئذ أصنام الدنيا منكوسة وكانت قريش فى جذب شديد وضيق
 عظيم فاخضرت الارض وحملت الاشجار وأتاهم الرعد من كل جانب فسميت تلك السنة
 سنة الفتح والابتهاج وخرج أبو نعيم عن ابن عباس قال كان من دلالة حمل آمنة برسول الله
 صلى الله عليه وسلم أن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت حمل برسول الله
 صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو امام الدنيا وسراج أهلها ولم يبق سرير ملك الا أصبح
 منكوسا وفزت وحوش المشرق الى وحوش المغرب بالبيارات وكذا أهل البحار يبشر
 بعضهم بعضا وله فى كل شهر من شهر جملة نداء فى الارض ونداء فى السماء أن أبشروا فقد آن
 أن يظهر أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ميمونا مباركا وفى ذلك الكتاب عن أمه السيدة
 آمنة بروايات مختلفة أنها قالت أتانى آت وأنا بين النائمة واليقظة فقال لى هل شعرت بأنك
 حملت بسيد الانام حتى اذا دنت ولادتي أتانى فقال قولى أعينه بالواحد * من سر كل
 خاسد * ثم سمى محمدا قالت ثم لما أخذنى ما بأخذ النساء ولم يعلم فى أحد وانى لوحيدة فى
 المنزل وعبد المطلب فى طوافه سمعت وجة عظيمة وأمر اعظيها لاني ثم رأيت كأن جناح
 طائر أبيض قد مسع على فؤادى فذهب عنى الرعب وكل وجع أجده ثم التفت فاذا أنا
 بشرية بيضاء فقننا ولها وأضاء لى نور عال ثم رأيت نسوة كالنخل طولا كأنهن من بنات
 عبد منافع فقدرن بي فقلن لى نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور
 العين فبينما أنا أتعجب وأنا أقول واغوثاه من أين علمن بي واشتد لى الامر وأنا أسمع الوجبة
 فى كل ساعة أعظم وأهول مما تقدم اذا بدى باج قدمي بين السماء والارض واذا قائل يقول
 خذاه عن أعين الناس ورأيت رجالا قد وقفوا فى الهواء بأيديهم أباريق من فضة ثم
 نظرت فاذا أنا بقطعة من الطير قد أقبلت حتى غطت حجرتى منافيرها من الرمز ذوا أجنحتها
 من الباقوت فكشفت الله عن بصري فرأيت مشارق الارض ومغارها ورأيت ثلاثة
 أعلام منضربات علما بالشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة فأخذنى الخاض
 فوضعت محمدا صلى الله عليه وسلم فنظرت ابيه فاذا هو ساجد قد رفع أصبعيه الى السماء
 كالمضرع المتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء حتى غشيت غيبتها عنى
 فسمعت مناديا ينادى طوفوا به مشارق الارض ومغارها وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه
 ونعمته وصورته ويعلموا أنه سمي فيها الماسح لايبقى شئ من الشرك الا يحى فى زمانه ثم تجلت
 عنه فى أسرع وقت اه وفى رواية الخطيب البغدادي أن مما نادى به المنادى أعطوه خلق

آدم ومعرفة شيث وشجاعة نوح وخلة ابراهيم ولسان اسمعيل ورضا اسحق وفصاحة صالح
وحكمة لوط وبشري يعقوب وشدة موسى وصبر ايوب وطاعة يونس وجهاد يوشع وصوت
داود وحب دانيال ووقار الياض وعصمة يحيى وزهد عيسى وانغمسه في اخلاق النعمين قالت
ثم انجلبت عني فاذا هو قايض على حريرة خضراء مطوية طياشديدا ينبع من تلك الحريرة ماء
واذا قائل يقول يخرج قبض محمد صلى الله عليه وسلم على الدنيا كلها لم يبق خلق من أهلها الا
دخل طائعا في قبضته قالت ثم نظرت اليه فاذا به كالقمر ليلة البدر وريحه يسطع كالسك
الاذفر واذا بثلاثة نفر في يداً أحدهم ابريق من فضة وفي الثاني طست من زهر ذأ خضر
وفي يد الثالث حريرة بيضاء فقشرها فأخرج منها اخلاصا تحار أبصار الناظرين ودونه فغسله من
ذلك الابر يق سبع مرات ثم ختم بين كفيه بالخاتم ولفه بالحريرة ثم احتمله فأدخله بين أجنحته
ساعة ثم رده الى اه * فائدة * قال في المواهب لازل أهل الاسلام يحتفلون بشهر مولده
عليه السلام ويعلمون الولائم ويتصدقون في ليلته بأنواع الصدقات ويظهرون السرور
ويزيدون في المبرات ويعتقون بقرعة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم
ومحارب من خواصه أنه أمان لذلك العام وبشري عاجلة بتبيل البغية والمرام فرحم الله
امراؤنا أخذ ليلتي شهر مولده المبارك أعيادا ليكون أشد علي من في قلبه مرض وأعيادا اه
* يوم تفرس فيه القرس أنهم * قد أنذروا بحلول البؤس والنقم *
يوم بالرفيدل من مولده على ما بيناه والتفرس التثبت والتفطن والاسم الفراسة بكسر الفاء
وفي الحديث اتقوا فراسة المؤمن والقرس بضم الفاء ويقال لهم فارس أمة عظيمة كان
مسكنها في شمال العراق وهم من أولاد هدرام بن ارفخشذ بن سام وسماو فارس لأن آباهم
كان له بضعة عشر ولدا كلهم فارس شجاع وقيل سماو بذلك لان بعض أجدادهم اسمه فارس
وهو فارس بن كيومرث أول من ملك من القرس وكان منفردا عن العالم ففشا البغي في زمانه
فاجتمع عليه الحكماء وقالوا ان صلاح هذا العالم في اقامة ملك يورد الامور موردها ويصدرها
مصدرها كما كان صلاح الجسد بالقلب وان العالم الصغير من جفاس العالم الكبير ولا يستقيم
أمره الا برئيس يديره على ما تقتضيه قضايا العقول وأنت أفضلنا وبقية آيينا آدم فلا بد من
تقدمك وتنفو بض الامر اليك فأخذ عليهم العهد والمواثيق على السمع والطاعة ووضع
التاج على رأسه تيميزه وهو أول من لبسه كذا في شرح ابن نباتة على رسالة ابن زيدون
والأندار الاعلام بالشيء على وجه التخويف والندير المنذر ومنه التندير العريان قال ابن
السكيت هو رجل من ختم حبل عليه يوم ذى الخليفة عوف بن عامر فقطع يده ويده امرأته
والحلول النزول من حل بالمكان يحل بالضم اذا نزل والبؤس الشدة والنقم جمع نعمة وهي
العقوبة والمعنى أن ولادته عليه السلام كانت في يوم تقطن القرس وتنهمم لتحو يفهم بزول
الشدة والعذاب بهم وموجب هذا التفطن والتنبيه ما وقع لهم ليلة الولادة من الامور الهائلة
من ارتجاج الايوان وخمود النيران وغور الماء كما سيحكبه الناظم ورؤيا الموبدان كما سئذ كرها
بعد ان شاء الله فان تغير الحوادث وانعكاس المعهود منها خصوصا ما كان له شأن وبه اهتمام
كالذكورات مما يشعر بتوقع ما يستكره بحسب المعتاد خصوصا عند الجهلة من غير المتشرعين

اذ خلاصة ذلك التطهر المنفي اعتباره شرعا وليس من المنذر فيما اراده الناظم اخبار
الكهنة كما سيجي عليه لان ذلك من صريح الاخبار لان التفرس واعتبار الامارات ولهذا
اعتبر هنا محجرات البؤس والنقم من غير تعيين وجه من وجوهها وفي اخبار الكهنة تعيين
وجهه كما سياتي ان شاء الله سبحانه * (واعلم) أن الاطهر أنه اراد باليوم مطلق الزمان كما في قوله
تعالى اليوم أكملت لكم دينكم ليحري على الخلاف في زمن الولادة فقد قيل وهو المرجح
عندهم أنه عليه الصلاة والسلام ولد عند طلوع الفجر يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع
الاول وتعيين اليوم والشهر هو المشهور ونقل ابن الجوزي الاجماع عليه وعليه عمل أهل
مكة في زيارتهم موضع ولادته ولا يخفى أنه لا منافاة بين كون الولادة عند الفجر وما ورد من
حدث تدلى النجوم عند ولادته بل ولوقلنا انه ولد بعد الفجر لا مكان أن يكون التمدل وقت
الحاض خلافا للزكريا ويناسب قوله وبات ايوان كسرى الخ فان الحمل على حقيقة اليوم
بأني ظاهره وعلى أنه ولد ليلنا فاختلف هل ليلة مولده عليه الصلاة والسلام أفضل أم ليلة
القدر وفي المواهب ترجيح الاول بأوجه ثلاثة الاول أن ليلة المولد ليلة ظهوره وليلة القدر
معطاة له والشرف بظهور ذات المشرف من أجله أتم من الشرف بسبب العظيمة اليه الثاني
أن ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة وليلة المولد بظهوره عليه السلام وهو أفضل من
الملائكة الثالث فضل ليلة القدر خاص بالامة الحمديّة وفضل ليلة المولد عام لساير
الموجودات بظهور رحمة العالمين وعام الفضل أقوى وفي شرح سيدي محمد الزرقاني عليه
قدح المشهاب الهيمتي في تلك الاوجه بأنها لا تنتج المدعي لانه ان اراد أن تلك الليلة ومثلها من
كل سنة الى يوم القيامة أفضل من ليلة القدر فهذه الادلة لا تنتج كما هو جلي وان اراد عين
تلك الليلة فليلة القدر لم تكن موجودة اذ ذلك فلم يمكن اجتماعها حتى يأتي بينهما تفصيل على
أننا سلطنا فضلية ليلة مولده صلى الله عليه وسلم لم يكن له فائدة اذ لا فائدة في تفصيل الازمنة
الا بفضل العمل فيها اه قال الزرقاني وهو وجيه وقد يقال تختار الاول وأن الادلة تنتج وأن
المقصور على الليلة المعينة بسبب المنزلة وهو ظهوره صلى الله عليه وسلم ولا غرابة في تعدي
المنزلة الى ما يشابهه من رديها الا يرى أن ليلة المعراج سببها خاص بالليلة المعينة وفضلها عام
لكل ما يشابهها

* وبات ايوان كسرى وهو منصدع * كشميل أصحاب كسرى غير ملتئم *
عطف على تفرس وبات تامة بمعنى عرس وعليه فجملة وهو الخ جارية كاهو الظاهر وتحتل
النتقصان فاما على أصلها وهو الظاهر لا نصداح الايوان ليلة الولادة أو بمعنى صار والخير كشميل
جملة وهي اما اعتراضية أو حالية عند من يميز عمل النواحي في الحال أو هي الخبر واقترانها
بالواو وشبه الخبر بالحال نص عليه في التسهيل وعليه قوله
وكنا أناسا ينفخون فأصبحوا * وأكثر ما يعطونك النظر الشرر
والوجه اما الاول أو الحالية وهو أبين والمعنى حينئذ تشبيهه الايوان في حال انصداعه بشمل
القوم في حال تفرسه ويفيد ضمنا ثبوت الانصداع له الذي هو المطلوب بالاخبار ولا فائدة
الاول له صريحا قدمناه في الاعتبار وعلى كل ففي ذلك التشبيه استطراد لطيف ومن جبهه

ما أئسده صاحب زهر الآداب

تعطيك منطقها فاعلم أنه * محني عذوبته يمر بتغرها
وأطن جبل وصالها نجما * أوهى وأضعف قوة من خصرها

واقتران الخبر بالواو خلاف القياس فلا يخج إليه مع إمكان الوجه الصحيح والايوان بالسكر
الصفة العظيمة كالأزج والجمع ايوانات وأواون كذا في القاموس وفي شرح شيخ الاسلام
تقلا عن بعضهم أنه بيت مؤزج غير مسدود الوجه والمؤزج بالهمز والراي والجمي بيت بني
طولا وقيل الايوان البناء العالي وقيل بيت كبير مستطيل ذو شرفات وقيل مجلس الملك
المعدن لجلسه مع أبواب دولته لتدبير أمر الملك أه والمراد هنا البناء العظيم المعين باضاقة
وهو من عجائب الدنيا * في شرح ابن تيمية على رسالة ابن زيدون روي أن الرشيد أراد هدمه
فاستشار يحيى بن خالد البرمكي فنهاه وقال في بقاءه معجزة باقية فقال له الرشيد بل آيت الاتصبا
لآبائك وأمرهم هدمه فصرف على هدم شرفة مالا كثيرا فكف عنه فقال يحيى الآن تهدمه الملائكة
يتحدثون عنك أنك عجزت عن هدم ما بناه غيرك فتغافل عن قوله وتركه أه وكسرى في الأصل
لقب من ملك الفرس تقيصر الملك الروم وتبع ملك اليمن والنعمان الملك العرب والنخاشي ملك
الحبشة وفرعون الملك القبط والعزير ملك مصر وجالوت ملك البربر وخاقان ملك الترك وكسرى
معرب قسرى أي واسع الملك كذا في ابن حجر على الهمزية والمراد هنا كسرى أنوشروان
المشهور بالحكمة والعدل حتى قيل أنه شهد له صلى الله عليه وسلم بالعدل وواحد ثمانية أنه
عليه الصلاة والسلام قال ولدت في زمن الملك العادل ومن حكمه ان الملوكة اذا برت ملكها
بمال رعينها كانت بمنزلة من سطح بما يتقضه من أساسه * ومن عدله ما يحكى أن بعض رسل
الملوك دخل الايوان فرأى فيه اعوجاجا فسأل عنه فقيل انه كان بيت اعوجج فقبره سألها الملك
بعضه فامتنعت فأرغها في مال كثير فلم تفعل فتركها وبنى الايوان على ما هو عليه فقال الرسول
هذا الاعوجاج أحسن من الاستواء أه وضاقة الايوان اليه لكونه الذي تم أمره وسكنه
والمؤسس له سابور والانصداع انشقاق الشيء الصلب وشمل القوم مجمع عددهم من
شملهم الامر اذا عمهم والالتام الاجتماع والمعنى أن ليلته مولده الشريف انصدع الايوان
مع احكام بناؤه وشدة قوته وكفى ما نقلناه من عجز الرشيد عن هدمه بعضه فلم يكن ذلك الا آية له
صلى الله عليه وسلم كما قال الناظم وتداعى ايوان كسرى ولولا * آية منك ما تداعى البناء
وقوله كشمل الخ تشبيه بما آل اليه أمر ملك كسرى من دخول الاختلال فيه وانقراضه
على يد عمر بن الخطاب وذلك بدعاؤه صلى الله عليه وسلم بتزيق ملكهم حين خرق كسرى كآبه
المرسل اليه مع عبد الله بن خذافة والمعنى أن ولادته صلى الله عليه وسلم كانت سبب تداعى
بنيانهم المحسوس كما أن دعاءه كان سبب ذهاب بيمان ملكهم ومثل هذا التشبيه يسميه علماء
البدعيه تقر يعار جيع العمد لابن رشيبي وستأق القصة في شرح الامات بعد ان شاء الله

والنار خامدة الانفاس من أسف * عليه والنهر ساهى العين من سدم *

أل في النار هدية أي نار الفرس التي كانوا يقدونها في بيوت ويعبدونها وهي معطوفة على
ايوان وخامدة بالنصب عطف على الخبر وهو كشمل فيتسلط عليهما الفعل والتقدير وباتت

النار خامدة الانفاس الخ والرفع في الجزأين على الابتداء ثبته لا يقيد المطلوب اللهم الآن
تكون الواو حالية فتشير اليه كما يظهر بالتدبر وما قيل هنا يقال في والنهر ساهى العين الخ وعلى
الوجه الاول فتقدير الفتح في ساهى للضرورة التي قيل فيها انها من أحسن الضرورات
وخود النار سكون لها مع بقاء جرها وهمودها طفوء جرها والانفاس جمع نفس بفتح الفاء
وهو حقيقة دفع البخار الحار عن القلب وجاب التسميم البارد اليه وهو خاص بكل ذي رئة
و يتجزؤه فيقال تنفس الصبح أي تبليج وتنفس النار اذا اشتد حرها ومنه حديث اشكت
النار الى ربها فقالت يارب أكل بعضي بعضا فأذن لها بنفسي تنفس في الصيف ونفسي في
الشتاء والاسف أشد الحزن وضمير عليه الايوان كما هو الظاهر والاسف عليه لما أصابه
وقول شيخ الاسلام لا يصح عوده عليه اذ لو حزنتم على نفس الايوان لحمدت قبل انصداعه
غفلة عن مقدار التركيب وفي القرآن المحيد فتولى عنهم وقال يا أسفي على يوسف والنهر يسكون
الهاء ويحرك مجرى الماء والجمع أنهار والمبراد هنا واذى السماء وهو نهر بين الكوفة
والشام وساهى العين ساكنها والسدم بها التحريك الندم والحزن والمعنى أن ليلته مولده
الشريف باتت نار فارس خامدة لالهيبها وغار واذى السماء بحيث سكن جريانه وفي
البيت تشبيهه بان مر كان على طريقه التمثيل الاول في قوله والنار خامدة الانفاس والثاني
في والنهر الخ ويمكن جريان المسكنية فيهما ولا يعزب عليك تقريرها وأن الحمل على التمثيل أولى
كافي البيان

سواء ساورة أن غاضت بحيرتها * وردواردها بالغيط حين طمى *

سأه يسوء ضد ستره وسأوه مدينة بينهما وبين الرى اثنا عشر ون فرسخا وفاض الماء
غضا قلى ونقص والخبرة مركة الماء قالوا وبخبرة سأوه عظيمة جدا طولها ستة أميال وعرضها
كذلك وورد الماء أشرف عليه دخله أولم يتخذه كذا في القاموس والغيط غضب كامن
للعاجر والظمأ العطش واسناد السوء الى سأوه مجاز على حد واسأل القرية اذا سوء
حقيقة لأهل المدينة وأن غاضت فاعل ساء والمعنى ان أهل سأوه هم من الفرس ساءهم
ليلة الولادة غضب البحيرة التي يستسقون منها غضبا لم يعده أبأوهم من قبلهم وان وارد هم
لما أشرف عليها ليستقي فوجدها غائصة رديلا بالماء بالغيط والغضب لما عطش لقلة الماء
فان قلت هل اترك الظرف فيفيد أن الغيط لانعكاس المطلوب وهو أشد على النفس * قلت
المعنى على ذلك ولكن لما كان انعكاس المطلوب مع الحاجة الجبارة أشد على الطالب اعتبر
المصنف شدة الحاجة فأقرب بالظرف المبين لذلك فافهمه

كأن بالنار ما بالماء من بلل * حزنوا بالماء ما بالنار من ضر *

مفرداته بيته واتصبا حزننا على التعليل للاستقرار وحذف نظيره من المصراع الثاني لدلالة
الاول عليه والمعنى أن النار والماء كما في غاية التباعدي في الصفات وكفى شدة الحرارة
والبرودة وقد تغيرت حالة كل لولادته صلى الله عليه وسلم جعل الناظم ذلك للحزن على انصداع
الايوان وما أدى اليه تفرس الفرس منه من توقع البؤس والنقم ولا شك أن الحزن يغبر
الطباع والامر حجة بسبب ورود غير الملائم على الطبيعة فالبارد تغيرها بالحرارة والحرارة

بالعكس وبالغ المصنف في تخالف الصفات بالتشبيه فان اتصاف النار بالبلبل بوجوب اذهاب
 معنى النارية وكذا اتصاف الماء بالتهاب الذي هو معنى الضرم يذهب معنى التائية أيضا
 وما أشار اليه الناظم بهذه الامات مارواه الثقات أنه ليلة مولده صلى الله عليه وسلم ارتج
 ابوان كسرى أنوشروان وسقطت منه أربع عشرة شرقية وأخبره المويزان ومعناه القاضي
 أو المفتي بلغتهم برؤياه وهي أنه رأى تلك الليلة ابلاصعابا تقود خيلا عربا قطع دجلة
 وانتشرت في بلادهم وغارت بحيرة ساوة وكتب الى كسرى صاحب الفرس بأن سوت النيران
 قد أخذت تلك الليلة ففرغ لذلك وقال حدث يكون من ناحية العرب فكتب الى النعمان بن
 المنذر أن يرسل اليه أعلم من في أرضه من العرب فبعث اليه عبد المسيح بن عمرو الغساني وكان
 معمر اقلدهم على خاله سطيج بالشام فأمره كسرى بالذهاب اليه فقدم عليه وقد أشفى على الموت
 فسلم عليه فلم يرد جوابا فأنشأ عبد المسيح يقول

أصم أم يسمع غطريف اليمن * أم فاد فاز لم به شأو العين
 يا فاضل الخطة أعبت من ومن * أتاك شيخ الحن من آل سبن
 وأمه من آل ذئب بن حجن * أبيض فضفاض الرداء والبدن
 رسول قبيل العجم يسرى بالوسن * لأرهب الرعد ولا ريب الزمن
 تحويبي الأرض فلنداة شدن * ترقعني وجننا وتهوي بي وجن
 حتى أتى عارى الجأحي والقطن * تلفه في الرمح بوغاء الدمن

كأنما حثت من حصي تكن * فلما سمع سطيج شعرة رفع رأسه فقال عبد المسيح على
 جبل مشج جاء الى سطيج حين أوفى على الضريح بعثك ملك بني ساسان لارتجاج
 الابوان وخمود النيران ورؤيا المويزان رأى ابلاصعابا تقود خيلا عربا قد قطعت
 دجلة وانتشرت في بلادها عبد المسيح اذا كثرت التلاوه وظهر صاحب الهراوه وخدمت
 نارفارس وغارت بحيرة ساوه وغاض وادى السماوه فليست الشام لسطيج شاما يملك
 منهم ملوكا وملكات على عدد الشرفات وكل ماهوات آت ثم قضى سطيج مكانه اه
 * نفس غريب هذه القصة الغطريف هو السيد الشريف وفاد يقود مات وأما فاد يقيد
 فعناه تختبر وزلم قبض وشأ والعين الموت والفضفاض من الدروع الواسع وجارية فضفاضة
 كثيرة اللحم مع الطول والقبيل الملك في القاموس مقول كسبر اللسان والملك أو من ملوك
 حمير يقول ما شاء فينقذ كالقيل أو هو دون الملك الاعلى وأصله قيل كقيل اه والعنداة
 الناقة الشديدة والشدن بالادال القوى من شدن الطي وجميع ولد الظلف والخف والحافر
 شدوتا قوى واستغنى عن أمه ويرى بالزاي وهو الشدة والوجن جمع وجين وهي الارض
 ذات الحجارة الصغار وفي القاموس الوجين شط الوادي والعارض من الارض يتقاد ويرقع
 قلسلا والجأحي جمع جوجو كهدهد وهو الصدر والقطن محرمة ما بين الوركين والبوغاء
 الرخوة البرية والدمن جمع دمنة وهي ما قرب من الديار تبول فيه المواشي وتبعثر
 * والجين تهتف والأنوار ساطعة * والحق يظهر من معنى ومن كلم
 الاظهر أن الواو الية والحال في المعنى من الافعال السابقة والمعنى وقع جميع ذلك والحال أن

الجبن تهتف والأنوار الخ ويصح العطف وهو أبن اعرابا والمعطوف عليه الجملة المضاف اليها
 يوم وهو مما يضاف الى الجملة والجن الخلق المستتر المعروف وهو خلاف الانس والهتف
 الصوت المسموع ممن يخفى عن الابصار حال تكلمه وهو هاتف والنورا اضياء وسطوعه
 ظهوره وار تقاعه ومفردات المصراع الثاني بينة وواوه استئنافية وهو موسوق مساق التتميل
 والاستدلال لسابقه ومعناه أن شأن الحق أن لا يخفى وأن تتضافر الأقوال والمعاني على
 ظهوره فلا غرابة في وقوع تلك الخوارق الجامعة بين القول وغيره الدالة على صدق نبوته
 عليه الصلاة والسلام وهذا ضرب بديع من أضرب البلاغة جاء به الكتاب المجيد وقل جاء الحق
 وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وقد أكثر فحول الشعراء منها وأكثرهم أبو الطيب
 المتقي فانه قل ما تجده قصيدة خلية عنهما مع الحكمة البالغة ومنه قوله في سيف الدولة

كل يوم لك احتمال جديد * ومسير للمجد فيه مقام
 وإذا كانت النفوس كبارا * تعبت في مرادها الاجسام

ومنه قول أبي العلاء المعري

قالت عدا تلك ليس المجد مكتسبا * مقالة الهجن ليس السابق بالخضر
 وأولك بالعين فاستغوتهم ظن * ولم يروك بفرص صادق الخبر
 والنجم تستصغر الابصار رؤيته * والذنب للعين لا للنجم في الصغر

وأشار الناظم بهذا البيت الى ما روى عن عثمان بن العاص أن أمه فاطمة قالت شهدت آمنة
 لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ضرب بها الحاض رأيت النجوم تمدني حتى خشيت
 أن تقع علي فلما ولدت خرج منها نور أضاء له البيت الذي نحن فيه لما شئ أنظر اليه الا نور ثم
 شهدت لها تقاضت علي جبل الحجون

فأقسم ما أنثى من الناس أنجبت * ولا ولدت أنثى من الناس واحده
 كجولدت زهرية ذات مفجر * مجتمبة لؤم القبائل ما جده

وهتف آخر على أبي قيس ياسا كني البطحاء لا تغلطوا * وميزوا الامر بفصل مضى
 أخت بني زهرة من سر كم * في غالب الدهر وعند البدي * واحدة منكم فهاتوا لنا *
 فيما مضى للناس أو مابق * واحدة من خيركم مثلها * جنبينها مثل النبي التقي
 هذا هو المناسب لقصد الناظم هنا أما قصة سواد بن قارب فانها عند دعته صلى الله عليه وسلم
 وذلك لا يناسب المقصود هنا

* عمواوصموا فاعلان البشائر * تسمع وبارقة الانذار لم تسمع

ضمير الجمع لعموم الكفار الذين لم يؤمنوا به صلى الله عليه وسلم ولم يصدقوه مع ظهور دلائل
 نبوته وهؤلاء وان لم يتقدم لهم ذكر لكن حضورهم في الذهن ومعنا لومتهم لكل أحد سوغ
 استعمال ضمير لفظ الغيبة وقصر الضمير على خصوص الفرس وأصحاب كسرى وقوف على
 مقتضى ظاهرها الغيبة لوجب تصور افي المعنى والمعنى عدم البصر عما من شأنه أن يكون بصيرا
 والصمم صلاية من اكتناز الاجزاء ومن ثم قيل حجر أصم سمى به فقصد ان حاسة السمع لان سببه
 قول بعض الأطباء أن يكون صمماخ الاذن ~~ك~~ كثير الا تجوف فيه فلا يكون به هواء يسمع

الصوت بتوجهه والغاء للتفريع فرجع عدم المسببات على عدم أسبابها العرفية والاعلان
 الاظهار والبشارة بجمع بشاره بكسر الباء وهي الاخبار بما يحدث السرور ومن ثم لا تستعمل
 الا في الخير وقوله تعالى فيشرهم بعذاب اليم على طريق التجوز المبراد به التهوين ولا تطلق الا
 على اول خبر من حيث ان ما بعده مؤكدا للسرور ولا يحدث له مخبر والبارقة من برقت السماء
 وأبرقت اذا المعت بالبرق وسحاب بارقة اذا جاءت ببرق ومن حيث ان البرق في الغالب مقدمة
 مخوف كالمصواعق تجوز به كما هنا عن مقدمة الأندار الذي هو الاعلام بعاقبة الامر المخوفة
 والشمير رؤية البرق خاصة نقل عن أبي منصور الثعالبي أن النظر عام والشمع خاص بالبرق
 وعليه فهو ترشيح للتجوز هنا والمعنى أن الكفار سميت بأبصارهم فلم ينظر وبارق الأندار
 وصحت آذانهم فلم يعقلوا رسالته ولم يؤمنوا بها وذلك أن طريق العلم للامة الامة اما
 الاخبار والرؤية ولما كانت الادراكات الحسية تستدعي سلامة قوى المدرك وتهين
 المدرك للادراك نبه الناظم رحمه الله على أن خلل الادراك جاء من قبيل المدرك ضرورة أن
 المدرك بالسمع معلنه والمدرك بالبصر شبيه بالبرق في الضياء والظهور ومع ذلك لم يقع
 ادراكها ما فليس الا للخلل في القوى المدركة ومن حيث ما هو معلوم من حصول الادراك
 لهم بالسمع للسمع والرؤية للمرئي تعلم أن مرعى المصنف التشبيه والتنبيه على أن الادراكات
 اذا لم يقع العمل بمقتضاها فهي والعدم سواء ومن ثم كان العالم الذي لم يجز على سنن علمه
 كالجاهل وقد نعى الله حال المناقنين بذلك فقال جل اسمه صم بكم عي فهم لا يرجعون ومن
 حكيم أبي الطيب وما انتفاع أخي الدنيا بناظره * اذا استوت عنده الأنوار والظلم
 وفي البيت نثر على عكس الفدعا اليه مراعاة الروي هذا ومن لطيف اشارات المصنف
 اختيار عنوان الاعلان في البشارة والبارقة في الأندار ايماء الى أن أسبق كراماته صلى الله
 عليه وسلم النفع والسرور وأن الجاحد جنى على نفسه بترك حظه من ذلك وقوله جل اسمه
 وما أرسلناك الا رحمة للعالمين وتقديم وصف البشير على النذير حيثما ذكر في الكتاب المجيد
 أعدل شاهد لما ذكرناه ومن ثم كانت البشارة بالتصريح والادلة الواضحة والانداز بالامعاء
 المراد للمصنف بالبارقة وذلك تغييرا لحوال الكفر من خمود النيران وانصداع الايون وغيض
 الماء المؤذن ذلك بسوء عاقبة الامر كما ظنوه وكان عاقبة الامر ما تخوفوه

* من بعدما أخبر الأقسام كلهم * بأن دينهم المعوج لم يقم *
 متعلق بقوله عموا ووهوا باعتبار المراد منهما من المخالفة والجحود كما أشرنا اليه في شرح البيت
 قبله والاقوام الكفار عموما كما تقدم والكاهن الذي يدعى علم الغيب وقيل الذي له صاحب
 من الجن يخبره ببعض الكائنات وضافته جنسية بدليل عموم المضاف اليه كما بينا والدين الملة
 والطاعة التعبدية ويقال للطريقة الملتزمة وعليه قوله

ولم يبق سوى العدوا * نذاهم كما دانوا
 والمعوج ما كان ذاعوج وهو بكسر العين في المعاني وبفتحها في غيرها والقيام الدوام من
 قام الامر اذا دام ومنه ويقومون الصلاة أي يداومون عليها والمعنى أن جحود الكفار
 وانكارهم رسالته صلى الله عليه وسلم كان بعد اخبار كاهنهم الذين كانوا يصدقونهم

ويتخذونهم عمدا يرجعون اليهم في أحوالهم وفيما يحدث لهم من الامور بأن ما هم عليه
 من التدن الفاسد وعبادة الاوثان الذي لا يقبل عند ذي عقل قد اندرسه وترعرع أساسه
 ببعثته صلى الله عليه وسلم بالدين القويم ونعى عليهم بأشنع حالة حيث خانفوا في شأنه معنادهم
 من العمل على أخبار من وثقوا بأخباره في عامة شؤونهم وذلك من أقوى الشواهد على اعوجاج
 ما هم عليه من التدن اذ أول مراتب التدن الاعتماد على قول من يجعل عمدة فيه * وأخبار
 الكهان المشار اليها في النظم كثيرة منها قصة خطر بن مالك روى عن اهب بن مالك اللهي قال
 حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كرت عنده الكهانة فقلت باني أنت وأخي نحن
 أول من عرف حراسة السماء وزجر الشياطين ومنعهم من استراق السمع عند قد النجوم
 وذلك أنا اجتمعنا الى كاهن لنا يقال له خطر بن مالك وكان شيخا كبيرا قد أنت عليه مائة وثمانون
 سنة وكان من أعلم كهاننا فقلنا يا خطر هل عندك علم هذه النجوم التي يرحي بها فانا قد فرغنا لها
 وخفنا سوء عاقبتها فقال اتوني يسحر أخبركم الخبر أخبركم ضرر أولامن أو خطر قال
 فانصر فنعنا يومنا فلما كان من غد في وجه السحر أتينا فاذ هو قائم على قدميه شاخص
 في السماء بعينييه فنادينا يا خطر يا خطر فأومأ اليانا أن أمسكوا فامسكنا فانقض نجم
 عظيم من السماء وصرخ الكاهن رافعا صوته أصابه أصابه خامرة عقابه عاجله
 عذابه أحرقه شهابه زليله حوايه باويله ماحاله بلبله بلباله عاوده خباله تقطعت
 حباله وغبرت أحواله ثم أمسك طويلا وقال يا معشر بني قحطان أخبركم بالحق
 والبيان * أقسم بالله كعبتي والاركان * والبلد المؤمن السدان قد منع السمع عماه الجنان
 بشاقب بكف ذي سلطان من أجل مبعوث عظيم الشأن يبعث بالتنزيل والفرقان
 وبالهدى وفاضل القرآن تبطل به عبادة الاوثان قال فقلت يا خطر انك لتذكر أمرا
 عظيما فإتري لقومك قال أرى لقومي ما أرى لنفسى * أن يتبعوا خيريبي الانس
 برهانه مثل شعاع الشمس * يبعث في مكة دار الحمس * بحكم التنزيل غير اللبس
 فقلت يا خطر ومن هو فقال والحياة والعيش انه لمن قريش ما في حكمه طيش ولا في خلقه
 هيش يكون في جيش وأي جيش من آل قحطان وآل هيش فقلنا بين لنا من أي قريش
 هو فقال والبيت ذي الدعائم انه لمن نجبلها شم من معشرا كارم * يبعث بالملاحم وقتل
 كل ظالم ثم قال هذا هو البيان أخبرني به رئيس الجنان ثم قال الله أكبر جاء الحق وطهر
 وانقطع عن الجن الخبر ثم سكنت وأغمي عليه فما أفاق الا بعد ثلاث فقال لا اله الا الله محمد
 رسول الله ثم مات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد نطق عن مثل نبوة وانه ليمبعث يوم
 القيامة أمة واحدة اه وأخبار الكهان في مثل هذا كثيرة تكلفت بالاحاطة بها كتب السير
 * وبعد ما عاينوا في الأفق من شهب * منقضة وفق ما في الارض من صم *

عطف على بعد السابقة وما موصول اسمي عانده محذوف مبدئ بشبه والمعانيه الرؤية بالعين
 ومنه قواهم فلان لك عبدة عين أي كالعبدة مادمت تراه والاق بكون الغاء وضعها الناحية
 ومنه أفق السماء وهو المراد هنا والشهب جمع شهاب وهو شعلة نار ساطعة والمراد هنا ما يرى
 منقضا من الكواكب كشعلة النار واختلاف في حقيقة فذهب الحكماء وأهل الهيئة أنه

أجزاء بخارية تصعد من الأرض إلى الكرة النارية فتشتعل وتزلز ولا كانت مسببة عن تسخير
السكواكب نسبت إليها وهذا الرأي مخالف لنصوص الكتاب وأقوى ما يخالف النص بأنها
رجوم للشياطين فإنها إذا كانت طبيعية على ما يرون تحدث عندما تقتضيها الطبيعة صادفت
شيطانا أم لا وتوجهه بأنه لا بعد أن يكون حدثا عند ما يريد الله رجم الشيطان تركيب
مذهب طبيعي بغير شعري لا يقبل عند ذوى العقول وذهب أهل السنة إلى التمسك بظاهر
النصوص القرآنية وان نجوم نفسها تنقض عند ما يريد الله رجم الشياطين وهو رأي حكيم
العرب كسجى نقله ان شاء الله ومنقضة صفة للشهب وانقض الشيء هو وسقط والوقف
الموافقة في أي شيء كان ولفظه نصب على الخالصة لان اضافته لفظية والصح ما كان مصورا
من حجر الوثن ما كان من غيره وقيل هما معنى واحد ومعنى البيت ان كفر الأقوام كان أيضا
بعدهم عانة الخوارق العظمى وهي تساقط الشهب من السماء على خلاف ما يعتادون ونكوس
أصنامهم يوم ولادته صلى الله عليه وسلم فهذا التغيير العلوي والسفلي المتوافقان في الزمن
والسكوة مما ينادى بصحة رسالته صلى الله عليه وسلم لو أسمع حيا وقد دعانا نوا كلام من
الأمرين وعظما عندهم وعلما أن ذلك لحادث عظيم في الكلاعية عن ابن اسحق أول العرب
فرع للرمي بالنجوم حين رمي بها تقيف وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية وكان
أدهى العرب فقالوا له يا عمر وألم تر ما حدث في السماء من القذف بهذه النجوم قال بلى فأظنروا
فان كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر وتعرف بها الأنواع من الصيف والشتاء
لما يصلح الناس في معاشهم هي التي يرمي بها فهو الله يريد طي الدنيا وان كانت نجوم غيرها
وهي ثابتة فهذا الامر أراد الله به هذا الخلق اه وتقدم ذكر قصة لهب بن مالك مع خطر
وهذان الخبران وأمثالهما يقتضيان حدوث هذا الانقراض بولادته صلى الله عليه وسلم
وهو ما يقتضيه صفيح الناظم رحمه الله وهو المعنى الظاهر من الكتاب المجيد في مواضع عديدة
وذلك مما يصف طريقة الحكماء المتقدمة وقيل انه كان سابقا معلوما عند العرب ذكروه
في اشعارهم قال عوف بن الخرع وهو جاهلي يصف فرسا
يرد علينا العير من دون الفه * أو الثور كالدرى يتبعه الدم

نعم كان بقوله فكثير عند من عبثه صلى الله عليه وسلم وهو الذي يقتضيه الامتلاء فيما يحكيه علت
كلمته عن الجن وأننا لسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وأنت لا ترضى بذلك
البيت معارض الفزع العرب عند رؤيتها ولا اقتضاء في الآية كما هو بين وقوله وفق الخذ كر
ارهاص آخر من كراماته صلى الله عليه وسلم على طريقة التفريع التي أمرنا إليها
وسنشرها في الآيات بعد ان شاء الله ذكر المؤرخون أنه لما ولد صلى الله عليه وسلم أصبحت
أصنام الدنيا كلها منكوسة

حتى غدا عن طريق الوحي منهزم * من الشياطين يفتقوا ثم منهزم *
مفرداته بينة وحتى غاية لا تقضاض الشهب مبينة لقائده ومنهزم فاعل غدا ويقفوجلة حالية
والمعنى أنه ترتب على انقراض الشهب انهزام الشياطين عن طريق الوحي بحيث صار
الواحد منهم يفتقوا أثر الآخر في الانهزام على معنى عموم الانهزام لجمعهم وشاهد ما ذكره

الناظم ما قص من قول النفر الخني في سورة الجن وما روى ابن عباس رضي الله عنهما عن نفر
من الانصار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما كنتم تقولون في هذا النجم الذي يرمى به
قالوا يا نبي الله كان يقول ملك ملك ولد مولود مات مولود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس
ذلك كذلك ولكن الله تبارك وتعالى كان اذا قضى في خلقه أمرا سمعه حملة العرش فسبحوا
فسبح من تحتهم لتسبيحهم فيسبح من تحت ذلك فلا يزال التسبيح يهبط حتى يقهسى الى سماء
الدنيا فيسبحون ثم يقول بعضهم لبعض ثم سبحتم فيقولون سبح من فوقنا فسبحنا لتسبيحهم
فيقولون ألا تسألون من فوقكم لم سبحوا فيقولون مثل ذلك حتى يقهسوا الى حملة العرش فيقال
لهم لم سبحتم فيقولون قضى الله في خلقه كذا وكذا للامر الذي يهبط به الخبر من سماء الى سماء
حتى ينتهي الى سماء الدنيا فيجدون به قسرة الشياطين بالسبح على توهم واختلاف ثم يأتون
به الكهان من أهل الأرض فيحدثونهم فيخطون ويصيرون فتحدث به الكهان فيخطون بعضها
ويصيرون بعضها ثم ان الله حجب الشياطين بهذه النجوم التي تصفون بها فانقطعت الكهانة
اليوم فلا كهانة

كأنهم هربا أبطال أبرهة * أو عسكر بالحصى من راحتيه رمي *
نهر الجمع للشياطين والهرب اسم للهروب أو مصدر غريزيا وهو الفرار بسرعة ونضبه
على التمييز للفسبة باعتبار تعاقب الساخنة وهو التشبيه والأبطال جمع بطل وهو الشجاع
وأبرهة بفتح الهمزة أحد ملوك اليمن وهو صاحب الفيل ومعنى هذا اللفظ الجبشية الأيض
الوجه قال الخفاجي في حواشي التفسير وهو يؤيد القول بأن أبرهة هذاهو ابن الصباح
الجميري وليس ابن كيسوم الحبشي اه والى الأول ذهب القاضى في التفسير ووجه التأيد
ان نياض الوجه ينافى الجبشية وفيه أنه اذا ثبت تسمية ابن كيسوم بذلك الاسم فلا تأيد
فانهمه والذي نقله صاحب الحمدة عن ابن قتيبة أن أبرهة بن الصباح ملك اليمن لكنه غير
صاحب الفيل الاول الاسبق بقرون وبينهما ملوك كثيرين فاعرفه والحصى جمع حصاة وهي
الصلبة من صغار الحجارة وتعرفه حنسى اذا عهد ولا مساع للاستغراق والظرفان يتعلقان
برمي آخر البيت والمعنى أن الشياطين بعد انقراض الشهب يشبهون أبطال أبرهة حين أرسل
عليهم الطير الأبايل من جهة هروهم أو يشبهون الكفار يوم أحد حين ولوا هار بن لنا
رماهم صلى الله عليه وسلم بالحصى والغرض من هذا التشبيه ذكر كرامته صلى الله عليه وسلم
في قصة الفيل فان ذلك كان من بركته ومجزة صلى الله عليه وسلم يوم أحد بعد ذكر كرامته
بحراسة السماء بالشهب على طريق النظائر الخاصة وأنى بكيفية التشبيه دون تعدادها
استقلالاً على طريقة التفريع المعلومة عند أهل اليبديع قال ابن رشيق في الحمدة التفريع
أن يدكر الشاعر وصفا ثم يفرع عنه وصفا آخر يزيد الموصوف تأكيداً نحو قول السكيت
أحلامكم لسقام الجهل شافية * كما دماؤكم يشفي بها الكلب
فوصف شياً ثم فرع عنه شياً آخر لتشبيهه شفاء هذه بشفاء هذه وقال ابن المعتز يصف ساق
كأس فكأن حمره لوناً من حنءه * وكان طيب نسيها من نثره
حتى اذا صب المزاج تبسمت * عن نغرها فحسبته من نغسره

ما زال ينجزني مواعيد عينيه * فهو أحسب ريقه من خمرة
 اه والنظم من هذا القبيل وإذا عرفت أن غرضه من هذا التشبيه هو التفرغ لأعماله
 تلتفت إلى كون التشبيه على حقيقته أو هو من عكس التشبيه * وقصة أبطال أبرهة ما حكاها
 جل اسمه عن حال أمرهم بقوله فأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم
 كعصف ما كور وشرحها ما حكاها أصحاب السدير والمؤرخون أن أبرهة بنى كنيسة يقال لها
 القليس مشددا بصنعا اليمن لم ير مثلها في زمانها وكان ينقل إليها الرخام الجرز والحجارة
 المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام وكان حكمه في العامل إذا
 طلعت الشمس ولم يعمل قطع يده ونصب فيها صلبان من الذهب والفضة ومنابر من العاج وما
 كمل مراده من بنائها كتب إلى النجاشي أني بنيت لك أيها الملك كنيسة لم ير مثلها الملك قبلك
 ولست بعنته حتى أصرف حج العرب إليها فلما تحددت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي
 غضب رجل من الفساة أي الذين يثبون الثهور في الجاهلية فحكى لشهر من الأشهر الحرم
 ويحرمون مكانه شهر من أشهر الحلال فخرج حتى أتى القليس فأحدث فيها فاجبر بذلك أبرهة
 فقال من صنع هذا فقيل له رجل من أهل هذا البيت الذي يسبح العرب إليه بمكة لما سمع قولك
 أصرف حج العرب إليها فغضب عند ذلك أبرهة وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه فتجهزت
 الحيشة وخرجوا بالقيل فأعظمت ذلك العرب ورأوا جهاد حقا عليهم فخرج اليه رجل
 من أشرف اليمن يقال له ذونفر فدعا قومه ومن أخاه من سائر العرب إلى حرب أبرهة فقالوا
 وهزم أصحاب ذونفر وأخذ أسرا فلما هم أبرهة بقتله قال له أيها الملك لا تقتلني عسى أن
 يكون بقائي معدن خيرا وكان أبرهة حليما فتركه وحبه في وثاق عنده فلما بلغ أبرهة خثعم
 عرض له نقيس بن حبيب ومن تابعه من العرب فانهزموا وأسرى نقيس فلما هم بقتله قال لا
 تقتلني أيها الملك فاني دليلك بأرض العرب فتركه حتى إذا أتى الطائف خرج له مسعود بن معتب
 التقي في رجال تصيف ققواله أيها الملك نحن عبيدك وليس بيننا يعنون الألات هو الذي تريد أنما
 تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا معه أبارغال دليلا فلما نزل بالخميس
 مات أبورغال فرجت العرب قبره فبقى رجمه سنة ثم بعث أبرهة الاسود بن مقصود على خيل له حتى
 انتهى إلى مكة فساق إليه أذوال تهامة من قریش وغيرهم وأضاف إليها ما أتى بعير لسيدنا
 عبدالمطلب بن هاشم كبير قریش وسيدها فهمت العرب من قریش وكثيرة وهذيل ومن كان
 بالحزم بقتله ثم عرفوا أن لا طاقة لهم به فتركوا ذلك فبعث أبرهة حنطة الحميري إلى مكة وقال
 سل عن سيد هذا البلد ثم قل له ان الملك يقول لك اني لم آت الحزبكم انما جئت لهدم هذا
 البيت فان لم تعرضوا لي دورته فلا حاجة لي بدمائكم فان هولم يردحري فائتني به فأتى الرجل
 سيدنا عبدالمطلب وبلغ له الرسالة فقال له لا تريد حربه ولا نطقه هذا بيت الله الحرام وبيت
 خليله ابراهيم عليه السلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخيل بينه وبينه فهو الله ما عندنا
 دفع منه فقال له فانطلق معي اليه فانطلق حتى أتى العسكر فاستأذن عليه فأذن له وكان سيدنا
 عبدالمطلب أجمل الناس فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه عن أن يجلسه تحتها وكره أن تراه الحبيشة

يجلس معه على سرير ملكه فقل وأجلسه على بساطه إلى جنبه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك
 فسأله الترجمان فقال أن يرد على الملك ما أتى به برأصاها إلى ناخذ به الترجمان فقال له قد
 كنت أعجبتي ثم زهدت فيك تكلمني في الأبعرة وتترك بيتا هو دينك وأبائك لا تكلمني
 فيه فقال له أناب الابل وان للبيت باسمه قال أبرهة ما كان لمتنع مني فقال له أنت وذلك
 فرد عليه الابل وأتى قریشا فأخبرهم وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في شعب الجبال
 خوفا من مضرة الجيش فأخذ سيدنا عبدالمطلب بحلقه الكعبة وقام معه نفر من قریش
 يدعون الله ويستصرخون وعبدالمطلب يقول

لاهم ان العبد يسرع رحله فامنع رحالك
 وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك
 لا يغلبن صليهم * ومحالهم أبدا محالك
 جزوا جميع عيالهم * والقيل كي يسبوا عيالك
 عمد واحماك بكيدهم * جهلا ومارقبوا حلالك

كذا ذكره بعضهم والمشهور في بعض السير الاقتصار على البيت الأول والثالث ثم انطلق
 مع القوم إلى شعب مكة فحزروا بها فلما أصبح أبرهة تهيأ للدخول إلى مكة وكان اسم القيل
 محمودا فلما وجهوه إلى مكة قام بجنبه نقيس بن حبيب وأخذ بذننه وقال ابرك محمودا وارجع
 راشدا فانك في بلد الله الحرام ثم أرسل ابنه فبرك القيل فضر به ليقوم فأبى فضر به
 بالظبرين في رأسه فابى فوجهوه إلى اليمن فقام بهرول إلى الشام كذلك وإلى المشرق كذلك
 وإلى مكة فبرك وأرسل الله عليهم طير من الجبر أمثال الخطاطيف مع كل طير ثلاثة أحجار
 حجري منقاره وحجران في رجليه أمثال الحص والعدس لا تصيب أحدا منهم الاهلك
 وليست كلهم أصابت وخرجوا هاربين يتدرون الطريق ويسألون عن نقيس ليدلهم فقال
 حين رأى ما نزل بهم أين المفر والاله الطاب * والأشرم المغلوب ليس الغالب
 وأصيب أبرهة في جسده وخرجوا به تسقط أنامله أنملة أنملة كما سقطت أنملة تبعته امددة فيجودم
 حتى قدموا به صنعا وهو مثل فرخ الطائر فمات حتى انصدع صدره على قلبه ويقال أول
 ما ربت الحصاة والحدرى ومراثر الشجر كالحرمل والخنظل بارض العرب ذلك العام وما
 أشده وان الله إذا أخذهم بأضعف خلقه لما اعتمدوا على أقواها وكانت هذه الواقعة قبل ولادته
 صلى الله عليه وسلم بخمسين يوما فانها كانت في الحرم من عام ولادته صلى الله عليه وسلم ومن
 هنا كانت من كبريائه صلى الله عليه وسلم والارهاصات الدالة على نبوته عليه السلام * وأما
 قصة رمي الحصى من كفه صلى الله عليه وسلم فهي ما حكاها أرباب السير من وقوع ذلك مرتين
 أولا هما في غزوة بدر الكبرى وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما عدل صفوف المسلمين يوم القتال
 دخل العريش ومعهم أبو بكر رضي الله عنه وصار ينادي بربه ويقول اللهم انك انت تلك
 هذه العصاة اليوم لا تعبد وأبو بكر يقول يانبي الله بعض مناشدتك ربك فان الله منجز لك
 ما وعدك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قریشا

ثم قال شأهت الوجوه ثم رامهم بها وقال لاصحابه شدت وافمكانت الهزيمة على المشركين وجعل الله شأن تلك الحصاة عظيما فان لم تترك أحد من المشركين الاملات عيبيه واستولى عليهم المسلمون قتلوا سرا يحدون النفر من بكاء على وجهه لا يدري أين يتوجه يعالج نزاع التراب من عيبيه والثانية في غزوة حنين روى عن العباس بن عبد المطيب رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم بعد ما جمع من المسلمين من تفرق ونشب القتال قبض قبضة من الحصاة فحصب بها وجوه المشركين ونواصهم كلها وقال شأهت الوجوه فهزم الله أعداءه من كل ناحية خصمهم فيها واتبعهم المسلمون يقا تلونهم وغنمهم الله نساءهم وذرارهم وشاءهم وابلهم اه باختصار ولعظم شأن ذلك الرمي قال تعالى في أمره وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ولا تطيق أن تصبر ومن هذا النفي والاثبات ما هو عام في أفعال الخلق عند الاشاعة من أن كل فعل يخلق الله وانما المعنى ان هذا الفعل لا متصل اليه قدرة المخلوق كما نصل في سائر أفعاله فهو متمحض لكونه من الله وان كانت الصورة من العبد فتدبره وما أ لطف صفيح الناظم في ضم هذه المعجزة للارهاص الاول اذ كانا من نوع واحد وهو هلاك أعداء الله بالحصاة في الخاتين فافهمه

نبتا به بعد تسبيح بيظنهما * نبتا المسبح من أحشاء ملتقم*

النبت الرمي من اليد كاللفظ من القم ونصبه في النظم على المصدرية بقوله رمى نحو جلست قعود أو محذوف من لفظه دل عليه المقام أي نبتا به نبتا على طريق الاستئناف المدين لاجمال ما قبله وهذا هو الأصوب ليسم الناظم من التضمن المعيب في القوافي ونبتا المسبح على معنى التشبيه والمسبح سيدنا يونس بن متى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام والأحشاء جمع حشا وهو ما انطوت عليه الفلوع والمراد بالملتقم الحوت الذي التقم يونس عليه السلام والمعنى أنه صلى الله عليه وسلم نبتا الحصى من راحتيه بعد ما سبحت بيظنهما كما نبت يونس من بطن الحوت بعد تسبيحه وتسبيح الحصى بكفه صلى الله عليه وسلم من معجزاته الثابتة والمراد به التسبيح المشهور لا التسبيح الثابت لكل شئ بنص الكتاب وظاهر صفيح الناظم أن الحصى الرمي به سبج في كفه صلى الله عليه وسلم قبل الرمي به قال شيخ الاسلام ابن مرزوق لعيل الناظم اطبع على ذلك والاخذ بثأس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ كفا من حصى فسبحن في يده حتى سمعنا التسبيح ثم صهن في يدي بكر فسبحن ثم في أيدينا فسبحن ومثله عن أبي ذر وذكر أنهن سبحن في يد عمر وعثمان لا يدل الأعلى أن الحصى سبج في كفه على الجملة اه قلت وهو وان كان محملا يحتمل باجماله أن يكون التسبيح وقع حين الرمي كما يحتمل أن يكون في غير ذلك الوقت الآن الجمع ما بين حديث التسبيح المذكور وحديث الرمي يقضي بالغايرة فلا تدخل حالة الرمي تحت اجمال حديث التسبيح المذكور والوجه صرف اللفظ عن ظاهره الى ارادة التسبيح في غير حالة الرمي ايماء الى معجزة تسبيح الحصى ولما كان معاد الضمير جنسيا كما قدمناه سهيل الامر وحاصل المعنى أن ما وقع من معجزة الرمي بالحصى كان بعد معجزة تسبيحه بكفه صلى الله عليه وسلم فان قلت يتوقف صحة هذا على تحقق الترتيب في الخارج والروايات لا تقتضيه قلنا هي وان لم تقتضه صريحا لكن أحاديث تكايم الشجر وتسبيح الطعام والحصى وسوق

من ساقها يشعر ان بأن ذلك كان يحدثان بعثته صلى الله عليه وسلم وشيخ الاسلام لما لاح له السؤال ادعى ان بعد للترتيب كما تستعمل ثم لذلك أحبا انا ولا أظنك ترضى عنه كما أنك لا ترضى باحتمال أن يراد التسبيح منه صلى الله عليه وسلم ثم يحتمل أن يكون الغرض من التشبيه ببغذ يونس عليه السلام الإشارة الى ما دلت عليه الآية التي قدمت منها في شرح البيت قبله من أن عظمة أثر هذا الفعل لا تلاقى القدرة البشرية وأن الفعل وان كانت صورته منه صلى الله عليه وسلم فهو حقيقة من الله تعالى كتمحض بنديونس من أحشاء الحوت واختصاص التشبيه به نذابين لشدة الملازمة في الرمي والتسبيح من الرمي وربما يهتد هذا الاحتمال بناء الفعل للنائب في البيت السابق لكنه لا يليق بملاغة النظم ويحتمل أن يكون ايماء الى ما هو مشهور من أن ما من آية أوتيهانبي الأوقى نبينا مثلها أو أعظم منها والاطهر أنه اشارة الى أن كرامة يونس بما ذكرنا كانت من أجله صلى الله عليه وسلم فهو من تمام التعريف المتقدم ذكره وذلك أنه لما تحقق كما بيناه سابقا ان بقوة كل نبي انما هي له صلى الله عليه وسلم على طريق الحقيقة فاذا كل كرامة تثبت لذلك النبي فهي في الحقيقة لنبينا صلى الله عليه وسلم وقد تقدم في النظم وكل آتى الرسل الكرام بها الخ ومن ثم نقل أنه صلى الله عليه وسلم قال كنت مع يونس في بطن الحوت أو ما ههنا معناه وفي شيخ الاسلام كلام في توجيه النظم لا يرضى عند التأمل وقصة يونس عليه السلام مذكورة في الكتاب المجيد في غير ما مر * وذلك أنه لما طالت دعوتة يونس ودامت شكيتهم وتماذى اصرارهم هاجر عنهم قبل أن يؤمر من الله تعالى فركب السفينة فوقت فقالوا ههنا عبد آبق فاقرعوا فخرجت القرعة عليه فقال أنا الآبق ورمي بنفسه في الماء فالتقمه الحوت واتلعه فنادى في الظلمات أي ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة أحشاء الحوت لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فكان من لطف الله أن الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه ليتنفس يونس عليه السلام حتى انتهى الى البر فلفظته باجابة دعائه بذلك الدعاء وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له اه

جاءت لدعوة الأشجار ساجدة * تمشى اليه على ساق بلا قدم*

الجىء الايمان ودعوة أمره ونداؤه والأشجار ماله ساق من النباتات وتعر يفه جنسى والسجود وضع الجبهة على الارض خضوعا والمراد هنا مطلق الخضوع على طريق التحوير والمشى معروف ويروى تسعى وهو بمعناه وساق الشجر جذعها والقدم طرف الرجل والغبي ان من معجزاته صلى الله عليه وسلم محيىء الشجر له صلى الله عليه وسلم حين دعاه للجبىء والشهادة له بالرسالة وثبت ذلك من الشهر فتمكان حيث رواه الجم الغفير من التابعين عن عدة سادة من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين فن ذلك ما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كأم رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه أعرابي فقال يا اعرابي أين تريد قال الى أهلى قال هل لك الى خير قال وما هو قال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادى فادعها فانها تحيىك قال فدعوتها فأقبلت تحضد الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت أنه كما قال ثم

رجعت الى مكانها ومنه ماروى عن بريرة سألت اعزاني النبي صلى الله عليه وسلم آية فقال له
 قل لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك قال فقالت الشجرة عن يمينها وشمالها
 وبين يديها وخلفها فتقطع عروقها ثم جاءت تحت الأرض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت
 بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اسلام عليك يا رسول الله فقال الاعرابي مرها
 فلترجع الى منبتها فرجعت فذلت عروقها في ذلك الموضع فاستوت فقال الاعرابي انذني
 أن أسجد لك قال لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها قال فأنذني
 لي أن أقبل يدك ورجلك فأذن له * وعن الحسن أنه عليه الصلاة والسلام شكك الى ربه من
 قومه وأنهم يخوفونه وسأله آية يعلمها أن لا تخافه عليه فأوحى الله اليه أن أنت وادي كذا فيه
 شجرة فادع غصنها ما يأتك ففعل فخاء بخط الأرض حتى اتصب بين يديه فحسبه ماشاء
 الله ثم قال ارجع كما جئت فرجع فقال يا رب علمت أن لا تخافه علي اه وان أردت الاحاطة
 بالرواية في هذا المعنى فانظر الشفاء وغيره أن جميعها لا يتفق من السجود مع المحي كما هو ظاهر
 كلام الناظم وحديث السجود وان ثبت ليس فيه سعي ومحجي وهو ماروى عن جابر بن عبد
 الله لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر بشجرة ولا شجر الا يسجد له ومن ثم حملنا السجود
 في النظم على معنى الخضوع ثم السجود الثابت بحديث جابر المراد به الانخفاض الى أن يمس
 الأرض لاحقيقة السجود اذ لا يكون الا من البشرى الجهة وبه ثم اذ يظهر أن لا يمنع في مثل
 هذا اذا تختص بالله هو الحقيقي لا الانخفاض على سبيل التواضع هذا وما ألقى قول الناظم
 على ساق بلا قدم اذ هو م الساق ذات القدم وان السعي عليها اذ هو مستعرب

* كأنما سطرت سطر الما كتبت * فروعهما من يدع الخط بالقلم *

التسطير التخطيط على الاستواء والكتابة حقيقة ما معروفه وقرع الشجرة غصنها والبديع
 بمعنى المبدع على صيغة المفعول وأصله المفعول على غير مثال ثم توسع فيه وأريد منه الصنع
 الغريب المستحسن وهو المراد هنا والقلم يقع اللام بحجة الطريق ووسطه وغرض الناظم
 التقيبه على أن محجي الشجرة صلى الله عليه وسلم كان على حال اعتداله من دون ميل ولا
 انحراف وذلك من تمام غرابية المعجزة فان الشجر اذا ترعرع عن يمينه لعبت به الرياح وشبهه رحمة
 الله تعالى حال الشجر في محجتها على وجه الاستقامة بحالة الكتاب المبدع في سطور مستوية
 والجامع الحسن والجمال والدلالة على المعنى فان ذلك المحي آفصه من الكتابة بل ومن اللفظ
 في الدلالة على المراد منه واتباع ذلك التشبيه تشبيه في بعض المفردات كتشبيه الفروع
 بالكتاب وشقها الأرض بالكتابة وقد أخذ هذا التشبيه في معناه من قول لبيد بن ربيعة

وجلا السيول على الطلول كأنها * زيرتجد متونها أقلامها

فانه شبهه حالة جلاء السيول عن آثار الطلول واطهارها بتجديد الاقلام متون الكتب واتباع
 هذا تشبيه الطلول بالزبر والسيول بالأقلام والجلاء بتجديد الكتابة

* مثل النجامة أنى سار سائرة * تقيه حر وطيس له محجر محي *

مثل صرفوع على الخبرية لبيد ما محذوف أى شأن الأشجار فهاذ كرم مثل النجامة في شأنها المحكي
 في البيت والنجامة المتحابة وأنى بمعنى أين وتقيه مضارع وقاه بمعنى حفظه والحر ضد البرد

وأصل الوطيس التنوير بخبر فيه ثم تجوزيه عن الشيء الشديد الحر ثم توسع فيه فتجوزيه عن
 الشديد الحر المعنوي فيقال للحر عند اشتدادها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في هوازن
 الآن حى الوطيس والهجر نصف النهار وحى اشتد ومعنى البيت أن شأن محي الأشجار
 لذاته صلى الله عليه وسلم في الكون كرامة ومعجزة له صلى الله عليه وسلم مثل وقاية النعام له من
 حر الشمس تسير معه حيثما سار وأصله ماخرجه الترمذى عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه
 قال خرج أبو طالب ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أشياخ من قريش فلما أشرفوا على
 راهب يقال له بجر او حلوار حالهم خرج اليهم راهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج
 اليهم فجعل يتكلمهم حتى جاء فأخذ يدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال هذا سيد العالمين
 هذا رسول رب العالمين بعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ قريش ما أعلمك بهذا فقال انكم
 حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا ولا يسجد ان الانبي وانى عرفته
 بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفيه مثل التفاحة ثم رجع وصنع لهم طعاما فلما أتاهم
 به وكان صلى الله عليه وسلم في رعي الإبل قال أرسلوا اليه فاقبل وعليه غمامة تظله فلما دان من
 القوم وجدهم قد سبقوه الى في الشجرة فلما جلس مال في الشجرة عليه فبينما راهب قائم
 يناشدهم أن لا يذهبوا به الى الروم فان الروم ان رأوه عرفوه بالصقعة فيقتلونه فالتفت فاذا بسبعة
 من الروم قد أتوا فاستقبلهم راهب فقال ما جاء بكم قالوا انبئنا أن هذا النبي خارج في هذا
 الشهر فلم يبق طريق الا دعيت ملكا اليه بأناس قال أفرأيت أمرا يريد الله أن يقضيه هل يستطيع
 أحد من الناس رده قالوا لا فبايعوه وزود راهب النبي صلى الله عليه وسلم من الكعب والزيت

* أقسمت بالقمر المشق أن له * من قلبه نسبة مبرورة القسم *

القسم بمعنى اليمين وأقسمت بمعنى حلفت واللفظ خبري والمعنى على الانشاء أى أنشئ بهذا
 اللفظ قسمها ما ذكر والقمر الكوكب المعروف بالمقتمس نوره من ضياء الشمس يسمى
 بذلك لثلاث لئال من اهلاله الى آخر الشهر والمشق اسم فاعل من الانشقاق مطاوع شقه
 اذا صدعه وقسمه وجعله ان له الخ جواب القسم والنسبة أصلها القرابة النسبية أو هي في
 الآباء خاصة ثم توسع فيها فأطلقت على المشاكلة ومطلق الارتباط وذلك المراد هنا مبرورة
 على الحذف والايصال والاصل مبرور فيها من بر في عيونه اذا صدق فيها وأمضاها والاسناد
 مجازى وحقيقته مبرور القسم عليها مثل عيشة راضية وهو كثير جدا وكم منه في الكتاب
 الحميد واذا تليت عايمهم آيات تزدادهم اعباءا فلا تكاف في العبارة كما ادعى شيخ الاسلام ومعنى
 البيت الحلف على أن للقمر بوصف انشقاقه انتسابا الى قلبه صلى الله عليه وسلم الذى شق
 لار يفيه والحالف عليه بار في عيونه ووجه النسبة أن كلاما من الشقين له سببية في المراد من
 الرسالة والتبليغ وذلك أن المراد من الرسالة تبليغ الشرائع الى الآفة وهذا يتهم بقبولها
 والتزام العمل بمقتضاها وذلك يستدعى أمرين أحدهما من قبل المبلغ وهو استعداده للعمل
 أعباء الرسالة وقوة قلبه لقبولها وتتمام أمانته فيما يبلغ وما ذلك الا بصيغة الهية واستعداد
 نورانى وتجرد من الاوصاف النفسية الى الكمالات الروحانية وذلك يشق قلبه صلى الله عليه
 وسلم وغسله من الصفات البشرية وحشوه بحكمة وإيماننا كما سمي أنى ان شاء الله تعالى ثابتهما

من قبل المبلغ اليه وهو ان يكون مقبلا على المبلغ بكلاهما يعي كل ما يسمع منه ويلتزمه وذلك
 انما يكون بتمام صدقه عنده فيما يعي والمراد من المعجزات التي من اعظمها انشقاق
 القمر ذلك ولما كان الوجه الاول اعرق في المراد من الرسالة وهو الاصل فيها كما لا يخفى
 جعل النسبة من القمر الى القلب دون العكس فافهمه لانه من المواهب الربانية هذا والمراد
 الناظم رحمه الله ذكر المعجزتين المشار اليهما احدهما انشقاق القمر وهي ثابتة بنص
 الكتاب المحمد قال الله تعالى اقربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية تعرضوا ويقولوا
 سحر مستمر * رويته في الشفاء من طرق عديدة ان القمر انشق على عهد النبي صلى الله عليه
 وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا في
 بعض الطرق قال كفار قر يش سحر كرم محمد فقال رجل منهم ان محمد ان كان سحر القمر فانه
 لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها فاسألوا من يأتي من بلد آخر هل رأوا هذا فأتوا
 ذسألوا فآخبروهم انهم رأوا مثل ذلك فقال الكفار هذا سحر مستمر وفي بعض الطرق ان
 أهل مكة سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فأرأهم انشقاق القمر وفي بعضها
 كان ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بنى وقيل بمكة ثابتهما شق قلبه صلى الله
 عليه وسلم وهي مما تواترت الاخبار على وقوعها واكثر الروايات على ثبوتها وهو صلى الله عليه
 وسلم في بني سعد فروى ابو يعلى وابو نعيم وابن عساکر أنه صلى الله عليه وسلم قال كنت
 مسيرتضعا في بني سعد بن بكر فيمنا أنا ذات يوم في بطن وادع اترابي من الصبيان فاذا أنا
 برهط ثلاث معهم طست من ذهب ملي الخفا فأخذوني من بين أصحابي وانطلق الصبيان هربا
 مسرعين الى الخبي فوجد أحدهم فأضجعتني على الارض اضجعا لطيفا ثم شق ما بين مفرق صدرى
 الى منتهى عاني وأنا أنظر اليه لم أجده ذلك بأسا ثم أخرج أحشاء بطني ثم غسلها بذلك المبلغ
 فأمر من غسلها ثم أعادها ما كانها ثم قام الثاني فقال لصاحبه تخم ثم أدخل يده في جوفى وأخرج
 قلبي وأنا أنظر اليه فصدعته ثم أخرج منه مضغعة سوداء فرمى بها ثم أشار بسده بمنته ويسرة كأنه
 يتناول شيئا فاذا آخاتم من نور يحار الناظر دونه فخمته به على قلبي فامتثلت لورا وذلك نور النبوة
 والحكمة ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهرا ثم قال الثالث لصاحبه تخم فدفد
 يده بين مفرق صدرى الى منتهى عاني فالتأم ذلك الشق باذن الله تعالى ثم أخذ يدي وأخضني
 من مكاني انها ايضا لطيفا وتكرر ذلك وهو صلى الله عليه وسلم ابن عشر سنين روى عبد الله بن
 أحمد في زوائد مسند أبيه قال أبو هريرة رآه رسول الله ما أول ما ابتدئت به من أمر النبوة قال اني
 لفي صحراء واسعة أمشي ابن عشر حجج اذا نار جلين فوق رأسي يقول أحدهما لصاحبه أهو
 هو قال نعم فأخذاني فأنجعتني فحلاوة القفا ثم شق بطني وكان أحدهما يختلف بالماء في طست
 من ذهب والآخر يغسل جوفى فقال أحدهما لصاحبه اقلق صدره فاذا صدرى فيما أرى
 مقلوبا لا أجده وجعنا ثم قال اشق قلبه فسق قلبي فقال أخرج منه الغل والحسد فأخرج شبه
 العلقمة فنبذته ثم قال أدخل الرأفة والرحمة قلبه فأدخل شيئا كههيئة الفضة ثم أخرج ذرورا
 كان معه فذرت عليه ثم نقرها ثم قال اغد فرجعت بمالم أعديه من رحتي للصغير ورأفتي
 للكبير اه ولا يخفى ما في هذه الرواية من معارضة الاولى وروى شق الصدر عند مجي

قوله حلاوة القفا في القاموس ان حلاوة القفا وسطه وذكرا موردين اخرها

جبريل بغار حراء كما روى أنه شق أيضا ليلة الاسراء قال ابن جبر في شرح الهمزية تواترت بها
 الروايات خلافا لمن أنكرها اه * قلت وعن أنكرها عماض في الشفاء في حديث الاسراء
 فراجعه بقى أن الناظم رحمه الله تعالى أقسم بانشقاق القمر وهو مبني على القول بجوارزه
 مع الكراهة كافي الرابع والعشرين والمائة من قواعد الشهاب القراني ولا يجوز تخريبه
 على استعمال لفظ القسم في توطئة الكلام كما خرج عليه حديث أفلح وأبيه ان صدق وقول
 الشاعر فان تلك ليلى استودعتني أمانة * فلا واني أعدائها الأخوانها
 لما أن فعل القسم والوصف بالبر آخر البيت ينا فيه فتنبه له
 * وما حوى الغار من خير ومن كرم * وكل طرف من الكفار عنه عبي *
 عطف على القسم السابق وجواب هذا قوله ما سامني الدهر البتسين وحوى الشئ جمع
 وأحرزه والغار الكهف في الجبل وأل فيه لمعهود القصة المشهورة كما ستأتي ان شاء الله وهو
 في جبل ثور أسفل مكة وانظر بالفتح ضد الشر وبالسكر الكرم والشرف والاصل
 والهيئة كذا في القاموس والكرم عندي أنه هنا اسم بمعنى التكريم والتعظيم اذ لا يناسب
 المقام كونه بمعنى الجود وكرم النفس وان أمكن أن يكون له ميسر لكنه يتكرر رفع الخبر
 ان كان بالسكر فلا نسب بالمقام والمعجزة هو ما ذكرناه والجملة بعد حلاوة والظرف العين
 لا يجمع لانه في الاصل مصدر والكفار جمع كافر اسم فاعل من الكفر ضد الايمان ويجمع
 على كفرة وكفار وقد تقدم تفسير الجي ومعنى البيت وأقسم بما حواه الغار من الشرف
 والتكريم الالهى والحال أن أعين الكفار بمواعنه فلم يدركوا النبي وضاحبه فيه وان
 كانوا بصراء وقد تقدم أن القوة المدركة اذا لم يرتب عليها أثرها كانت والعدم سواء فلما
 لم يدرك الكفار ما في الغار مع صحة أباصارهم كانوا كأنهم عبي عن ذلك هذا وقد قيل ان لفظه
 كل في البيت مخفوضة عطفنا على كلمة ما فتكون قسماتكم كما يقول الشاعر
 فان تلك ليلى استودعتني أمانة * فلا واني أعدائها الأخوانها
 * فالصدق في الغار والصدق لم يرما * وهم يقولون ما بالغار من أرم *
 تقر بع على ما تقدم أو استدلال على الحكم عليهم بالجمعي وهو أظهر والصدق ضد الكتب
 والمراد به هنا النبي صلى الله عليه وسلم على حذف مضاف أي ذوالصدق أو هو من الوصف
 بالمصدر على طريقة المبالغة في ملازمة الوصف بوصفه كقولهم رجل عدل والصدق
 كسكتت الكمية الصدق ولقب أبي بكر شيخ الخلقاء كذا في القاموس واسمه عبد الله سماه به
 النبي صلى الله عليه وسلم بعد اسلامه وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة وأبوه أبو قحافة
 عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرث بن كعب بن لؤي بن غالب أول من أسلم
 من الرجال وأول من صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم في قول طائفة سئل ابن عباس رضى الله
 عنهما أي الناس أسبق اسلاما فقال أما سمعت قول حسان رضى الله عنه
 اذا نذرت شيئا ومن أخى ثقة * فاذا كرا خالك أبا بكر بما فعلا
 خبر البرية أنفاها وأعد لها * بعد النبي وأوفها بما حملا
 والثاني التالي المحمود مشهده * وأول الناس قدما صدق الرسلا

وكان يلقب عتبقا لعتاقة وجهه أي حسنه وقيل لقول النبي صلى الله عليه وسلم من ستره أن ينظر إلى عتبق من النار فلينظر إلى هذا وفضا لله رضى الله عنه مشحونة بها الدواوين وكفى قوله صلى الله عليه وسلم لو كنت اتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الاسلام لا يتقن في المسجد خوذة الاخوة أبي بكر * لطيفة * حدثني من أتق بحديثه عن العالم الجليل أبي الفداء الشيخ اسمعيل التميمي عن عالم الديار التونسي أبي الفلاح الشيخ صالح الكواش أنه كان يكثر زيارة ضريح الولي الشهير أبي محفوظ سيدي محرز بن خلف الصديقي المتصل نسبه بأبي بكر الصديقي رضى الله عنه ويعمل ذلك بأنه لما كان صديقي النسب كان طر يقادوم لالان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بسد جميع كوى المسجد الا كوة أبي بكر إمام نبوا لطيفا الى أن طر بقه غير منقطع اه وهو متزع لطيف واستنماط عجيب وقول الناظم لم ير ما يعنى لم يبرح يقال لا أرى من مكاني بمعنى لا أبرح وجملة وهم يقولون الخ لجمالية وأرم بفتح الهجزة ركس الراء بمعنى أحد ويقال فيه أرى بالياء قال أبو زيد ما بالدار أرى وما بها أرم أي ما بها أحد قال الشاعر

دار لا أسماء بالغمران مائلة * كالوحي ليس بها من أهلها أرم

وهو من الالفاظ التي لا تستعمل الا في النبي ومعنى البيت أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه لم يبرحا بالغار ولم يزل الا مقامين به والحال أن الكفار حكموا بأنه ليس به أحد وذلك بعد التثبت والتأمل وقرب المسافة كما روى أن أبا بكر رضى الله عنه قال يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا فاذك الالهي أبصارهم عنهما بالمعنى الذي قد مناه فتم الاستدلال على الوجه البين واقبس الناظم بيته من قوله جل اسمه والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون فقد ذهب قوم إلى أن المراد بالذي صدق به هو أبو بكر رضى الله عنه ووجهه أنه سبق بالتصديق غيره كما تقدم

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على * خير البرية لم تسبح ولم تحم *
 ضميره للكفار والظن لا يأخذ بالطرف الرابع من الحكيمين عند عدم جرم الذهن بأحدهما والمرجوح الوهم والحمام يقع الخاء كسحاب طائر بري لا يألف البيوت أو كل ذى طوق كذا في القاموس وصراد الناظم الأول خاصوصية الواقعة والعنكبوت اسم للناسجة المعروفة والعربية الخلق من برأ الله الخلق فيكون همزى اللام قلبت همزة باء وأدخمت في الباء أو من البرى وهو التراب فيكون يائى اللام والنسج معروف والحوم الدوران يقال حمام الطائر حول الشئ يحوم حوماً وحوماً نادار ومعنى البيت ان الكفار لما رأوا العنكبوت ناسجة على فم الغار والحمام واقف هناك حكموا بأنه ليس به أحد لظنهم أنه لا يمكن ذلك النسج ولا أن يتخذ الحمام وكرا بعد دخولهم وكوئهم ما سبقين الدخول بين المنع وذلك بحكم العادة وعدم الالتفات إلى تكريم الله تعالى وخرقه العوائد وقوله لم تسبح الخ نشر على عكس اللفاذ الا خبر تاني مفعولى الظن الأول والاو تاني مفعولى الظن الثاني وليست جملة الظن الثانية جمعة لايها معترضه بين الأولى ومفعولها الثاني كما قال شيخ الاسلام لان العطف يمنع ذلك فافهمه * فائدة * في الروض الألف للسهيلى في مسند الزاران حمام الحرم من نسل

حمام الغار هذا ومن اللطيف مما قيل في العنكبوت ما في شرح الشهاب على الشفاء من قول ابن النقيب ودود الخزان تسبجت خيرا * يحتمل لبسه في كل زى فان العنكبوت أجل منها * بما تسبجت على رأس النبي

وأطف منه قول الشهاب
 على غار ثور عنكبوت بنسجه * لقد حاز فخرا فاق كل فخار
 لذلك ودود القز يهلك نفسه * وقد غار من نسجه بقم الغار
 وقاية الله أعنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الأطم *

جملة مستأنفة بين السبب الفرد في حمايته صلى الله عليه وسلم في هذه القصة وهي وقاية الله وحمايته والوقاية الحفظ أعنت بمعنى أجزأت والمضاعفة من الدروع هي التي تسبح حلقتيين حلقتيين والعالي المرتفع والأطم بضم الهمزة والطاء القصر وكل حصن مبنى بالحجارة وكل بيت مربع مسطح الجمع أطام كذا في القاموس ومعنى البيت ان وقاية الله وحفظه اذا صادف الانسان أعنياه عن التحصن بالدروع الحصينة وهي المضاعفة والحصون العالمية الشامخة وتانك حالتنا التحصن لانه ما في مدافعة وحصنه في العادة الدروع وغايتها المضاعفة وما في ممانعة واختفاء وذلك بسكنى الحصون المانعة وغايتها العالية ومن ثم كانت الجبال العالمية من أهم مطامح أنظار العرب اذ لا حصن لهم الا الجبال الا ترى قول السموأل شمسلا لنا جبيل تحتله من نخبه * بعيد د الطوى وهو كابل

واذا تدرت قوله تعالى أفلا ينظرون الى الأبل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت تبقت ما ذكرناه والنبي صلى الله عليه وسلم حين كان في الغار ليس له شئ من التحصن المعتاد بل كان في حالة هي أقرب الى الظفر به في محاربي العادات لكن وقاية الله التي هي عمدة المؤمنين خصوصا كملهم ايماننا وبقينا كفته أعداء وأعنته عن التحصن المعتاد فان قلت الحفظ في الحقيقة على العقيدة الاسلامية ليس الا من الله تعالى على كل حال قلنا هو كذلك لكن ظهور ذلك كل الظهور وولوج الطمئنان النفس بالحقيقة انما يكون عند انتفاء الاسباب العادية بالكلمة وما أشبه حالته صلى الله عليه وسلم في الغار بحالة توفيق عليه السلام اذ كان في ظلمات ثلاث منقطعاً عن أسباب النجاة العادية فنجاه الله بحض عنائه والقصة التي أشار اليها الناظم رحمه الله هي المذكورة في الكلام المجد بقوله عز اسمه الاتصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه الآية وتقصيها ما في حديث عائشة رضى الله عنها وهو مخرج في الصحاح قالت كان لا يخطئ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار ما بكره واما عشية حتى اذا كان اليوم الذي أذن الله سبحانه فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة والخروج من مكة أتانا بها هجرة في ساعة لا يأتي فيها قالت فلما رآه أبو بكر قال ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعة الا امر حدث فلما دخل تأخر أبو بكر له عن سريره فجلس عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عند أبي بكر الا أنا وأختي أسماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عنى من

عند ذلك فقال يا نبي الله انما هما ابتغى وما ذل الفد لأبي وأمي فقال ان الله قد أذن في الخروج
والهجرة فقال أبو بكر العجبة يا رسول الله فقال العجبة قالت فوالله ما شعرت قط قبل ذلك
أن أحدنا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ ثم قال يا نبي الله ان هاتين را حلتان
قد كنت أعددتهم ما لهذا وكان أبو بكر رجلا ذاملا فكان حين استأذن رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الهجرة قال له لا تجعل لعل الله يجعل لك صاحباً فطمع بأن رسول الله صلى الله
عليه وسلم إنما يعني نفسه فانتاع زراحتين فبئسهما في داره يعلفهما ورق السمرا عدد ذلك
اليوم واستأجر عبد الله بن الأريقط يدلهما على الطريق ودفع اليه را حلتيهما فكانتا عنده
يرعاهما للميعاد هما فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج أتى أبا بكر فخر جامن
خوخة لأبي بكر في ظهر بيته ليلا الى الغار فدخل أبو بكر قبله بئس الغار فيه سبع أوجية
يقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك ولما فقدت قر يش رسول الله صلى الله عليه وسلم
طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة اثره في كل وجه فوجدوا القافة قبل ثوراه فلم يزل
يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى ثور وشق على قر يش خروجه وجزعوا لذلك ولما كانت ليلة
بات النبي صلى الله عليه وسلم بالغار أمر الله سبحانه شجرة فنبئت في وجهه الغار وأمر
جمايتين وحشيتين فوقنا على فم الغار وأتى المشركون من كل بطن حتى اذا كانوا من النبي
صلى الله عليه وسلم على قدر أربعين ذراعا معهم قسيهم وعصيهم تقدم منهم رجل فنظر فرأى
جمايتين على فم الغار فقال لا صحابه ليس في الغار شئ رأيت جمايتين على فم الغار وقال آخر
ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف وما أرى بكم الى الغار ان فيه لعنكم بونا أقدم من ميلاد
محمد وعن أنس أن أبا بكر قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن أحدنا نظر الى قدمه لرا نأ فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك يا نبي الله نالهما واختالف في مكث النبي صلى الله
عليه وسلم مع أبي بكر في الغار فروى عن مجاهد ثلاثا وهو الصحيح قاله أبو عمرو بن عبد الله اد
ينقل شيخ الاسلام وفي الروض الاثنا أن الشجرة التي أنبت الله على الغار يقال لها الرائة
وأنها تكون مثل قائمة الانسان ولها خميطان وزهر أبيض يحشى منه المخاد فتكون كالر يش
لخفته ولينه لانه كالقطن قال الشاعر

ترى وذلك السديف على لحاهم * كمثل الرائة لبده الصقيع

نسكتان * الاولى قال السهيلي انتبه أيها العبد المأمور بتدبر كتاب الله لقوله اذ يقول
لصاحبه لا تحزن ان الله معنا كان معهما بالمعنى وباللفظ ما بالمعنى فكان معهما بالنصر والارفاذ
والهداية والارشاد وأما باللفظ فان اسم الله تعالى كان يدكر اذا ذكر رسوله وأذاعى فقيل
يا رسول الله أو فعل رسول الله ثم كان لصاحبه كذلك يقال يا خليفة رسول الله وفعل خليفة
رسول الله فكان يدكر مع ذكرهما بالرسالة وبالخلاقة ثم ارتفع ذلك ولم يكن ذلك لاحد من
الخلق ولا يكون أه **الثانية** * ورد في غزوة بدر اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء
اجتهادا كليا وان أبا بكر قال له بعض مناشد تلربك فان الله منجز لك ما وعدك ووجه ذلك
بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يومئذ في مقام الخوف وأبا بكر كان في مقام الرجاء هكذا
في الروض الاثنا عن شخبه فيقال ما وجهه انعكاس الأمر في قصة الغار وجوابه أنه صلى الله

عليه وسلم في واقعة بدر هو أيقن من غيره بصادق وعده تعالى غير أنها حالة ملايسة أسباب
عادية هي المدافعة بالقوة والسلاح والكمال في المعرفة أخوف ما يكون في مقام التلبس
بالأسباب وآمن ما يكون اذا انقطعت عنه وهو صلى الله عليه وسلم في الغار تجرد عن سائر
الأسباب العادية فكان حينئذ أعلى بالرجاء وهكذا شأن العارفين وبه دثر العالم الصالح
الشيخ اخدين طوبى را حنة الوافد على تونس في عشرة الخميسين بعد المائتين اذ يقول ان الله
عباد آت نس ما كانوا اذا استوحشوا أو وحشوا ما كانوا اذا أتوا السحر السحر أه يشر
الى خصية قيام السحروان العبد فيه آتس بالحقيقة للاستيجاش من الخلق فاعرف ذلك
والله أعلم

ماسا مني الدهر ضيما واستحرت به * الا ونلت حوارا منه لم يضم

جواب القسم الثباني المعطوف وسامني كفتي وأولاني قال في القاموس وأكثر ما يستعمل
في العذاب والشر وثاني مفعوليه ضيما ومعناه الظلم والدهر الزمن الطويل واستحار طلب
أن يجار أي يفتقد ويعان ومنه الحوار بالكسر وهو أن يعطى الرجل غيره ذمته يكون بها
جاره فيخبره ولحوم المعنى على الحماية عذاه الناظم بالمعنى انه أخبر عن نفسه مامسه
الزمان بسوء أي أصابه فيه سوء واختمى بالنبي صلى الله عليه وسلم احتفاء خاصا الا وتخلص
من ذلك السوء الدهري وكان في ذمته التي لا ترام وقليل ذلك في حق من لولا لم تخرج الدنيا
من العدم وبما قررنا علم أن النسبة الى الدهر مجازية من باب النسبة الى الظروف وهي شائعة
وناسب الناظم رحمه الله تعالى بين القسم والمقسم به معني اذ كانت حالة القسم ذمة وجوارا
لأبي بكر به صلى الله عليه وسلم

ولا التمس غني الدارين من يده * الا استلمت الندى من خير مستلم

الاتمساس الطلب والغني بكسر الغين والقصر ضد فقر والداران الدنيا والآخرة والاستلام
المس باليد أو الفهم ويتجاوز به عن تناول المعروف كما فعل الناظم اذ علقه بالندى وهو الجود
ومستلم على الحذف والايصال أي خير مستلم منه ومعنى البيت واضح قال شيخ الاسلام فان قلت
اخباره عن نيل ما التمس من النبي صلى الله عليه وسلم من غني الدنيا بين مشاهد فكيف
تصح اخباره عن نيل غني الآخرة قلت ذلك مشاهد بقوة يقين الأيمان بقرآته صلى الله
عليه وسلم عن دربه أه

لا تسكر الوحي من رؤياه ان له * قلبا اذا نامت العينان لم ينم

لانها مية والخطاب لكل صالح له والمراد بالنهي تحقيق الأمر وتثبيتته فلا يلزم أن يكون
خطابا مع المنكر والوحي لغة الاشارة والسكابة والمكبوب والرسالة والالهام والكلام الخفي
وكل ما ألقىته الى غيرك وأوحى اليه بعته وألهمه كذا في القاموس وفي عرف الشرع
اسماع كلام الله بواسطة الملك أو دونه والرؤيا ما يراه النائم في النوم قال القاسمي في
التفسير وهي انطباع الصورة المخدرة من أفق الخيلة الى الحس المشترك والمصادقة
منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من
تدبير البدن أدنى فراغ فتصوّر بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان الخيلة

تخاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكيفية والجزئية استتغنت الرؤيا عن التعبير والاحتاجت اليه اه والنوم معروف وسببه في غالب العادات امتلاء الدماغ بأنخرة رطبة تنصاعد اليه من المعدة عند امتلائها بالطعام فتضعف الأعصاب وترتخي فتتمطل حركات الحواس الباطنة المدركة وتعطل أشعة نور القلب الذي هو مناط التعقل فلا يكون للنائم شعور بشئ ومن ثم قيل ان النوم موت أصغر وما بيننا يظهر ما في نفي النوم عن القلب من التخول للعلاقة التي أشرنا اليها ومعنى البيت ان الوحي من رؤياه صلى الله عليه وسلم أمر ثابت لا ماساغ لانكاره ولا استبعاد فيه بناء على المعتاد من تعطيل أصل المدركات الذي هو القلب بالنوم فان نومه صلى الله عليه وسلم لا يعد وعينه ولا يعطل ادراك قلبه النوراني بل قلبه في نومه كهو في يقظته وأصله قوله صلى الله عليه وسلم كفى الشفاء ان عيني تامان ولا ينام قباي قال الشهاب في شرح الشفاء ولذا كانت رؤياه صلى الله عليه وسلم قسما من الوحي لا تصاله بعالم الملكوت في نومه وكذا سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام تام أعينهم ولا تمام قلوبهم ومن ثم كان نومه صلى الله عليه وسلم لا يبطل وضوءه ثم لا يخفى أن مقتضى ذلك أن يكون المراد من مرأته صلى الله عليه وسلم ما كان على ظاهره دون تعبيره وتأويله كروياه صلى الله عليه وسلم أنه وأصحابه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا كما قصر ذلك في الكتاب المجيد أما ما يؤول من مرأته الصادقة كروياه بقراءته فكانت القتلى يوم أحد فليس من الوحي وإنما هي رؤيا صادقة وقال شيخ الاسلام الجميع وحي ويشهده أصل هذا المعنى وهو حديث عائشة رضي الله عنها قالت أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة من النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حجب اليه الخلاع وكان يخلو بغير حراء فيمتحن فيه وهو التعمد اللبالي ذوات العدد ثم يرجع الى خديجة فيترود لئيلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاه الملك فقال اقرأ الى آخر الحديث الصحيح المعروف في بدء الوحي المذكور أول صحيح البخاري وبيان الشهادة أن المتبادر من قولها الا جاءت مثل فلق الصبح ان ذلك تعبيرها ووضوح تأويلها فهو مثل مضروب لشدة وضوح تأويل الكلام المخرج على خلاف ظاهره ولا يعهد مثله مثلا صدق الاخبار البين بعبارة بقرته الواقع و يؤيد ما ذكرنا سوق البخاري الحديث في كتاب التعبير فافهمه

﴿فذا الحين بلوغ من نبوته * فليس ينكر فيه حال محتمل﴾

اللقاء لتعليل بما لها من السببية بين سابقها ولاحقها والثاني هنا السبب والاول المسبب والاشارة الى ما سبق من كون الوحي من رؤياه صلى الله عليه وسلم والبلوغ الوصول وقد تقدم معنى النبوة والفاء لتقرر بعوجال الانسان صفة وهيبته ومحتلم بكسر اللام اسم فاعل من احتلم بمعنى رأى في النوم غير أنه اختلفت الرؤيا بالخبر والبشارة والحلم بضدتها ومن ثم ورد في الحديث الصحيح الرؤيا من الله والحلم من الشيطان أى من تخييلاته وتشويشه ومن ثم ورد الامر بالاستعاذة عقبيها وانفتحت عن اليمن والشمال والتحول الى الجنب الآخر كما جاء في الحديث وكان لا اعتبار بها في التعبير كما حكاه الله تعالى في سورة يوسف عليه

السلام قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين ومعنى البيت أن ثبوت الوحي من رؤياه صلى الله عليه وسلم كان عند ابتداء نبوته صلى الله عليه وسلم واما ان ظهورها فليس هنالك حال محتمل استهوته التخيلات الشيطانية حتى يكون محلا للانكار فضمون البيت استدلال وتعليل لمضمون ما قبله من الحكيم في البيت السابق ارتسك بالبرهان اللهي بعد البرهان الانفي على أبلغ وجهه وأنظمه فان المراد من الاول تأكيدي ما يتولد للسامع من الحكيم السابق فانه اذا سمع الحكيم بتحقيق الوحي من الرؤيا جال في خلده هل القلب تسيقظ حال النوم حتى يمكن ذلك فأجاب جواب السائل بقوله ان له الخ ليرول عنه ذلك التخيير فليس المقام حينئذ لتعليل الحكيم وكفى الكتاب المجيد من هذا النوع قال تعالى وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم وعلمه قول بشار

بكر اصاحي قبل الهجير * ان ذلك النجاح في التبكير

في المفتاح لا ي يعقوب السكاكي كروى أن بشار لما أنشد البيت قال له خلف الأحمر بعرض أبي عمرو بن العلاء لو قلت بأبامعاذم كان ان ذلك النجاح بكر اف النجاح في التبكير كان أحسن فقال بشار انما قلتها أعرابية وحشية فقلت ان ذلك الخ كما تقول الاعراب البدويون ولو قلت بكر اف النجاح كان من كلام المولدين ولا يشبه ذلك الكلام فقام خلف وقبله انتهى ثم ان الناظم لما رفع عن السامع الخبرية بالتوكيد وتقرر عنده الحكيم عضده بالاستدلال اللهي بالبيت الثاني هذا وأصل كلام الناظم ما أشرنا اليه من حديث عائشة رضي الله عنها قال القاضي عياض في الاكمال في شرح ذلك الحديث فيه حكمة من الله وتدرج لنبيه صلى الله عليه وسلم لما أراد الله جل اسمه به اثلا يفجأه الملك وياتيه صريح النبوة بعنة فلا تحملها القوى البشرية فبدأ أمره بأول خصال النبوة وتباشير الكرامة من صدق الرؤيا وما جاء في الحديث الآخر من رؤياه الضوء وسماع الصوت وسلام الحجر والشجر عليه بالنبوة حتى استشعر عظيم ما يراد به واستعد لها ينتظره فلم يأتها الملك الا لامر عنده مقدماته وبشاراته وفيه أن الرؤيا الصادقة احدى خصال النبوة وجزء منها وأول منازل الوحي وان رؤيا الانبياء عليهم السلام وحي وحق صدق لأضغاث فيها ولا تخييل ولا سبيل للشيطان اليها وقال أبو عبد الله القرزاي قوله من الوحي من ليمان الخنس ولبست الرؤيا من الوحي فتكون لتبعض ولذا قال في النوم نغم هي كالوحي في الصحة قال القاضي وقد جاء في الحديث أنها جزء من أجزاء النبوة وقد قدمنا انها من جملة خصا لها الوحي أنواع وضروب فلا يعد أن تكون من التبعض انتهى قلت في الفرق بين كونها الخنس وكونها التبعض بافاة الثاني كونها وحيادون الاول توقف يعلم من معني من التي ليمان الخنس وكان القرزاي يفهم انها ليمان الخنس المنطقي ولا يخفى عدم صحته عند من مارس العربية على أنه لا معنى لتبعض في الحديث بل يتعين البيان لاهام ما ومحل الاستشهاد بالحديث على أن الرؤيا من الوحي الحمل القاضي بالاتحاد كما هو بين وقال الفاضل الأبي مرجحاً لظرفة القرزاي النسبي من خص من البشر بالوحي اليه والرسول من أمر بتبليغ ما أوحى اليه ويصح ارسال من تقدمت نبوته وارسال من لم تقدم فيثبتان له دعاً مزنية والاطهر فيه صلى الله عليه وسلم وفي موسى عليه السلام

انهم من هذا القسم فروياه من حيث انها تقدمت ارساله ليست وحيا كما قاله القران وانما الرؤيا التي هي وحى ما كان بعد النبوة انتهى وفيه انه تقدم في هذا الشرح عند قول الناظم نبينا الامر الخ عن الثماب القراني ما اقتضى عدم اختصاص الوحي بالنبوة والرسالة وان المختص هو الوحي بالشرع وحيث لا يتم تقريره بقدره والله اعلم

﴿ تبارك الله ما وحى بكتسب * ولا نبى على غيب جهنم ﴾

تبارك نزهه وتعالى والمكتسب الحاصل بالكسب والطالب يقال كسب واكتسب أى حصل وقيل كسب للتخصيل واكتسب للاجتهاد في التخصيل على قاعدة الاقتعال من دلالة على التكاف في تحصيل الفعل والغيب يطلق على ما غاب عنك والمتهم المستراب والمعنى نزهه الله تعالى عن أن يكون في الوجود وحى مكتسبا للانسان باجتهاده وأن يكون نبي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام في اخباره عن الغيب متهما والمقصود بذلك تحقيق ما أخبر به اولاد ان توهبهم نبي الوحي من الرؤيا انما يناسب الاكتساب في تحصيله حيث كانت حالة الناظم غير حالة كسب وطلب فلا يتم مكتسب شي أن يدعى حصوله في تلك الحالة أما اذا كان مجرد تكريم من الله تعالى لمن خصه بذلك من عباده على طريق خرق العادة فلا يختلف فيه حالنا النوم واليقظة فعلى هذا لا يتأتى انكار ذلك من حيث جوازه وقد أخبر به من ثبت نبوته وصدقه واستحال في حقه الاخبار بخلاف الواقع فلا يتأتى انكاره وقوعه بل انكاره من لزوم لاثام من ثبت صدقه وذلك باطل فلا زمه مثله وقد اقتبس الناظم عجز البيت من قوله تعالى وما هو على الغيب نظنين وأشار بصدر البيت الى من ذهب من زاع في النبوة وقال باكتسابها وتفصيله وردة في كتب الكلام

﴿ كم أبرأت وصبابا للمس راحته * وأطلقت أربابا من ربة الملم ﴾

كم اسم فمهم براديه في مقام الاخبار التكثير يحتاج الى تمييز يرفع ايهامه تقديره في البيت كم مرة وأبرأت من برأ المريض اذا شفي من مرضه والوصب بكسر الصاد من الوصب يفتح وهو المرض والمس باليد والراحة الكف والأرب يضم الهمزة وفتح الراء أصله صغار الهم أريد به هنا الصبيان على سبيل الاستعارة والربة عروة في جبل ذي عرى يسمى الربى يشد به الهم والم الحنون والمعنى كثيرا ما أبرأت وشقت راحته الكريمة بجزءه للمسه المرضى وأطلقت الصبيان المصابين بس الحان من أدنى ذلك المس وذلك من مجازاته صلى الله عليه وسلم من النوع الأول وردة صلى الله عليه وسلم عين قتادة حين أصيبت يوم أحد حتى وقعت على وجهه فصارت أحسن عيقيه ومنه رديه معوذتين عقرأ حين قطعها أبو جهل يوم بدر فاء بحملها الى النبي صلى الله عليه وسلم فبصق عليها وألقها فلصقت ومنه أن خبيب ابن يسار أصيب بصره يوم بدر على عاتقه حتى مال شقه فرددته صلى الله عليه وسلم ونفت عليه حتى صبح ومن الثاني مارواه ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأ أقباءت بابن لها به جنون فبصق صدره فقع نعتة فخرج من جوفه مثل الجمر والأسود فشفى ومثل ذلك كثير حوته كتب السير وغيرها

﴿ وأحببت السنة الشهباء دعوته * حتى حكمت غرة في العصر الدهم ﴾

أحياه جعله حيا والحياة تطلق على الخصب والمطر كما في القاموس وهو من المجاز اذا الحياة حقيقة صفة تقتضى الحس والحركة الارادية وتفتقر الى البدن والروح تجوز بها عن اظهار بهجة الزمان وتخيخ القوى النامية من النبات فيه وهو مجاز شائع ومنه في الكتاب المجيد كثير والسنة العام لكنه شمسي ولفظ العام قرى وغاب استعمال لفظ السنة في سنة التقط حتى صار علما بالغلبة عليها قال تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات قال القاضي بالسنين بالجذب لقلبة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام التقط لكثرة ما يذكر ويؤرخ به ثم اشتق منه فقيل أسنت القوم اذا تحطوا اه وانظر بلاغة المعجز في قصة يوسف عليه السلام قال ترعون سبع سنين دأبنا الى قوله ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون حيث توخى النظم الكرم للسنة الخصب لفظ العام وبهذا يعرف رتبة الناظم في اتقاع الالفاظ مواقعها باختيار لفظ السنة ايماء الى كونها مجسدة بوصفها بالشهباء تأكيد لذلك وفي القاموس الشهباء محركة يبيض يصدعه سواد كاشبهة باضم الى أن قال وسنة شهباء لا خضرة فيها ولا مطر اه والدعوة المرة الواحدة من الدعاء وحكت شابهت والغرة من القوم شريفهم وغرة كل شيء أفضله وغرة الفرس يبيض في جهته فوق الدرهم وهي من صفات حسنة والأعصر جمع عصر بفتح العين وسكون الصاد وقد تضم عينه مع اسكان الصاد وخمها والدهم جمع أدهم وهو الأسود والمراد به هنا العام المحصب ذو الخضرة مقابل المراد بالشهباء ومعنى البيت ان من معجزاته صلى الله عليه وسلم وكرامته على ربه نزول المطر وتزخرف الارض بدعوتيه صلى الله عليه وسلم حين أصابت الناس السنة الشهباء فاحيا شبابها حتى كانت أخصب الاعوام وصارت شهرة خصها بالنسبة الى غيرهما من السنين المحصبة كالغرة العينة الظهور في الفرس الأدهم والاشارة بهذا الى مارواه البخاري وغيره من حديث أنس رضي الله عنه قال أصابت الناس سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يوم الجمعة قام اعرابي فقال يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا أن يسقينا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وما في السماء قرعة فثار سحاب الجبال ثم لم ينزل عن منبره صلى الله عليه وسلم حتى رأيت المطر يتحاذر عن لحيته قال فظننا يوما ذلك ومن الغدومن بعد الغد والذي يليه الى الجمعة الاخرى فقام ذلك الاعرابي أو رجل غيره فقال يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا قال فما جعل يشرب يديه الى ناحية من السماء الا تفرجت قال وسال وادى قناة شهرا ومجاة أحد من ناحية الا حدث بالجود اه والجود بفتح الجيم المطر الواسع الغزير وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال بعد اجابة دعوته في الغيث لو أدرك أبو طاب هذا اليوم لسرتة فقال بعض أصحابه كأنك يا رسول الله أردت قوله وأيض يستسقي الغمام بوجهه * شمال اليتامى عصمة للارامل فقال لأجل ولا يخفى على عارف بأساليب الكلام أن اشارة الناظم لا تحمل غير القضية المذكورة والواقعة المخصوصة خصوصا مع ضميمة الايات الآتية بعد على ما اشتهر بين الناس ولا يتحمل النظم الاشارة الى عموم اجابة استسقاؤه صلى الله عليه وسلم وان كان كثيرا

مشهورا وقد عهدت بركته في ذلك قبل النبوة بل في حال صغره روى أن أهل مكة تبادعت عليهم سنو جند فاستسقى بهم سمدى عبد المطلب فقام فاعتضد النبي صلى الله عليه وسلم فرفعه على عاتقه وهو يومئذ غلام قد أبلغ ثم قال اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة أنت عالم غير معلم ومسؤل غير منجى وهذه عبادك واماؤك نجدران حرمك يشكون اليك سئمتهم فاسمعني اللهم وأمطر علينا غيثا مريعا مغدقا فاقما وحتي انفجرت السماء بما عموا وفي ذلك قال أبو طالب البيت السابق وما بيناه يتبعين ما نقله شيخ الاسلام عن بعضهم وانزيفه من أن قوله وأحييت معطوف على كم ولا يصح عطفه على أبرأت لان احياء السنة بدعوتهم يتفق الامر واحد اه يريد السنة المعينة كما أوضحناه والله أعلم

*** بعارض جاد أو خلت البطاح بها * سيب من الم أو سيل من العرم ***
الباء سببية تتعلق بأحييت والعارض السحاب العترض في الاق وجاد بمعنى كثر مطره ومنه ما تقدم في الحديث السابق وأول الغاية بمعنى الى كما في قوله

لا تستهين الصعب أو أدرك المني * فما انقادت الآمال الا لصابر
وخلت بمعنى ظننت ومضارعه في الافصح مكسور وحرف المضارعة والبطاح جمع الابطح على غير قياس والقياس الابطح وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى ويقال فيه البطيحة والبطحاء والسيب بالكسر مجرى الماء وبالفتح مصدر ساب الماء اذا جرى وهو المراد هنا والم البحر والسيل الماء الكثير السائل والعرم المطر الشديد والمعنى أن احياء السنة كان يسحابه اعترضت في الاق بعد أن لم يكن بالسحاب وسحاب وكان مطرها غزيرا لا كما يفهم من وصف الاعراض حتى يظن الرائي البطاح التي ليس من شأنها امساك المياه لا تساعها وتسطيحها قطعة من بحر أو جعفر من واد لكثرة ما استقر بها من الماء

*** لما شكت وقعه البطحاء قاله * على الربا والهضاب انزل وانسجم ***
هذا البيت والثمانية آيات بعده قال شيخ الاسلام تقع في بعض نسخ النظم وليست بثابتة في روايتنا وذكر بعض الثقات من أصحابنا ان الذي زادها الفاضل أبو علي بن الحباب الأندلسي الغرناطي من مشايخ القاضي الشهرابي العباسي الشريف الحسني شارح مقصورة حازم وسمعت أنها لبعض الفاسيين ولولا اشتهارها ما تصدنا لشرحها اه قلت والمعروف عندنا بتونس أنها من القصيدة ونظمها لم يباين النظم بوجه مع أن فيها تمام القصة التي أشار اليها الناظم وذلك صفة في الهمزية اذا قال

ودعا للانام اذدهم تهم * سئمة من محولها شهباء
فاستمتت بالغيث سبعة أيا * م عليهم سحابة وطفاء
تتجرى مواضع الرعي والسقي وحيث العطاش توكا السقاء
فأتى الناس يشكون أذاها * ورخاء يؤذي الانام غلاء
فدعا بالخيلا الغمام فقل في * وصف غيث افلاعه استسقاء
ثم أثرى الأثرى فقرت عيون * وقراها وأحييت أحياء

قوله والبطاح جمع الابطح الخ كأنه رحمة الله أخذ هذا من ظاهر عبارة القاموس والذي صرح به غير واحد كافي الصحاح عن الاصمعي والمحكم أن البطاح والبطحاء جمع لبطحاء والابطح جمع بطيحة اه من تاج العروس

قترى الارض غيبه كسما * أشرفت من نجومها الظلماء
تتحل الدر واليواقيت من نو * ررباها البيضاء والحمراء

ولا يخفى أن الآيات المدعى زيادتها في النظم تخوم حول هذا المعنى فالاقرب ما هو مشهور والله أعلم والوقع النزول والسقوط وتقدم معنى البطحاء ونسبة الشكاية اليها مجازية اذا الشاكي أهلها كما تقدم أو أن الشكاية تجاز عن ظهور الحال السيئة وفاعل قال ضمير المصطفى صلى الله عليه وسلم وعبر بالقول له الذي حقيقة خطابه بالأمر عن الدعاء بتحويله مجاز ايماء الى سرعة الاجابة وقوة سببية الدعاء حتى كأنه هو الأمر للسحاب بالانجلاء والربا جمع ربة وهو ما ارتفع من الارض والهضاب جمع هضبة وهو الجبل المنبسط على الارض وانزل من الانحلال يقال انزل المطر اذا سال بشدة وترب منه الانسجام وقد تقدم وتقدم النظر في أعنى على الربا على الفعلين لتقصير أى لا على المدن والبطاح والمعنى حين كثر وقع المطر على البطاح وخشي أهلها من الهدم فشكوا اليه صلى الله عليه وسلم ذلك وطلبوا منه الدعاء باسماء كهاتهم والطالب وان كان واحدا السكنه مراد الجمع فدعا الله تعالى بالدعاء السابق في الحديث الذي سقناه سابقا وفي رواية تسلم وهي أعلق بلفظ النظم أنه صلى الله عليه وسلم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والهضاب وبطون الودية ومنابت الشجر قال الراوى فأقلت وخرجننا مشى في الشمس اه وبهذا يعلم أن في النظم حذفاً تصديراً فاجل كما تقدم منه في الهمزية حذفه ايماء الى لزوم وقوعه لاجابة دعائه حتى كأنه معلوم أما قوله

*** فاذت الارض من رزق أمانتها * باذن خالقها للناس والنعم ***

فليس فرع الدعاء بالانجلاء كما لا يخفى وانما هو مفرغ عن الدعاء الاول الذي هو سبب الاحياء وأدت بمعنى ردت يقال اذى الامانة ردها الى مالكتها والارض اسم جنس مؤنث وقياس واحده أرضة الا أنه لم يرد الجمع أرضات وشذ في جمعه الأراضى والرزق ما يتوقع به مطلقا وخصه المعتزلة بالحلال والامانة الودية والاذن قال شيخ الاسلام يفسر بالامر وقال ابن عطية في تفسيره هو التمكين من الشيء مع العلم بما يمكن منه والنعم اسم جنس مجمي قيل الابل والبقر والغنم وقيل الابل فقط وقيل الابل والشاء قال القراءيد كرو ولا يؤنث وقال السهيلي في الروض الانف النعم الابل فاذا قيل الانعام دخل فيها البقر والغنم والشاء والمعنى أنه بسبب الاحياء أخرجت الارض ما في قواها الطبيعية من أنواع النباتات على كثرة أصنافها وتباين صفاتها الذي به انتفاع الناس في أنفسهم ونعمهم وهو أهم شيء عندهم في الغيث وقوله باذن خالقها احتراسا لطيف من توهم السببية الحقيقية وايماء الى أن الغيث سبب عادى للنبات فقط وأن السبب الحقيقي هو أمر الله تعالى وفق ارادته ولما كان ما تخرجه الارض بجلافة نزول المطر كما في قواها الباطنة وسبقت الارادة بان ذلك لنفع الناس والانعام كما شهد بذلك السحاب المجيد قال تعالى والارض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها ما عاكسكم ولا نعماكم وقال جل اسمه أنا صببنا الماء صبا

ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبيا وعنبيا وقضبواوز يتونا وتخلوا وحدا تقي غلبا وفا كهة و ابا
متاعا لكم ولا نعداكم حسن كل الحسن استعارة الناظم الامانة له ووقع ترشيحها بالاداء
أجل موقع

و أليست حللا من سندس ولوت * عمائم برؤس الهضب والاكرم *
ألست عطا على أدت والحلل جمع حلة بانضم وهي ازار ورداء ولا تكون حلة الامن ثوبين
أو ثوب له بطانة كذا في القاموس وفيه السندس ضرب من رقيق الديباج معرب بلا خلاف
واللي جعل الشئ طاقا فوق طاق ومنه لوبت الجبل قتلته والعمائم جمع عمامة وهو ما يلف على
الرأس والاكرم جمع اكمة بالتحريك مادون الجبال أو الموضع الشديد الارتفاع مما حوله وهو
غلظ لا يبلغ أن يكون حجرا كذا في القاموس وفي البيت تشبيهه ما كسا وجه الارض من أنواع
الزهور والازهار بالحلل يجامع التحمل بكل واللباس ترشيح وتشبيهه ما كان من ذلك برؤس
التي هي تيجان العرب واللي ترشيح ومعنى البيت حيث يذبح وقد اهلج الشعراء
بجمل هذا التشبيه وتصرفوا فيه بأنواع التصرفات فراجع ما يناسبه من أشعارهم
فالنخل باسقة تجلو قلائدها * مثل الهمار على الخدين والعنق *
جمال قوله فاذت الارض والنخل مبتدأ ذو خبرين بعده والنخل اسم جفس كالنخل
دسنة نخلة والباسقة الطويلة في القاموس بسق النخل بسوق اطال وعليهم علاهم اه
وتجلاوى تكشف وتوضح والقلاذ جمع القلاذة وحقيقتها ما يوضع في العنق للتحمل استعير
هنا لعناقيد النخل اذ بها يتم حسنها كما أن بالقلاذة يكمل حسن المقلد والهمار بنت جعد
له نور أصفر ينبت أيام الربيع ويقال له العرار قال شيخ الاسلام وهو الذي يقال له بسلاذ
المغرب النرجس قال الشريشي شارح المقامات هونبات له قضبان خضر في رؤسها أقعاع
تخرج نوراً يفسط منها على الأقعاع ورق أبيض في وسط البياض دائرة قائمة من ورق أصفر
ولذا وصفه أنوشروان بأنه ياقوت أصفر بين در أبيض على زبرجد أخضر أخذ بعضهم فقال
وياقوتة صفراء في وسط درة * مر كبة في قائم من زبرجد
وقال ابن المعتز كان عيون النرجس الغض بيقتنا * مدهن در بينهن عقيق
اذا بلهن القطر خلعت دموعها * بكاء عيون كحلهن خلوق
ثم قال وهذه الصفة التي أثبتها أهل المشرق للنرجس هي التي يصف بها أهل المغرب الهمار قال
القسطلي بهار يروق بمسك ذكي * وصبغ يديع وخلق عجب
غصون الزبرجد قد أورت * لها فضة نور بالذهب

الى هنا كلام الشريشي بتقل شيخ الاسلام وقد تقدم لنا ذكره كالخدين والعنق صدر النظم
غير أن شيخ الاسلام لم يتعرض هناك لشرح وأثبت الوجود فلذا اتبعناه في اطالة الكلام عليه
هنا غير أن الظرف أعنى على الخدين لا دخل له في التشبيه في البيت السابق وانما ذكر ليبيان
محل ظهور أثر الوجود من الدمع ولون السقم وفي هذا البيت له اعتبار في التشبيه أو المقصود
تكميل حسن النخل وفضارتها وذلك بتشبيه حال ثمرتها المتزعزع من تدلى أصفرها على خضرة

ورقها بحالة الهمار المعلق على الخمد المعذر فظهر الفرق بين القصد بين والمراد نوعي الثمرة من
البسر والتمر فالاول للاول والثاني والثاني والثاني ولا يخفى كما قررناه انه لا دخل للسكون على الخدين
في تشبيه النوع الثاني بالعمم اذ ذلك ليس من شأنه ومعنى البيت واضح بما بيناه

وفارق الناس داء القحط وانبعثت * الى المكرم نفس التمسك والبرم *
فارق تخي وانجلى والداء المرض واضاقته الى القحط للبيان أو حقيقة بان يراد بالمرض
ما ينشأ عن القحط من الآلام والقحط الجذب وقحط المطر يقحط قحوطا احتبس وقيل قحط
يقع الحاء في المطر وبالكسر في المكان وانبعثت أسرع مطاوع بعثه والمكرم جمع
مكرمة وهي الخصلة الجيدة المضادة لصفة اللؤم والتكسر بكسر النون الرجل المقصر عن غاية
السكرم والجمع انكاس كذا في القاموس والبرم بالتحريك من لا يدخل مع القوم في الميسر
وفي المثل أبرماقرونا أي ثقيل ويأكل مع ذلك تمرين تمرين والجمع أبرام كذا في القاموس قال
شيخ الاسلام وهو يخيل عند الجاهلية الاول والمعنى أن الناس لما أمطر وأفارقهم القحط
الذي هو أعظم داء وفارقهم الامراض الناشئة عن القحط وأسرع الى تحصيل الخصال
السكرية من عرف بالخل والشح واللؤم وذلك لغلبة الخير وكثرة الخصب وفي التعبير
بالانبعث الدال على تربيته على فعل فاعل اشارة الى أن قوة الخصب غلبت طبيعة الخجل هذا
اذا حملناه على حقيقته وقد يحمل على التحور بالنكس والبرم عن الارض الجديدة والمعنى
عليه واضح لا يخفى

اذا تبعت آيات النبي فقد * ألحقت منقحها منها بمنقح *
تبعته طلبت طلب المتأمل للشئ المتسكاثر فردا وأل في النبي عهديه لا محالة اذ لا مساغ
لدخول غير المدوح بهذا النظم صلى الله عليه وسلم في هذا المقام ولحقه ولحق به لحاقا بالفتح
أدركه وألحقه به غيره والمراد هنا اللحاق في الوصف المذكور والمنقح العظيم المرتفع وتكبيره
للتعظيم كعادته لفظه والمعنى اذا استقصت آيات نبينا صلى الله عليه وسلم ومخبراته ووجدتها
على نسق واحد في الفخامة والجلالة كخلالة الآية السابقة من ابراء المرضى والطلاق
المصابين بلبس راحتهم الكريمة واحياء عموات الارض بالغيث بسبب دعائه صلى الله عليه وسلم
فالمزيد كرمها كالمذكور في صفة والمراد أنها مماثلة في المراد منها من الدلالة على عظيم قدره
صلى الله عليه وسلم وان اختلفت ضرورها وأصنافها

قل للمحاول شاوفي مدائح * هي المواهب لم أشد لها زيمي *
الخطاب مجمعي كسابقه لكل من يتأق خطابه على طريق التوسع في الضمير والمحاول المراد
الطالب للشئ اسم فاعل من حاول الامر اراده حذف مفعوله المعين وهو مديحه صلى الله
عليه وسلم بقربته ما بعده وشا وأمر من الشأو وهو السبق وقدر اذ منه معنى المقابلة ومنه
شا أوت القوم ساقبهم وهذا المراد هنا والمدائح جمع مدحة في القاموس والمدح والمدح والمدحة
والأمدوحة ما يمدح به الجمع مدائح وأمدح اه والمدح التناء بالجميل من الاوصاف وهو
في لسان الادباء غير جار على التفرقة بينه وبين الحمد باختصاصه بمقابلته الجلي من الصفات
والحمد بالاختيارى منها فانهم يسمون التناء بالجميل مطلقا في أشعارهم مديحا والمواهب جمع

قوله والمدائح جمع الخ في شرح القاموس أن المدائح جمع مدح على غير قياس ولم يذكر جمعها في حقها مصلح كسادة وسدر اه

موهبة وهي العظيمة والريم جمع زيمة بالكسر قطعة من الابل اقلها بعيران أو ثلاثة وأكثرها خمسة عشر ونحوها وكثيرا ما يكتفى بشدة الرجل عن التأهب للشيء وأخذ الخرم والحد في تحصيله وهو المراد هنا والمعنى حيث المر يدلدائه صلى الله عليه وسلم على المسابقة في ميدانها لينال منها ما يتيسر له مما لا يقتضي الاجابة المتعدرة بعدم حصر كالاته صلى الله عليه وسلم كما يلوح الى ذلك التشبيه بالميدان والسبق القاضى بكثرة المزاحمين الطالبيين وعلل هذا الخت بالاستئناس في قوله هي المواهب أى أنها مما تتوفر الدواعى على الرغبة فيها لانها هي العطايا النافعة لمن حصل عليها وهي التجارة الربحية وفيها تنافس الفحول السكمل وتساوت الى تحصيلها ممن قدر ربحه وفاز قدحه ككعب بن زهير وحسان بن ثابت وغيرهما ممن تقدموا وتأخر ومنهم الناطم فقد تقدم صدر الشرح ما حصل عليه مدحه صلى الله عليه وسلم وانما ذكر هذا المعنى عميق البيت السابق دفعا لتوهم استقصاء مدحه صلى الله عليه وسلم منه فان مضمونه كما قدمناه تتبع الآيات الدالة على نفاة قدره صلى الله عليه وسلم وربما توهم من ذلك امكان ادراك صفاته الفخيمة واستقصائها بالمدح كاستقصاء الآيات فدفع هذا التوهم بهذا البيت وبين به أن محال مسدده لا يمكن ادراك الغاية له وان تساوى فيه المتسابقون غير أن ما لا يدرى كله لا يتركه وقد صرح بهذا المعنى في هور يته اذ قال

أبذكر الآيات أو قبلت مديحا * أين تبتى وأين منها الوفاء

وتقدم قوله لو ناسبت قدره البيت وفيه اشارة الى هذا وسيشير بعد في قوله فيما تناول البيت الى عجز السادحين عن استقصاء مدحه صلى الله عليه وسلم الملوخ اليه هنا وصرح به في الهمزية اذ قال ان من معجزاتك العجز عن وصيفك اذ لا يحسنه الاحصاء كيف يستوعب الكلام سجايا * لو وهل تنزع البحار الركاء ليس من غاية لسدحك أ بغيبها وللقول غاية واتهاء لم أطل في تعداد مدحك نطقي * ومراى بذلك استقصاء غير أنى طمان وجد ومالى * بتليل من الورود ارتواء وقوله لم أشدد لها زعمى بذلك المعنى الذي بيناه تأسف ولوم لنفسه حيث لم يستعمل كل الخرم في مدائحه صلى الله عليه وسلم مع ما بين من حالها وانما هي العطايا الا غير هذا ما أراه في شرح هذا البيت ولشيخ الاسلام فيه شرح لا يرتضيه فراجع

ولا تقل لى مجاز نلت جيدها * فما يقال لفضل الله ذابكم *

الخطاب في هذا النهى كخطاب في الامر السابق والنيل الاصابة يقال نلته أنه له وأناله مثلا ونالا وناله أصبته كذا فى القاموس والجيد ككسب ضد الردى والجمع جيدا وجيادات وحيما تدوا الضمير للذائع والفضل الاعطاء بغير عوض وذا اشارة الى فضل الله وبكم باء الجر داخل على كلمة الاستفهام العدى وهو خبر ممتد المحذوف بعدوا لتقدير بكم وهو الجملية خبر ذوا ولا يكون خبرا عن ذا المسكان صدرته الموجبة لتقدمه خبرا ويظهر لى أنه يجوز بكلمة كمن حقيقته من السؤال عن الاعداد الى مطلق السؤال عن عموم الاسباب لئلا يناسب كلمة ما فى صدر البيت ولان فى عموم الاسباب اعلق بالفضل من ذى خصوصية سبب الثمن والمعنى

انه لما نفي عن نفسه في البيت السابق صرف العناية واستعمال الخرم في تحصيل مدايحه وقد أتى منها بما شهد بفضيلته معاصر وه وشاعت بحاسنه بين الخاصة والعامه كان حاله مظنة السؤال عن السبب المقتضى لهذه الدرجة فأجاب بأن ذلك من فضل الله الذى لا يسع سببا ولا يستدعى خزا ولا طلبا بل مجرد العناية الالهية التى اذا منحها العاجز قدر كما قال ان العنانيات اذا صادفت * ألفت العاجز بالقادر وهو مضمون قوله

* لولا العناية لكان الامر فيه على * حد السواء فذو نطق كذى بكم *

أى لولا عناية الله تعالى وعونه لتساوى الناطق والابكم في العجز عن المدح بالحق الاول والثانى ولولا حرف شرطى يربط بين امتناع الجواب ووجود الشرط والعناية الالهية يقال عنها الامر يعنيه ويعنوه عناية أهمة والمراد به في حقه تعالى لازمه من الاعانة والاقدار على المراد الامر بمعنى الشأن والضمير المحرور بى يعود على النيل المفهوم من الفعل فى سابقه والسواء الاستواء والمراد هنا الاستواء فى الفعل وعدمه بدلالة لاحقه والى بكم بفتح الباء والكاف مصدر بكم بكسر الكاف وقد جانس بينه وبين بكم فى سابقه غير أن الاول مركب والثانى مفرد على حد قول الحريرى *

قدم لنفسك زادا * مادمت مالك مالك * من قبل أن تنفانى * ولون حالك حالك ومعنى البيت واضح مما قررناه

* دعنى ووصى آياته ظهرت * ظهور نار القرى لى على علم *

دعنى بمعنى اتركنى وقد تقدم بيانه فى شرح قوله دع مادعة الخ والواو للجمعية ووصى مفعول معه وكونها عاطفة وما بعدها معطوف على معطوف دعنى بفسد المعنى كالا يخفى على عارف بصياغة الكلام والوصف النعت يقال وصفه بصفه وصفا وصفة نعتة ويختلف المراد منه بحسب المقامات فى مثل هذا المقام المراد به المدح براديه وصف التحلية وفى ضده وقديراد به أصل الايضاح فقط وذلك مقرر فى العربة وتقدم معنى الآيات قيل المراد هنا خصوص آيات القرآن العزيز قال شيخ الاسلام ولعل قائل هذا يجعل قوله بعد آيات حق بدلا من هذه وهذا محتمل ويحتمل العموم اه والظاهر العموم لذكرا آية الاسراء بعد كالا يخفى ظهرت تبينت وهو وصف لايات لم يرد به تخصيص حتى برد اقتضاه أن من آياته صلى الله عليه وسلم ما لم يظهر وانما هو نعت لازم اذ الظهور لازم لكل آية من آياته عليه السلام كذا قال شيخ الاسلام * قلت غفل رحمه الله تعالى عن وصف الظهور بالبالغ الغاية فى الشهرة حتى لا يخفى على أحد المراد بقوله ظهور نار الخ ولا يعزب عن علمك ان آياته صلى الله عليه وسلم وان اشتركت فى الظهور لكنها متفاوتة فيه كآية القرآن المجيد وما تضمنه من قصة الاسراء فهما من الآيات العظام بلانها * واقتصار الناطم عليهما بعد يقتضى اعتبار التخصيص فى الوصف كما هو شأن توصيف الذكرات والقرى الضيافة ونارة نار يوقدها الكرام من العرب ليهتدى بها الى منازلهم السائر لى لاو يتمدحون بذلك من حيث الدلالة على الكرم حتى كان كناية قوية الدلالة عنه قال السموأل فى لاميته المشهورة

وما خدت نارنا دون قاصد * ولا ذمنا في النازلين نزيل
وللاعتناء بظهارها يجعلونها برؤس الجبال بحيث يهتدى اليها كل طارق وصار ذلك مثلاً
يضرب في شدة ظهور الأمر كما قيل

وان عمرا التاتم الهداية * كأنه علم في رأسه نار

ومن ثم قيدها الناظم بقوله ليل على علم فان العلم هو الجبل وأمامه البيت فانه لما توح في
الاسات السابقة الى أن كماله صلى الله عليه وسلم لا يحيط بها المدح ولا يدرك عدوها ولو توجه
لها كل فصيح وان ماناله من بعض مدائحها بما ناله بعناية الله وفضله لا يحترمه وحده وبين أن
الآيات الدالة على فخامته كل منها فخيم في معناه وتوح الى عدم امكان حصرها كما شرحناه قال
هنا أتركتي مع وصف آياته التي يمكن الاحاطة بها فصرف الهممة نحوها دون وصف كمالها
فان صرف الهممة الى المحجوز عنه غير معقول وان تحصل منه شيء فذلك مجرد الفضل الالهى
وهذا معنى التعليل بعد في قوله لما تناول الخ ثم ان الآيات وان تساوت في العظمة فهي
متفاوتة في ظهورا لدلالة على عظمته صلى الله عليه وسلم وكان الاعظم منها أحق بالعناية
والذكر بالوصف بالجميل فلذا اقتصر منها على التصريح بأية الكتاب الجيد وقصة الاسراء
فأفهم ذلك المراد له رحمه الله تعالى واعرف لطف اشارته ودونك ما في شرح الاسلام من الشرح
فانه غير مرضي عندى

* فالدر يزداد حسنا وهو منتظم * وليس بقص قدر غير منتظم *

الدر اللؤلؤ واحد دره ويزداد فهو مادة تقتضى سبعة أصل كالحسن هنا والجملة بعد
حالية والانتظام الاجتماع في السلك مطاوع نظمه إذا جمعه والنقص الخطيئة والقدر
مبلغ الشيء كالمقدار ومعنى البيت افصح بالجواب عن سؤال ينتج منه وصف الآيات في سابقه
وهو ان يقال اذا كانت الآيات التي أردت وصفها مثل ما ذكرت من كونها في الظهور كالأعلى
علم ليل بحيث لا تخفى محاسنها على أحد فمعنى توصيفها ومدحها اذ لا معنى للمدح والتوصيف
الاذ كوصفات المدح والاعلام بها وحاصل الجواب ان خصوصية نظم المدح والافراغ
في قالب البلاغة وفنونها زيادة حسن لتلك الصفات الحسنة في ذاتها وهذا مدرك بالمداخلة
فان وجودا لصفات في الخارج وادراكها ولو حسالا يبلغ حسن ذكراها في الأوزان الشعرية
والصنيع البلاغية والتشابه الميانية والتخييلات المديعية كما ان ذلك الحسن النظمي يزداد
بالنجمات السموية حسنا لا يكون مع مجرد النظم فالحسن في ذاته تزداد كمية حسنة بدرجة
في نظم الكلام البليغ ولا ينقص حسنة الذات بل يذوقه وان نقص حسنة المعارض به وضرب
لهذا مثلا محسوسا وهو اللؤلؤ فان حسنة الذائق حاصل نظم أولي نظم اذا نظم وفي السلك
ورتب الترتيب الحسيني ازيد احسنه وان شئت الفرق عيانا فانظر ما عسده أبو عبد الله
الشافعي التوفسي في اظهار النكات من خبايا المحوكات وأصله كلام نثرى في شرح التفتازاني
على التلخيص وهو لا يعجز عن قصر ذوائبه فانها كالليل ووجهه كالسبع والليل في الربيع
مائل الى القصر فعمده الشيخ المذكور نظما بقوله

قصرت ذوائبه كليل مسرة * لا تجبوها فالوجه منه ربيع

في ليله ميل الى قصر المدى * ميل القلوب لمن له التوديع
وبقوله أيضا لا غرو ان قصرت ذوائب من بمغنا طيسه انخبت له الابصار
أوما يحياه الرمع شمائل * طابت ليلاته وهن قصار
فأنت ترى ما صار اليه ذلك المعنى بتلوين النظم من كمال الحسن ولذة السمع

* فلما تناول آمال المدح الى * ما فيه من كرم الأخلق والشم *

الفاء تعليلية وكلمة ما استتفهامية في الاصل مرادها الانكار هنا وأصل تناول مدح
الانسان عنقه قائما لينظر الى ما بعد عنه فتجوز به عن محاوله غير المقدور والامال جمع أمل
كجبل ونجم وشبر الرجاء والى ما فيه يتعلق بالتناول والاخلق جمع خلق والشم جمع
شمة وهما بمعنى وقد تقدم شرحه عند قول الناظم فاق النبيين البيت والعطف هنا تفسيري
ومعنى البيت انكار حقيقة محاوله استقصاء مدائح صلى الله عليه وسلم باستتفاء صفاته
الموجبة للمدح من اخلاقه الكريمة وكثرتها ما ينبغي الشيء اذا كان لا يحصل له وان أمكن
وجوده فالحقيقة هنا انكار فائدة تناول لئلا يبلغ فيه بانكار الحقيقة كما هو مستعمل
كلمة ما ومن اللطيف في ذم تناول قول شيخ المعرة

فان كنت تهوى العيش فادع نوسا * فعند التناهي يقصر المتناول

* آيات حق من الرحمن محدثة * قديمة صفة الموصوف بالقدم *

برفع آيات على الأبداء وحذف الخبر أى من آياته الدالة على نبوته آيات القرآن الكريم
وهذا على ما اخترناه من ارادة العموم في الآيات السابقة وآية القرآن طائفة منه أقلها ستمة
أحرف مميزة بمبدأية وفاضلة واضافتها الى الحق من اضافة الموصوف الى الصفة لان الله وصف
القرآن به فقال هو الحق مصدقا ومن الرحمن صفة له والرحمن من أسمائه تعالى من الرحمة وقد
شاع أن الصيغة للرحمة اللاحقة لكل موجود * قال الشيخ لطف الله في المعارج والرحمانية
لكل شيء جعل ماهيته مستعدة لما خلقت له مستحبة لسيبه كطالفة رقة الابل على التعوج
فانه خلق الخمل الأوزار الثقيلة واطوله لم يمكن الحاملين منه فاحتجج الى الاناخرة فلو كانت
رقيقته قصيرة أو طوبى مستقيمة لشق عليه القيام وربما عطف في مقاساته واذا أمعنت
النظر رأيت ذلك في سائر الخلق فانطقها وصادتها اه ومن هنا لا يصح اطلاق هذا الاسم
على غيره تعالى كلفظ الله قال بعضهم يدل عليه قراءة تعبه في قوله جل اسمه قل ادعوا الله أو
ادعوا الرحمن ومن المقرر المعلوم ان أسماءه تعالى التي يستحيل ارادة معناها الوضعي في حقه
يعتبر فيها لازمه كإرادة الانعام في الرحمن والمحدث الموجد ضد القديم والموصوف بالقدم
هو الله تعالى ومعنى البيت ان من الآيات الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم آيات الكتاب
المجيد التي هي حق لا ريب فيه المنزلة من الله تعالى رحمة بعباده كما وصفها به في قوله جل اسمه
الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين ومن هنا ظهر اختيار اسم الرحمن هنا ثم
وصف تلك الآيات بوصفين متضادين وهما القدم والحديث اعماء الى أن لها اعتبارين كل
وصف منهما لها باعتبار الأول الالفاظ المقررة المتأولة الواردة على أعلى طرفي البلاغة
العجزة بذلك من اراد المعارضة السمي كلام الله والقرآن تسمية شائعة في لسان أهل الشرع

ولا صرية في حدوث ذلك ضرورة وهذا الاعتبار مناط الوصف الأول الاعتبار الثاني موافق تلك الالفاظ في الدلالة على المراد منها وهو الكلام النفسى القائم بذاته تعالى الذى اذا كشف الحجاب عنه فهم منه ما يفهم من اللفظ ويسمى كلام الله وقراءنا أيضا غير أنه ليس من الآيات فى شئ وانما نسبتها اليه للاشتراك فى الدلالة على المراد وكونه المدلول الأول لها بناء على أن الالفاظ تدل أولا على ما فى النفس من المراد وهذا الاعتبار وصفت الالفاظ بالقدم وفسر بانها صفة القدم ولا يعزب عليك مما بيناه ما فى ذلك التوضيف من التوسع وأشار الناظم بما ذكر الى أن الخلاف الشائع بين أهل السنة والمعتزلة فى حدوث القرآن وقدمه ليس على ظاهره الشائع ضرورة أنه لا مسامح للقول بقدوم الالفاظ المنزلة كالمسامح للقول بحدوث الكلام النفسى انما النزاع فى ثبوت الثاني فاهل السنة يثبتونه ويكون قديما لا محالة لانه صفة ذاتية والمعتزلة ينفونه فعند أهل السنة لفظ القرآن له معنيان قديم وحادث وعند المعتزلة لا معنى له الا الحادث هذا حقيقة الخلاف عند المحررين من مهرة علم الكلام فاستفده

لم تقترن بزمان وهي تخبرنا * عن المعاد وعن عاد وعن ارم *
 الاقتران الاجتماع والضمير المستتر للآيات بالاخبار الذى لحقها به الوصف بالقدم والزمان الوقت المقدر بحركة الافلاك وسير الكواكب يطابق على القليل والكثير والضمير بعدد الآيات بالاخبار الاول لانه الذى به الاخبار والمعاد المصير والمرجع من عاد يعود عاد اذا رجع والمراد هنا خصوص مرجع الآخرة وعاد قبيلة بعث اليها هود صلى الله عليه وسلم سميت باسم عاد بن عوض بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام عاش عاد ألف سنة ومائتين ورأى من صلبيه أربعة آلاف ولد وكان كافرا بعد العصر وارم جدته كاذ كرى نفسه قال الكلبى ارم هو الذى يجتمع اليه نسب عاد وثمود وأهل السواد وأهل الجزيرة كان يقال عاد ارم وثمود ارم فاهل السواد وبق أهل السواد وأهل الجزيرة ومعنى البيت ان تلك الآيات مع كونها غير زمانة اذ الزمانى ماله أول وهى لكونها قديمة لا تصاحب الزمان الحادث تخبرنا وتعلمنا باحوال الناس من الامم كعاد وارم والمستقبل كلعاد فهى غير زمانة تخبر عن الزمانين وكأنه رحمه الله يهضم التصادم كالانبياء فى السابق فى الجمع بين الصفتين ومنه قول أبى تمام فى الشيب له منتظر فى العين أبيض ناصع * ولكنك فى القلب أسود أسقع وقد ذكر فى الشفاء أن من وجوه أعجاز القرآن الاخبار عن المغيبات وعن القرون الماضية والامم البالية والشرائع الدائرة وقد عد ذلك فصلين

دامت لدينا فافتت كل معجزة * من النبيين اذ جاءت ولم تدم *
 الضمير الى الآيات بالاخبار الاول والادوام الاستمرار وافتت علمت فى الشرف والمعجزة أصلها اسم فاعل من أعجزنى الامرأى فاتى ولم أستطعه والمراد بها فى حق الانبياء أمر خارق للعادة يقع على وفق دعوى الرسول الرسالة مقارنا للدعوى مع عدم المعارضة وهى منزلة منزلة قول الله تعالى صدق عبدى فيما يبلغ عنى ومعنى البيت اثبات حزية المعجزة القرآن فاقت بها كل معجزة سواها وقعت على يدى من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهى استمرارها من لدن نزولها الى انقراض الدنيا وغيرها من المعجزات نزول بحصول المراد منها من الدلالة على تصديق

الرسول الذى وقعت على يده ووجه كون ذلك شرفا لها على غيرها الشاعرا كما حسا الذى كل عصر من الاعصار ولم يدرك غيرها غير من شاهدها الا بالاخبار عن أحوالها والاخبار القاطعة وان أفادت اليقين لكن للعيان لطيف معنى وفى ذلك اعلان بالتعجيز لا يخفى فى فضل الله تعالى على نبيه أن جعل من آياته كتاب تشرى به المضمون حفظه لتبقى لآتمته مدركة مشاهدة وهذا يتبين ان غيره من الكتب السماوية لا يشارك الكتاب المجيد فى ذلك اذ لم يكن انزالها إلا بحجاز فان قلبت ما اقتضاه صريحه من نفي الدوام عن كل معجزة عدا القرآن بنا فيه ما صرح به فى الهمزية من دوام جميع معجزاته صلى الله عليه وسلم حتى جعل ذلك حزية له عليه الصلاة والسلام دون غيره من الانبياء حيث يقول

لم تخف بعدك الضلال وفينا * وارثون ورهس يدك العلماء
 فانقضت آى الانبياء وآيا * تلتقى الناس ما لهم انقضاء

قلت المراد بالآيات مطلق المزايا والكرامات كما صرح بذلك الحنفى فى حواشى شرحها أى من كراماته ومزاياه صلى الله عليه وسلم دوام شريعته وهدى ببقاء علماء أمته بخلاف غيره من الانبياء فان امتنيز به من الشرائع قد نسخ ويؤيد هذا المحمل تفرع ذلك الكلام على مضمون البيت السابق فافهمه

محكمات فخايعين من شبه * لذى شقاق ولا يعين من حكم

محكمات جمع محكمة على صيغة المفعول من حكمه اذا جعلها كما فعلناه ما كان أو من حكمه بمعنى أحكامه اذا قيل بقياس التضعيف على التعدية بالهمز كما هو رأى بعضهم فعناه متقنات فى نظمها وبلاغتها ممنوعة من تطرق الخلل اليها وكونها من أحكام الشئ بمعنى أوضحة حتى لا يحتاج الى التأويل بنا فيه منه آيات محكمات من أم الكتاب وأخر متشابهات وجواب شيخ الاسلام عنه غيرنا هاض فراجع مع التدبر وما يعين ما يبركن والشبه جمع شبهة وهى الالتباس وما يتخيل دليلا وليس كذلك والشقاق الخلاف والعداوة ويغيب بظلمين من بغيت الشئ أبغيه طلبته والحكم بالتحريك الحاكم ومعنى البيت أن هذه الآيات حكمة الحكم الفصل الذى لا تبقى معه شبهة لخلاف من المتنازعين سواء كان النزاع فى أصل التصديق وذلك بأعجازها أو فى حادثة بين اثنين وذلك بما تضمنته من الاحكام الشرعية وفى الحديث فى وصف القرآن من حكم به عدل ومن اتبع الهدى فى غيره أضله الله هذا على تفسير محكمات بأول تفسيره وعلى الثانى يكون المعنى أنها فى غاية الاتقان فى النظم وأعلى مراتب البلاغة بحيث لا يطررها شبهة معاندى كونها من عند الله فيرجع الى أحد قسمي الاول وقوله ولا يظلمن حكما صالح للربط بكلا التفسيرين فان الحاكم الذى لا يحكم عليه غيره أثبت فى باب الحكم ونفوذ الامر ضرورة ان نفي تسلط حكم الغير عليه انما هو لا خطأ لم يرتبه عنه فى أدوات الحكم ولما كانت هذه الآيات لا مرمى وراءها فى معانها وأحكامها لم يبق مسامح لأن تسلط عليها غيرها بحكم لان تحكيم الناقص فى الكامل خلاف المعقول وقد أوما الى هذا أبو الطيب بقوله

يا عدل الناس الا فى معاملتى * فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

وكذلك ما كان في غاية الاتقان والمنع من تطسرق الخلل فانه غنى في الدلالة على المراد منه عن
تصرفات الحكم وبما لا يخفى ان المراد ان الآيات هذا وصفها في نفس الامر ولا يتأف فيه انكار
العائد المحتوم ضلاله وقد قال تعالى ذلك الكتاب لا ريب فيه اى ليس أهلا لأن يرتاب فيه وان
وقع الريب لمن أضله الله وأتى بصيغة الجمع في الشبه ايماء الى تعدد شبهات المبطلين وان
القرآن ما حلت جميعها

ما حوربت قط الا عادم من حرب * أعدى الأعدى اليها ملق السلم *
المحاربة في الاصل المقاتلة ويتحوز بها عن مطلق المنازعة والمجادلة وهو المراد هنا وقط
طرف العموم ما مضى مبنى على الضم كقبول وبعد وعادرجع وصار والحرب محرر كصندر
حربته بفتح الراء سلبته وحرب بالكسر اشتد غضبه وأعدى ان كان من العداوة بمعنى الاشد
عداوة فالبناء غير مقيس لان فعله غير ثلاثى وان كان من العداوة أى تجاوز الحد والظلم أى
أشدتهم ظمافهم ومقيس والاعادى جمع أعداء جمع عدو وهو ضد الولى والسلم بفتح السين
وسكون اللام مع فتح السين وكسرهما الصلح والمعنى ان تلك الآيات ما قصد بها المجادل بانكار
وتكذيب ونسبتها الى غير حقيقتها كقولهم انها سحر او أساطير الاولين أو شعرا وانها كلام
مجنون الى غير ذلك من الأقاويل الباطلة الا صار ذلك المجادل المكذب مسلما لها راجعا عما
يدعيه فثمنهم من أسلم وتمت له الهداية ومنهم من سبق عليه القضاء فدام على كفره وان سلم
للآيات وعرف مقدارها وما يشهد لهذا ما تقدم لنا في مقدمة الشرح من قصة الوليد بن
المغيرة هذا ما ظهر لي في معنى البيت وهو غير مضمون ما بعده كما لا يخفى ولشيخ الاسلام في شرح
البيت مسالك لا أرضى سألوك واحدمها فراجعوه وحكم فكركم السلام

وردت بلاغتها دعوى معارضها * ردا للغيور يد الجاني عن الحرم *
الردا المصروف والبلاغة مصدر يبلغ المكان اذا وصل اليه وأما في عرف الادباء وصاغة الكلام
فقد اضطررت فيها عبارة المتقدمين وأحسن عبارة وجيزة فيها سر مطابقة الكلام لما
يقضيه الحال واجمال تفسيرها ان يتوخى في سر الكلام من الخواص والمزايا ما يقتضيه
حال الخطاب فاذا هي أمرضا في الامكان اطلاق القول في نوع من الكلام انه بليغ على
الاطلاق فرب كلام بليغ في مقام لا يكون كذلك في مقام آخر ومن المزايا التي يتوخىها
يتمزى الكلام المقاطع والمطالع والمبدأ والمخرج والنهاية ومعالم في فن المعاني ان لها
طرفين أعلى وهو وحدة الاعجاز وهي البلاغة القرآنية والمعارض اسم فاعل من عارضته في
الشيء اذا أتيت بمثل ما أتى به والغيور صيغة مبالغة يستوى فيها المذكور المؤنث من الغيرة
بفتح العين وهي حالة نفسانية تحدث عند امتداد الأيدي لحرق سباح الحماية تثير انبعاث القوة
الغضبية الحامية واليد الجارحة المعروفة وكثيرا ما يراد بها القدرة مجازا وهو الانسب هنا
والجاني اسم فاعل من جنى عليه جنائيا اذا فعل به مكرها والحرم ما بضم الحاء وفتح الراء
فساء الرجل وما يحميه واما بفتحين جمع حريم وهو ما يحميه الانسان ويقاوتل عنه والمعنيان
متقاربان وانما الخلاف في الشكل والمعنى ان هذه الآيات تكونها في أعلى طرفي البلاغة
الذي هو وحدة الاعجاز صرفت وأبطلت دعوى المعارض لها المدعى الاتيان بمثلها بعدا للتحدى

وطلب ذلك منه الطلب التمجيزي كما صرحت بذلك الآيات الكريمة فكان العجز صفتهم
والفضيحة نتجة دعواهم والمذلة ثمرة ما عرسه هو اهم مع تحريك حجتهم بتسفيه آخلاقهم
وحط آعلامهم وتشتيت نظامهم ودم آلهم وبأثم وهو ينأدى عليهم بضعاً
وعشرين عاما أم يقولون افتراء قل فائتموا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان
كنتم صادقين فلم يكن منهم الا انكس الرأس ومخادعة النفوس بأنه افتراء أو سحراً أو
أساطير الاوتار ويزوهم اذ ذلك التجار سوق البلاغة الناقصة لا يشكون أن البلاغة طوع مرادهم
وصياغة الكلام ملك قبادهم قد حووا فنونها مع كثرة أنواعها ولم يكن ما عجز واعن مثله
الا على منوال لغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يناضلون ومن ثم أدر كواحسن
فواصله وأذعنوا للجزم من آياته وفواصله * ذكر أبو عبيدة أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ فأصدع
بما تؤول من فحده وقال سجدت لفصاحته وسمع آخر يقرأ فأبداً استبأسوا منه خلاصاً وانحيا
فقال أشهد أن محمداً مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام اه وفيما ذكره الناظم إشارة الى
أن الاعجاز القرآني في بلاغته وهو مذهب المحققين من العلماء ومحل اشباع الكلام في هذا
الخلاف غير هذا الكتاب فليراجع

لها معان كجوج البحر في مدد * وفوق جوهره في الحسن والقيم *
الضمير والآيات والمعاني جمع معنى وهو ما يراد من اللفظ بأى طريق من الدلالات كان والموج
اضطراب البحر كذا في القاموس وعليه اقتصر شيخ الاسلام وأنت ترى أنه غير مناسب للمراد
فلعله تحوز به عن الأمواج أعني الهيئات المتعاقبة عند اضطراب البحر والمدد الزيادة وفوق
طرف مكان لا حدى الجهات الست المعروفة ثم توسع فيه فأطلق على العلوي المعاني والصفات
كما هو المراد هنا والقيم جمع قيمة وأصلها ما يقاوم به من العوض ثم توسع فيه بإرادة الشرف
والكمال لما كان تغالى الأثمان يتبع غالباً ارتفاع صفات الكمال والمعنى ان تلك الآيات
معاني كثيرة لا تحصى ولا تتقف عند حد بل ما من معنى وصل اليه الذهن الا وظهر بعده معنى
وهكذا الى أن يقف الادراك البشرى ولا تستوفى المعاني كما أن البحر عند اضطرابه تتولد
فيه أمواج متعاقبة واحدة بعد أخرى فهى دائمة مادام الاضطراب في استمداد بعضها من
بعض استمداد يقف دونه الادراك والمراد من التشبيه كالقسمة الاحقة له في المصراع
الثاني تمثيل المعقول بالمحسوس تقريبا للافهام كما في قوله جل اسمه مثل نوره كشكاة الآيات
وقد تلطف في هذا التشبيه ما شاء فان أمواج البحر يتولد بعضها من بعض كذلك المعاني
البلاغية يتولد بعضها من بعض مع مناسبة المقام والمراد من القسمة الى الجوهر ظاهر يعنى
أن شرف معاني هذه الآيات يزيد المعاني البلاغية التي هي مناط الاعجاز في شرفها وحسنها
فوق الجواهر المعروفة بالشرف والحسن

فانعد ولا تحصى عجائبها * ولا تسام على الاكثر بالسأم *
تقرىع على مضمون ما قبله والعد الحساب والاحصاء الاحاطة بالشيء علماً وأكثر استعماله
في المعدودات وكان الفبرق بينه وبين العدد ان الاول احاطة الجملة المعدودة والثاني يتبع
افرادها بالحساب والعجائب جمع عجيبية وهو الشئ الذي يتعجب منه كالحسن والشارف

والنادر وتسام تطلب من السوم المستعمل في البيع يقال منه سوامته وسواما والاكثر المراد به كثرة ترددها من قولهم أكثر الرجل أي أكثر ما له ولو قال على التكرار لكان أنسب وأظهر في المراد والسام بفتح الهمزة مصدر سبمت بكسر هاء أي ملأت والمعنى أن هذه الآيات لما كانت معانيها الكثيرة التي لا تنتهي والحسن الذي لا يباهى لا يمكن عدّها ولا الأحاطة بها ولا تمل مع تكرارها وهذا بما فاقت به الجواهر فأنها وإن كانت ملائمة للطبع بحسبها السكتها يلحقها الملل بالاكثر من تداولها وتسامها الانفس وكذلك الشأن في كل كلام مكرّر وفي المثل أنقل من حديث معاذ وآيات السكّاب على خلاف ذلك فإنها ما ذكرت الا وكانت لها حلاوة ورووق مستأنفان كأنها أول ما طرقت السمع قال القاضي في الشفاء وقد عدّ جماعة من الأئمة ومقلدي الأئمة في إعجازها وجوها كثيرة منها أن قارئه لا يحله وسامعه لا يحبه بل الاكابر على تلاوته يزيد حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغا عجل مع التريديد ويعادى إذا أعيداه ومن الحكم المشهورة من العادات معاداة المعادات فأنت ترى أن هذه الخصيصة للفظ الآيات الكريمة لا لعانها وأنها ثابته لها فهبت معانيها أم لا ومن هنا حملنا الاكثر على التكرار وصرّفنا النظم عن ظاهره المتبادر من جعله على حقيقته وصفا للمعاني في البيت السابق وجعله على الظاهر مع كونه غير مطابق لما نقول لا يستقيم في نفسه فان الكثرة مع تجدد الحصول الذي يقتضيه عدم التناهي ليس مظنة الملل فلا مزية في نفسه عنه وإنما كانت معانته لا تستقصى لكونها كما تقدم بلاغته وقد بينا أن البلاغة مطابقة الكلام لقتضى الحال فلا حاطة بها تتبع ادراك ما عليه المتكلم من الأحوال ومقتضياتها والادراك الشري لا يساوي العلم القديم فافهمه

فقرت بها عين قارئها فقلت له * لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم *

أصل قور العين جريان الدم البارد منها بسبب الفرح والسرور وقد منّا بيانه أول الشرح ثم شاع التكنية به عن السرور وارتياح النفس بحصول الملائم والقارئ اسم فاعل من قرأت السكّاب قراءة أتبع بعضها بعضا وظفرت بكسر التاء في الماضي وفتحها في المستقبل من الظفر وهو الفوز بالمطلوب والمراد بالحبل هنا العهد مجازا والاعتصام به الامتناع عنه من المؤذيات والمعنى أن قارئ تلك الآيات الكريمة حصل من السرور والفرح وما يلائم روحه ما أوجب فشاط نفسه وانساؤها وأنه جدير بأن ينأى بذلك ويقال له لقد فزت بطلوبك وهو حبل الله المتين وعهده الوثيق فاعتصم به من كل مخوف في الدنيا والآخرة * وشواهد هذا كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم خليقتين كذب الله جمل مدود بين السماء والارض وعترتي أهل بيتي وانهما ان يفترا حتى يردا على الحوض قال شيخ الاسلام وخرج أبو عيسى عن الحرث الأعور قال مررت في المسجد فاذا الناس يخوضون في الحديث فدخلت على علي رضي الله عنه فقلت يا أمير المؤمنين ان الناس قد خاضوا في الأحاديث قال وقد فعلوا قلت نعم قال أما اني لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا انها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها لئلا رسول الله قال كذب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الحكم والهدى من غيره أضله الله وهو

حبل الله المتين وهو الذكّر الحميم وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تربغ به الا هواء ولا تلبس به الا لينة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الترداد ولا تنقضي عجائبه من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا به هدى الى صراط مستقيم خذها يا أعور اه وكان الناظم اقتبس أسانته هاته من هذا الحديث الشريف

ان تسلبا خيفة من حر تار لظي * أطفأت حر لظي من وردها الشيم *
 التلاوة القراءة والخيفة الخوف والحر ضد البرد والظي النار أولهما وظي معرفة جهنم كذا في القاموس ولازادتها هنا أضيفت النار اليها وأطفأت من طفت النار كسمع طفوا ذهب لهما كأنطفأت وأطفأتها وهو متجاوز به هنا عن النجاة من أذائها ضرورة أن التطفأ في ذاتها وانما يمنع التالي من ايلام حرها وتعلقه بالحر فترتبه على المراد واطهارا الحر وظي لازادة التهويل والتعظيم والورد بكسر الواو الماء الذي يورد كذا في تكملة القاموس للترضى والشيم بكسر الباء البارد والمعنى أن هذه الآيات الكريمة اذا تلاها الا انسان تقربا الى الله بما يقصد النجاة من عذاب النيران يوم القيامة كانت نجاة له منها * وشواهد هذا من السنة كثيرة منها ما رواه مسلم من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه وعن أبي هريرة رضي الله عنه يحمي صاحب القرآن يوم القيامة فيقول يارب حمله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يارب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول يارب ارض عنه فيرضى عنه فيقال له اقرأ واراق وترداد بكل آية حسنة اه ومن لطيف تلويحات الناظم رحمه الله الامعاء يجعل ثمرة القراءة النجاة من النيران الذي هو من لوازم الكرامة الواردة بها الاحاديث الى أن حظ المكلف من العبادة الخروج من الخلق والامن من العقاب وأما الجزاء فهو محض الفضل

فقيهه
 كأنها الحوض تبيض الوجوه به * من العصاة وقد جاؤه كالحمم *
 الضمير للآيات والحوض معروف وهو مجتمع الماء ذوالخفافات وآل فيه عهدية والمعهود حوضه صلى الله عليه وسلم وتبيض الوجوه كناية عن التمتع الظاهر أثره بحسن البشرية وتخصيص الوجه اما لكونه يظهر فيه التمتع وضده أو هو مجاز عن الذات والعصاة جمع عاص ومن يئامة على الاول أو تبعيضية على الثاني والحمم كسر الفهم واحده بها والمراد من التشبيه التكنية عن بلوغ الشدة وهلمب العطش حتى يتغير البدن وتسقط حرارة الدم فيسود والمعنى أن هذه الآيات في ارتياح القارئ لها واشرح صدره بها وانزياح ظلمة الجهالة عن صدره بتلاوتها كأنها حوضه صلى الله عليه وسلم لم يتم أمته بالورد منه حين مردونه وقد استند بهم عطش الموقف حتى يتغير بشرتهم فيشربون منه وقد صار سوادهم بياضا وبؤس ما يجسدونه تنجما المقصود بيان فزينة تلاوة هذه الآيات بما يظهر على تالبيها من التنوير في الدنيا بعد سان ضربتها في الأخرى وفي التشبيه استنباع غير خفي كما قدمناه في خلال الشرح وتشبيهه الانتفاع بالحكم والمعارف بالرى من الماء كثير شائع ومن البحر فيه قول الشيخ عارف شيخ الاسلام بحر وسنة القسطنطينية العظمى

ان الأئمة كلناهل في الهدى * والناس مثل الوارد الظمان
والنفس ان رويت بأول مشرب * عنيت بلا كره لشرب الثاني
وأحاديث الحوض كثيرة ففي صحيح البخاري عن ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم حوضي
مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب
منه لا يظم أبدا وعن سهل بن سعد اني فرطكم على الحوض من مر على شرب ومن شرب
لا يظم أبدا ليرد على أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم قال النعمان بن أبي عياش
وزاد فيها أبو سعيد الخدري فاقول انهم مني فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سخقا
سخقا لمن غير بعدى اه والور ود على حوضه صلى الله عليه وسلم قبل الحساب كما هو ظاهر
الروايات وفيه أمان من النار كما لا يخفى هذا وقد حمل شيخ الاسلام قوله وقد جأوه كالحجم على
حالة خروج العصاة من النار بالشفاعة وتوفاع ظاهر اللفظ ومع المروي في ذلك فتخبر في بيان
مراد الناظم وشرحه شرحا غير ملتزم الاطراف فراجع

وكالصراط والكيلان معدلة * فالقسط من غيرها في الناس لم يقم
الاصراط الطريق والميزان معروف والمعدلة بفتح الـ والـ وتنكسر العدل واتصافه على التمييز
المبين لوجه الشبه والأظهر اختصاصه بالثاني لاشتهار صفة العدل من الميزان دون الصراط
ومن ثم أعاد أداة التشبيه وحذف وجه الأول لظهوره وهو الوصول الى المقصود والقضاء
للتفرغ على الثاني على الاظهر والقسط بـ كسر القاف العدل وبفتحها الجور تقول
أمر الله بالقسط ونهى عن القسطن وقيام العدل ظهوره والمعنى أن هذه الآيات
الشرقية طريق موصل الى الهدى ان تمسك به وعمل بما فيه كالطريق المحسوس الموصل
الى المقصود الذي لا يضل سالكه وهي المينة للحقوق والاحكام بيانها عادل لا يقع
حيف ولا جور به كالميزان المحسوس الذي لا يكون باعتباره جورا كونه أضبط المقادير
وأعدلها وقوله فالقسطن من غيرها الخ تفرغ على التشبيه بالميزان في العدل والمراد بالغير
الغابر لها في جملة أوصافها التي منها أنها كالميزان معدلة والمراد بالناس الأمة المخاطبة بها ولا
يخفى أنه لا يمكن العدل فيهم الا من هذه الآيات وشاهده نص الحديث المتقدم في شرح قوله
قرت بها عين قاريها البيت ولا يرد عليه السنة والاجماع والقياس من الأدلة الشرعية لرجوع
جميعها الى الكتاب المجيد اذ هو الاصل الذي بنى عليه التشريع فاندفعت سائر الشكوك
وقد روى الناظم رحمه الله تعالى بالصراط والميزان للذين في الآخرة وأحسن في التورية ماشاء
خصوصا مع تقدم الحوض ومن الجدي في ذلك ما ذكره في سطر اللآل من أعذب ما وقعت عليه
فيما للشعراء في ذكر الملى ما في رفع الأزار عن محاسن الجوار

تقول لما قلت هذا المسمى * أسـ كـ في لما ترشفت فـ
سؤال ما ذاق لمي دبسمي * أسـ كـ في الله ذكـرت السؤال
لا تخين الحسود راح ينكرها * تجاهلا وهو عين الخاذق الفهم
الحسود صيغة مما لغت من الحسد وهو تني زوال نعمة الحسود ووصولها الى الحاسد وقيل تني
زوالها وان لم تصل اليه وهذا أقبح الخالين وراح بمعنى صار وأصله المصير عشية ثم استعمل

في المطلق والتجاهل أن يظهر الانسان من نفسه الجهل وليس بذى جهل والجهل ضد العلم
والخاذق اسم فاعل من خذق الرجل عمله بنكسر الـ والـ خذقا وخذافة أحكمه والفهم بنكسر
الهاء بمعنى العالم من فهمت الشيء علمته والمعنى لا غرابة في انكار من غلب على قلبه الحسد
لتملك الآيات الكاملة الباهرة البالغة الدرجة العليا في الكمال أى انكار كونها آية من
عند الله توصل بذلك الى انكار تصديق من جاءها صلى الله عليه وسلم وذلك لما انطبعت عليه
النفوس من حسد كل ذى نعمة حتى قال أبو تمام

وإذا أراد الله نشر فضيلة * طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما حاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود
اه وقد تطف ماشاء من أخذ معنى الثاني فقال
بنى جهور أحرقتم بحفائكم * جناني فما بال المسدح تعبق
تعدوني كالغمر الورود انما * تطيب لكم أنفاسه حين يحرق

اه ثم من لازم الحسد العلم بالنعمة ولذا قال تجاهلا أى مع أنهم تجاهلوا عن حقيقتها وتعاموا
عن رؤيتها أشعثهم كونهم ليسوا من أهل الغفلة والجهالة بل من أهل الفطنة والعلم وذلك ان
المنكر اما العرب أو اليهود أما الأول فانهم من النباهة وادراك الكتاب بالمرتبة التي شهدت
بها أخبارهم المتقدم منذ منها بحيث شهدت أنها وهم يتسلم اعجازها باطننا وتصديقه صلى الله
عليه وسلم وأظهره والنكير حسدا وعنادا روى ان أباجهل قال والله ان محمدا صادق ولكن
كأنيبها شيم يطعمون ونطعم وما فعلوا خصلة الا وفعلا مثلها حتى اذا كافر سى رهان قالوا
انه يا تينا الوحي من السماء فن لنا بهذه لانؤمن به أبدا وأما القسم الثاني فهم من أهل العلم
بالكتاب المبين به معبئته عليه السلام ووصفته ووقته ومع ذلك أنكروه حسدا لذهاب النبوة
من بنى اسرئيل وقد نذاهم الله تعالى بقوله الذين آتينا هم السكاب يعرفونه كما يعرفون
أبناءهم وان فرق بقاتهم ليكتمون الحق وهم يعلمون

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد * وينكر الفم طعم الماء من سقم
تعليل لتبني الغرابة والتعجب من حال المنكرين الحاسدين المضمين بالبيت قبله والرمداء
يصيب العين معروفة يؤذيه بمقابلة كل ذى شعاع والطعم ما يؤذيه الذوق والسقم المرض
والمعنى أن العين الرمداء تنكر ضوء الشمس لعدم ادراكها والمرضى لانحراف مزاجه
ينكر طعم الماء وليس ذلك لعدم ضوء الشمس وعدم طعم الماء وانما ذلك لسلب الادراك
عن المدرك بسبب العارض فلا يكون ذلك قادحا فيهما وما أحسن ما قيل

ما ضر الشمس الفحى في الأفق طالعة * أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصـ
والمراد ضرب المثل لانكار الآيات من الحاسدين فان انكارهم لا يضر رفعة شأنها وعلو مرتبتها
لعارض الحسد كما لا يضر انكار الأرض للشمس والسقم لطعم الماء وقد هنا للتحقيق كما
في قوله تعالى قدرنى تقاب وجهك في السماء وقوله قد نعلم انه يحزنك الذى يقولون قال
شيخ الاسلام وللمها على التعليل معنى لطيف وهو الامعاء الى قلبه الانكار لأجل الحسد
بالقسمة الى التصديق من سليم الصدر كما أن انكار العين للشمس قليل لقلبه الرمد بالقسمة الى

صحتها وكذلك ما يعد ولا يعزب عليك أن المحكوم بقلته هو انكار العين والقلم والرمد والسقم
لبيان فحل القلة لا أنهما وصفان يعتبران في محل القلة حتى تنكر حينئذ فافهمه وفقاً لطف
تمثيل الناظم فان الحسد من الامراض العظيمة الناشئة عن انحراف المزاج فتسلب القوة
الشهوانية مؤثر في هوان البدن أشد تأثير وذلك بكثرة الهوسوم والأخزان الواردة كلما
التفتت النفس الى نعم المحسود فتضاعف الغضب من غير ما ضرر يعود على المحسود ولا نفع
يكون للحاسد مع ما في ذلك من الخسران الديني من الاعتراض على الحكمة الالهية وعدم
الرضا بقسمة الفاعل المحتار فالحاسد يجان على حسدقة التوحيد وعلى نفسه بما يحجر اليها
من التكبد والأخزان وعلى المحسود بما يتناهله من زوال النعمة. ومن هنا كان الحاسد أظلم
الناس كما قال أبو الطيب

وأظلم خلق الله من بات حاسدا * لمن بات في نعمائه يتقلب
على أحد احتمالين في البيت يظهر ثانيهما يعود ضميريات على الحاسد فافهمه

ياخير من يم العافون ساحتهم * سعياً وفوق متون الأيق الرسم
التمتات من الغيبة الى الخطاب وتلويحاً للناظم من باب الى باب تحريك القشاط السامع وتبنيها
على ان المعروف تلك الآيات العظام الدالة على رفعة شأنه جدير بأن يكون نصب عين كل
مؤمل وفيه اجماع الى التنويه بآية الاسراء حيث مهد لها الخطاب وذكر الاوصاف المناسبة
تلويحاً الى أنه لا ينبغي حكايتها وخطاب في شأنها الا اصاحبها واستعمال بحرف الابدل للدلالة
على علو مرتبته وجمته وتيممه قصد تومئنه نيم الضعيد للصلاة والعافون جمع عاف وهو
طالب المعروف والساحة الناحية والقضاء بين الدور والسعي المشي والتون جمع متن وهو
الظهور وأصله ما يكتب الصلح عن يمين وشمال فهما متناهيان وأيسر والأيق بتقديم الياء
جمع ناقه والاصل أنوق بألف فون فواو مضمومة استقلوا ضمه فقدموها ساً كنه ثم قلبوها
ياء والرسم بضم الزاء والسنين جمع رسوم وصف الناقاة التي تؤثر في الارض من شدة الوطء
والمعنى وصفه صلى الله عليه وسلم بأنه أفضل مقصود لسؤال لتحقيق أنه بحر الفضل والنوال
وانه أكرم من يهتم أعتابه ورجيت لتبيل المراد أبوابه والمراد من ذكر كرمي العافين
من المشاة والركاب تعميم الاحاطة القاضية بأن آل في الجمع للاستغراق فلا يلزم اعتبار
حقيقة الحركة الظاهرية وقصر المزية عليها بل المعنى على ارادة كل أمل ورجاء سواء بالحركة
الظاهرة أو التوجيه القلبي وصرف الهمة اليه وانراعت خصوصية المناسبة للآية
المذكورة بعد حملت اللفظ على ظاهره لتمام المناسبة وفيه اجماع لطيف الى أن تبيل فضيلة
الاسراء وما حصل فيها من المزايا والمكرمات مناسبة لما خلق به صلى الله عليه وسلم من أعلى
رتبة الكرم البشري حتى كان حقيقة بأن يسبح الله كل مؤمل ومن جفس العمل الجزاء ولا
يعزب عنك تخصيص غموم من بالخلق بقر بنة المقام أما اذا حملنا اللفظ على ظاهره من
السعي والساحة وركوب النوق فهو القرينة الواضحة فتنبه

ومن هو الآية الكبرى لمعتبر * ومن هو النعمة العظمى لمعتنم
الكبرى تأنيث الاكبر والمعتبر اسم فاعل من اعتبرت الشيء اذا صرفت فكرتك اليه والنعمة

رغد العيش والسيد والمنة والعظمى تأنيث الاعظم والمعتنم اسم فاعل من اعتنمت الشيء
أخذته عنمة وهي الشيء الذي تفوز به والمعنى أنه عليه الصلاة والسلام الآية الكبرى الدالة
على توحيد الله تعالى وتوحده بصفات الخلال والجمال وأنه المستحق للعبادة وذلك أن المراد
من بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام الدلالة على توحيد الله تعالى وهديا لخلق لعبادته
والتطهار ما أظهر على أيديهم من العجزات تدعيها للمراد منهم ولما كانت آياته صلى الله عليه
وسلم أعظم الآيات وأكبرها كان هو الآية الكبرى الدالة على ذلك المراد تيمناً كانت بعثة
الرسل عليهم الصلاة والسلام مجرد تفضل من الله ونعمة كجهوم ذهب أهل الحق كان كل
رسول نعمة ولا محالة فيكون أشرف الرسل وأكرمهم هو النعمة العظمى وهو مضمون
المصراع الثاني ولا يخفى عليك أن صيغتي التفضيل تقضيان بالشاركة في الأصل والانفراد
بالفردى وللتخصيص على هذا المراد أعاد لك من للإيماء الى أن العطف على مدخول حرف
النداء فيؤدّي المراد فافهمه بعضهم من عطف من هنا على من السابقة المسبب عليها لفظ
خير مفسد للمعنى اذ التقدير وياخير من هو الآية الكبرى الخ وقد علمت أنه خلاف المراد
فافهمه وفي الوصف في البيت مناسبة أيضاً ما يذكر بعد من آية الاسراء وقد كررنا قول الناظم
الآية الخ قول أبي الطيب في ذم كافر وقد أبداع ما شاء

ولله آيات وليست كهذه * أظنك يا كافر آتته الكبرى
لعمرك ما دهره أنت طيب * أي تحبني ذا الدهر أحسبه دهنرا
سريت من حرم ليلا الى حرم * كما سرى البدر في داج من الظلم

سرى وأسرى بمعنى يسار لئلا هذه طريقة جمهور أهل اللغة وقال السهيلي سرى لازم وأسرى
متعدّد لكن كثر حذف مفعوله فظن أهل اللغة أنهم ما يعني واحد سبحانه الذي أسرى بعده
أي أسرى البراق بعده فحذف المفعول استغناء عنه لأن المقصود بالخبر ذكر محمد صلى الله
عليه وسلم أو حذف لقوة الدلالة عليه قال واتفق الرواة على تسميته اسراء ولم يقل أحد منهم
سرى واتفق القراء على أسرى ولم يقل أحد منهم سرى اه بتقل شيخ الاسلام والحرم مكة
المعروفة بحرم الله الشامل للمسجد ثم ما غيره واختاره عن المسجد الذي ورد به الكتاب لياتي
على كتبا الروايتين في الاسراء فقد روى عنه عليه السلام أنه قال بينا أنا في المسجد في الحجر عند
البيت بين النائم والمقظان اذا أتاني جبريل بالبراق الحديث وروى أنه صلى الله عليه وسلم
كان نائماً في بيت أم هانئ فبغت أي طاب بعد صلاة العشاء فأسرى به فعلى هذه الرواية
يتأول ما في الكتاب المجيد بارادة الحرم أجمع من لفظ المسجد اذ كل مسجد وليلا لا نصب على
الظرفية وتذكيره لارادة الوحدة دفعا لتوهم أن يكون الاسراء لعظمته في ليال ذوات عدد
والمراد بالحرم الثاني بيت المقدس والبدر القمر عند كماله والداحي اسم فاعل من دجا الليل
دجوا ودجوا أظلم ومن الظلم صفة له لتأكيده والمعنى أن من آياته البينة التي لا تستر في
كونها آية قضية المعراج الثابتة بنص الكتاب المجيد وأنها متضمنة لآيات كثيرة فبدأ حكايتها
من مبدئها بقوله سريت أي أنه صلى الله عليه وسلم سار في الليل من حرم مكة الى المسجد
الاقصى الذي لا يتيسر في المعتاد بلوغه الا بليال ذوات عدد كسرى البدر في الليل الشديد الظلمة

وما أظف هذا التشبيه وقد أخذ المصراع الأول من قول نجسم الدين عمار بن أبي الحسن الحكيم حين قدم من مكة إلى مصر يمدح ملكها عيسى بن الظاهر العبيدي والعيس التي حملته إليه

ورحن من كعبسة البطحاء والحرم * وقد إلى كعبة المعروف والكرم
فهل درى البيت أتى بعد فقرته * ماسرت من حرم الإلى حرم
وقد أخذ عبد الحكيم بن الخطيب القرافي إذ قال في رجل وجب عليه القصاص فرماه المستوفى له بسهم أصاب كبده

أخرجت من كبد القوس ابنها فعدت * تثن والام قد تخنن على الولد
وما درت أنه لما رسمت به * ماسار من كبد الإلى كبد
* وبترت ترقى إلى أن نلت منزلة * من قاب قوسين لم تدرى ولم ترم *

بات يفعل كذا فعله ليلًا كما يقال ظل بفعله إذا فعله نهارًا وترقى تصعد من رقيت السلم بكسر القاف إذا صعدت فيه وهو من الأفعال التدريجية كإرأيت والمنزلة المرتبة ومن بيانه وقاب قوسين بيان لها والقاب المقدار أي مقدار قوسين وهي كلمة يكتفي بها عن شدة القرب كقولهم هو منى مقعد القابلة وهو منى معقد الأزار وأدراك الشيء بلوغه ورومه طلبه والمعنى أنه عليه الصلاة والسلام لما بلغ المسجد الأقصى عرج به إلى السماء فبات يصعد في درجات الارتفاع إلى أن بلغ مرتبة القرب التي لم يبلغها أحد ولم تخطر ببال أحد لعلوا شأنها وبعد شأوها قال شيخ الإسلام إنما اقتصر على ذي الماضي ولم يتعرض لنفي المستقبل اكتفاءً بأن هذا الكلام في تفضيله على من ثبت نبوته ولما ثبت بالبرهان كونه نبيًا لم يزل صدقه قطعا وقد أخبر أنه لا نبي بعده فلم يشغل الناظم بالأخبار عن المستقبل اه ثم صرح النظم أن الذي كان قاب قوسين هو النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي المتدلى في آية النجم روى عن ابن عباس محمدنا قدلى من ربه وروى أنه عليه الصلاة والسلام قال فارتقى جبريل وانقطع عن الأصوات وسمعت كلام ربي وفي الصحيح ذنا الجبار رب العزة قدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى إليه بما شاء وقال جعفر بن محمد والد ذو من الله لحدله ومن العباد بالحدود وقال أيضا وانقطعت الكيفية عن الدنو ألا ترى كيف يحب جبريل عليه السلام عن دنوّه ودنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى ما أودع قلبه من المعرفة والامان قدلى بسكون قلبه إلى ما أدناه وزال عن قلبه الشك والاشتباه قال القاضي أبو الفضل عياض رحمه الله تعالى اعلم أن ما وقع من إضافة القرب من الله أو إلى الله فليس بدنوّه مكان وقرب بدن وانما دنو النبي من ربه وقرب به منه إبانة عظيم منزلته وتشرى برفته واثراق أنوار معرفته ومشاهدته أسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى مبرة وتأنيس وبسط واكرام اه

* وقد تمتك جميع الأنبياءها * والرسول تقدم مخدوم على خدم *
قد تمتك أي اعترفت بتقدمك وأذعنت له وأصله التقدّم في الحس ثم استعمل كثير في السابق إلى مراتب العز والشرف وهو اراده والضمير فيها للمنزلة في البيت السابق والباء لسببية والرسول عطف على الأنبياء كما هو الظاهر وتقدم مخدوم الخ نصب على المصدرية

ليبان النوع وفيه دلالة على ارادة تقديم الشرف والرتبة والمراد بالمخدوم على خدم الأشرف على الشريف والمعنى أن جميع الأنبياء والرسل اعترفوا بتقدمه صلى الله عليه وسلم بتلك المنزلة التي نالها من ربه ليلة الإسراء وعلوا بها أنه أشرفهم وأكرمهم عنده به وذلك باطلاعهم على منزلته تلك وما أعلمهم الله بها كما أشار إلى ذلك أخذ العهد في قوله حل اسمه واخذ الله ميثاق النبيين إلى قوله قالوا أفربنا وقد وقع في بعض روايات حديث الإسراء أن جماعة من النبيين أثنوا على الله تلك الليلة فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلكم أثنى على ربه وأنا من على ربي الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل على الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعل أمي خير أمه وجعل أمي أمة وسطا وجعل أمي هم الأولون والآخرون وشرح لي صدرى ورفع لي ذكرى وجعاني فاتحاً وختاماً فقال إبراهيم عليه السلام بهذا فضل محمد اه فاقرار إبراهيم بفضيلته وتفضيله على الأنبياء الحاضرين وهم أفضل بقيمة الأنبياء على جميعهم الصلاة والسلام والافضل من الافضل أفضل الجميع واذا تذكرت قول الناظم وكل آى البيت وقوله فانه شمس فضل البيت وما تقدمت في شرحهما انشرح صدرى لما شرحناه به فان قيل هلا حمل التقديم على التقديم في الصلاة لما ورد في بعض روايات حديث الإسراء أنه صلى الله عليه وسلم صلى بجماعة من الأنبياء فالجواب أن لفظ جميع زيد لدفع ارادة هذا فافهمه فان قيل قول إبراهيم عليه السلام في تلك الرواية بهذا فضل محمد إشارة إلى ما حده به بهر مما نفي ارادة التفضيل بالمنزلة فالجواب أن ما ذكر من توابع المنزلة التي نالها فلا منافاة فان قيل ما وجه الاقتصار على خربة تلك المرتبة وان الأنبياء ليقررون بأفضليته مطلقا فالجواب أن في اقتصار الناظم على ذلك أيماء لطيفا إلى أن اعتبارها خربة تفضيل لا ينافي قوله صلى الله عليه وسلم لا تتفاضلون على يونس بن متى المحمول عند بعض العلماء على معنى نفي المزية بكوني قاب قوسين وكونه في طبقات ثلاث إذ ليس القرب حسيا وان كلابا النسبة إلى علمه تعالى سواء وجه عدم المنافاة أن استواء الرتبين بالنسبة إلى علمه تعالى وقدرته لا ينافي التشرىف بالنسبة إلى ما تقتضيه احدى الرتبين من اظهار الشرف وعلان التمرى فافهمه

* وأنت تحترق السبع الطباق بهم * في دو كبت فيه صاحب العلم *
الواو الحال وأصل مادة الاختراق من خرق الثوب شقه وخرقه وتجوّز به فقيل خرقت المنارة قطعتها واخرقت الارض مررت بها عرضا على غير طريق كذا في الأساس والظاهر الحمل على الجواز بتشبيهه مجاوزة أجرام السموات بشق الثياب لما أنها أجسام غير حاجبة وفي اختياره المادة أيماء إلى خرق العادة في ذلك بناء على رأى الحكماء في الافلاك من أنها لا تقبل الخرق والاتمام والسبع الطباق السموات السبع لكونها واحدة فوق أخرى وبهم باؤه للمصاحبة والضمير للأنبياء لا بقيد الجميع إذ المراد بخصوص الأنبياء الذين تلقوه في السموات الآتى ذكرهم في حديث الإسراء ان شاء الله كما أن المراد المصاحبة لهم فرادى كما يدل عليه الحديث الآتى والموكب الجماعة ركبنا أو مشاة أو ركاب الإبل للزينة والعلم الراية وصاحب العلم كناية عن الرياسة والمعنى وقد تمتك جميع الأنبياء في حال كونك مجاوزا

السموات السبع في جماعة من الملائكة الكرام اجتمعوا اجتماع زينة اهتماما بقدمك كما يفعل بلافاة العظماء واحترس بقوله كنت فيه الخ عن كونه صلى الله عليه وسلم في ذلك المركب اجنبا منه تلقى به تعظيما فأدبانه أصيل فيه بل هو عماده وبه احتفلت زيقته وبهذا يستفاد من النظم أنه أفضل من الملائكة كما استفيد مما قبله أنه أفضل من الانبياء فله دره ما أمن نظمهم رحمه الله

حتى اذ لم تدع شأوا والمستبق * من الدتو ولا مرقى لمستلم *
حتى غاية لترقى اذ هو الاصل في الاخبار ولانه أعلق بالتدرج من تخترق مع أنه ذكركم قيدا والشأ والغاية والامد والمستبق المسابق والدتو القرب والمرقي جمع مرقاة وهي الدرجة والمستتم اسم فاعل من استتم أى علا والمعروف تسيم يقال تسيم الحائط أى علاه كذا قال شيخ الاسلام وهو موافق لما في كتب اللغة فلعل أصل رواية النظم لمستتم بالنون وكلمة اذا شريطة جوابها خفضت في قوله

خفضت كل مقام بالاضافة * نوديت بالرفع مثل المفرد العلم *
الخفض الحظ ضد الرفع وعند النحاة اللفظ المعروف والحالة المدلول عليها به وأصل المقام موضع القيام ويجوز به عن الرتبة كما هنا والاضافة في الاصل الامالة الى الشيء والاسناد اليه قال امرؤ القيس

فلما دخلنا ه أضفتنا ظهورنا * الى كل حارى حديد مشطب
وتجوز به عن الاسناد المعنوي كما هنا ومنه الاضافة عند النحاة بمعنى النسبة المخصوصة نوديت بمعنى دعيت والرفع ضد الخفض وعند النحاة الحركة أو الحالة المعروفتان ومثل كلمة نسوية والمفرد الذي لا يماثله أحد في نفسه من استنفرد الشيء أخذه فرد الاثنى له ولا مثل واختار المفرد عن الفرد الشائع في ذلك المراد تسكيما للتورية والعلم سيد القوم والجمع أعلام ومعنى البتين أنه صلى الله عليه وسلم لم يزل راقيا في مقامات العلى حتى اذا بلغ منها المرتبة التي لم يبق بعدها مرتبة وغاية يطعم فيها التسابق ويحدث نفسه بها التسيم الطالب للعلو يظهر الخطا ط كل مقام بسبب تلك النسبة والاسناد الذي بلغه اذ دعى في ذلك المقام دعاء مصاحب الرفع شأنه وهو الفرد الذي ساد قومه فلفظة مثل هنا مثلها في قولهم مثلك لا يجزل والمراد بالنداء نداؤه للعراج وللدخول الى حيث لم يصل له نبي غيره وخصوص النداء بصيغته فقد روى أنه عليه السلام لما وصل الى العرش وهو منتهى السكون والمكان قيل له السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فقال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن ابن عباس في قوله ذباقتدى قال فارقتى جبريل فانقطعت الاصوات فسمعت كلام ربي وهو يقول لبهدأ روعك يا محمد ادن ادن اه ودخل في قوله كل مقام مقام النبيين والملائكة وبما بيننا من أن المراد به اطهار ذلك لعلو مرتبة يعلم أن ليس المراد انظاها وهو حدوث الخفض كما ظهر أن لا حقيقة للنداء النحوى ولا للمفرد العلم المراد من أقسامه عند أبواب صناعته كما ظن شيخ الاسلام فوسع الكلام في البناء على ذلك فراجع ان شئت نعم أحسن النظم كل الاحسان في التورية تلك الألقاب الاصطلاحية مع مراعاة النظر والتورية ظاهرة في تلك الألقاب

قوله والمرقي جمع الخ المرقي كقالب اللغة موضع الرق لا جمع مرقاة فان جمعها مر في وقوله فاعل أصل رواة الخ هو الذي كتب عليه الشيخ خالد بن عبد الله

الاصطلاحية وهي بجمعها مر شحة كل واحدة ترشح الاخرى ومن جيد التورية بألقاب الصناعات النحوية وان لم يتابع حسن هذا النظم فيها قول أبي الحسن الغراب أحد الشعراء التوئسين

غدا الشوق من دعي وسقمى مظهرا * على ولكن فاعل الشوق مضمهر
وكانت له البد الطولى في هذا النوع حتى كاد أن يكون غالب شعره ايها ما تور به بلا تكلف فمن جيد قوله في ذلك في ملبج بجمع حب الزيتون

جعت هوى ظي وقد كان جامعا * لزيتونة من فوق أغصانها التوى
أيا جامع الزيتون الفاتن الورى * تفضل بعرف على جامع الهوى
ومن جيد مراعاة النظر ما تقدم صدر الشرح من قول ابن رشيق

أصع وأقوى ما سمعناه في الندى * من الخبر المأثور منذ قديم
أحاديث ترويهما السمول عن الحيا * عن البحر عن كف الأمير عجم

كما تقوز بوصول أى مستتر * عن العيون وسر أى مكنتم *
كى حرف جر معناه التعليل كاللام والفعل بعدها منصوب بأن مقدره وقد تدخل عليها اللام فتكون مصدرية ناصبة بنفسها وازائده والفوز الظفر المطلوب وأي صفة دالة على الكمال تضاف الى مشمل موصوفها تقول مررت برجل أى رجل أى كامل في وصف الرجولية وقد يحذف موصوفها كما هنا اذا التقدير بوصول مستتر أى مستتر تقيما لاصل استعجالها ولا يلزم هذا التقدير في أى مكنتم فان السر بما يماثل معنى السكمان والمماثلة ولو معنى كافية في صحة استعمالها يقال مررت برجل أى قتي والاستتار الاحتجاب وعن العيون يتعلق به والمكنتم الخفي والمعنى كان ما كان من الترقى ونيل المنزلة والوصول الى مرتبة انخطت عنها جميع الرتب لتنال الوصول المستترا كمل استتار عن عيون كل الأغيار وتظفرا بالسر المكنوم الذي لم يطلع عليه ملك مقرب ولان نبي مرسل فيتحقق مقام المحبوبة بلار يب فان شأن وحال المحبوب الاستتار لاظهار مكانته بالانفراد والله در الفارضى اذ يقول على لسان الحضرة المحمدية

ولقد خلوت مع الحبيب وبقنا * سر أرق من القسم اذا سرى
وقد وقع التصريح بما أفاده ذلك التلويح عن الوصول الى سدره المنتهى كما في رواية أبي هريرة رضي الله عنه من طريق الربيع بن أنس رضي الله عنه قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم سل فقال انما اتخذت ابراهيم خليلا وأعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما وأعطيته داود ملكا عظيما وأنت له الحديد وسخرت له الجبال وأعطيته سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين والرياح وأعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته يبرئ الاكمة والابصر وأجرته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليه ما عليهما السلام سبيل فقال له ربه قد اتخذت حبيبا فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن وأرسلتلك الى الناس كافة وجعلت أمتهم الاقرون وهم الآخرون وجعلت أمتهم لا تتوزلهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدى ورسولى وجعلتلك أول النبيين خلقا وآخرهم دعنا وأعطيته سبع مائة من المثاني لم أعطها نبيا قبلك وأعطيته

خواتيم سورة البقرة من كتر تحت عرشى لم اعطها نبيا قبلك وجعلتلك فاتحا وخاتما فكانت
 اول ضربة في هذا الحديث ضربة المحبوسه التي شهد لها الحال وروى انه صلى الله عليه وسلم
 لما عبر بكي موسى عليه السلام وقال صد شيخ ورفيع شاب فقبل له انه الحبيب واما السر المشار
 اليه في البيت فهو العلوم الربانية والاسرار القدسية التي ملأ ربه بها قلبه حتى صار مدية العلم
 وتحويل شأن ذلك جاء الابهام في قوله جل اسمه فأوحى الى عمده ما أوحى روى عن ابن عباس
 رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علمي ربي ليلة الاسراء علموا شتى فعلم
 أخذ على كتمانها وعلم خبيري فيه وعلم أمرني أن أبلغه وهو قوله تعالى يا أيها الرسول بلغ
 ما أنزل اليك من ربك وكان صلى الله عليه وسلم يسر الى أبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله
 عنهم ما خبره فيه ربه كما كان يسر الى حذيفة رضى الله عنه من علم الحدائق وعلم المناقين
 وفي الصحيح من حديث حذيفة رضى الله عنه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم علمين
 أما أحدهما فبينته وأما الآخر فلو بينته لقطع مني هذا البلعوم وأنت تعلم بتقسيم حديث
 ابن عباس أن لا اشكال فيما أئني صلى الله عليه وسلم فاندفعت الظنون التي ذكرها شيخ
 الاسلام

فجزت كل فخار غير مشترك * وجزت كل مقام غير مذموم *
 حوز الشيء منه الى النفس والفخار بفتح الفاء مصدر فخر يفخر فخر اذا تمسح وبالكسر
 مصدر فخرته فخرته اذا صرت أكثر منه فخر او مشترك بفتح الراء اسم مفعول صلته محذوفة
 أى غير مشترك فيه وغير نصب على الحال من ضمير الفاعل والجواز تعدي الشيء وقطعه
 والمراد هنا لازم ذلك وهو الخلول وازدحم القوم على كذا تضابقوا والصيغة كمشترك ومعنى
 هذا البيت كالفذل كما تقدم والنتيجة له ولهذا صدره بالفاء ومعناه أنه علم مما تقدم
 أنه صلى الله عليه وسلم نال كل فخار من دون مشاركة ووصل كل مقام من غير ضاحم ولا يخفى
 تقييد كل بما يلائم الخلق وهذا ظاهر النظم غير أنه يرد عليه أن نفي الشركة في كل فرد من
 أفراد الفخار ونفي المزاحمة في كل فرد من أفراد المقامات بين المخالفة لواقع فكثيرا ما شاركه
 غيره من الانبياء والملائكة في بعض أفراد الفخار والمقامات وأجاب شيخ الاسلام بحمل
 الكتابة على المجموع كما يقال كل الناس يحمل العنزة العظيمة وهو وان كان
 لكنه خلاف الظاهر مع أنه لا كبير مدح عليه وعندى أن قوله غيري الاول صفة فخار وفي
 الثاني صفة مقام والضمير المستكن عائد على الموصوف على طريق الخذف والايصال والمعنى
 جزت كل فخار لا اشتراك فيه وجزت كل مقام لا ازدحام فيه فيكون مدحا عاما لياذيقضي
 المشاركة والانفراد وهو المراد بقدره فإنه الملاقى لما تقدم وما ذكره بعد في قوله

*** وجل مقدار ما أوليت من رتب * وعزادر كما أوليت من نعم ***
 جل عظم ومقدار الشيء مبلغه وولى الامر ولاية صار والياء عليه والرتبة المنزلة وكذا المرتبة وعز
 الشيء يعز عزاء وعزاة قل لا يكاد يوجد فهو عز يزو أوليته الاحسان أو صلته اليه ومعنى
 البيت واضح وهو مضمون سابقه على عكس ترتيبه إلا أن الاول أفاد أنه صلى الله عليه وسلم
 حصل على الامرين فيه وأفاد بهذا الانباء عن عظم شأن ذنك الامرين فكان لكل معنى

﴿وَأصل﴾ قصة الاسراء التي عقد الناظم فيها هذه الاميات ثابت نص الكتاب قال جل
 ثناؤه سبحانه الذي أسرى بعبد له ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله
 لغيره من آياتنا وفي الصحيح عن ثابت البناني عن أنس بن مالك وهو أحد طريقي في
 رواياتها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق
 الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى آتيت بيت المقدس فربطته
 بالحلقة التي تربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل
 باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بي الى السماء الدنيا
 فاستفتح جبريل فقيل من أنت فقال جبريل قيل من معك قال محمد قيل وقد دعيت اليه قال قد بعثت
 اليه ففزع لنا فاذا بأدم صلى الله عليه وسلم فرحبتني ودعاني بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة
 فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل من معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد
 بعث اليه ففزع فاذا أناباني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما وسلم فرحبا
 بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففزع لنا فاذا أناسوسف
 عليه السلام وآذاهوقد أعطى شطر الحسن فرحبتني ودعاني بخير ثم عرج بنا الى السماء
 الرابعة وذكر مثله فاذا أنابدر يس فرحبتني ودعاني بخير قال الله تعالى ورفعهنا مكانا غاليا
 ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا أنابهرتون فرحبتني ودعاني بخير ثم عرج بنا
 الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا أنابهموسى فرحبتني ودعاني بخير ثم عرج بنا الى السماء
 السابعة فذكر مثله فاذا أنابابراهيم عليه السلام مسندا ظهره الى البيت المعمور وآذاهويدخله
 كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى فاذا أوراقيها كاذان
 الغيبة وإذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله
 يستطيع أن يتعمها من حسنها فأوحى الله الي ما أوحى ففرض على خمسين صلاة في كل يوم وليلة
 فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك علي أمتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله
 التخفيف فان أمتك لا يطيقون ذلك فاني بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي
 فقلت يا ربي حط عن أمتي حط عن خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عنى خمسا قال ان أمتك
 لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال ولم أزل أرجع بين ربي تعالى وبين
 موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم ويلة لكل صلاة عشر فقلت خمسون صلاة
 ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشر او من هم بسئة فلم يعملها لم
 تكب عليه شيئا فان عملها كتبت عليه سئة واحدة قال فنزلت حتى اتهمت الى موسى
 فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت قد
 رجعت الى ربي حتى استحييت منه انتهى قال القاضي عياض رحمه الله لم يأت أحد غير
 ثابت بأصوب من هذا وقد خلط فيه غيره عن أنس تخلط كثيرا اه وقد وقعت في أحاديث
 الاسراء باذات كثيرة ذكرنا ما أشار اليه الناظم منها في شرح أسنانه المتقدمة * واعلم أن
 مذهب معظم السلف والسلمين أن الاسراء بجسده صلى الله عليه وسلم بقطة قال عياض وهو
 الحق وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما وكثير من الصحابة وقيل بالروح مناما ومن جتهم

ما حكو اعن عائشة رضی الله عنها ما قدمت جسدر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي حكاية
 موهونة اذ لم تكن عائشة رضی الله عنها زوجة له صلى الله عليه وسلم زمن الاسراء لانه وقع
 قبل الهجرة قبيل بخمسة أعوام قال عياض وهو الأشبه وقيل قبلها بعام وكانت عائشة
 في الهجرة بنت ثمانية أعوام ولم يدخل بها صلى الله عليه وسلم الا بالمدينة قال عياض وهذا
 كله يوهن المنقول عنها بل الذي يدل عليه صريح قولها أنه يجسده لانكارها أن تكون
 رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها من ما لم تنكره انتهى * تنبيه * وقع للقاضي عياض
 في القول بان الاسراء يجسده صلى الله عليه وسلم بعد ما نسبه جماعة مانصه وهو دليل قول
 عائشة رضی الله عنها انتهى فوقع في الوهم أن المراد بذلك المحكي عنها بقولها ما قدمت جسدر
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترض قوله وهو دليل قول عائشة الخ بقوله كيف يكون
 الاسراء بقطة دليل قول عائشة ما قدمت جسده الشريف الدال على أنه من ما لا يقظة وهذا
 عجيب فهذا سهو منه بل اريب قال الشهاب لا شك أنه وارد وان كلامه لا يتخلو من اشكال
 اه وأنت تعلم أن ليس المراد بقول عائشة ما وهموا فيه ومراده هو قولها بانكار الرؤية
 البصرية كما أوضحه القاضي فله الكمال وفي بعض طرق حديث الاسراء أنه صلى الله
 عليه وسلم قبض على يديه فنودي يا محمد افتح يدك فقال الهى في احدى يدي حسنة أمي
 وفي الاخرى سيئاتهم فنودي يا محمد افتح يدك فقد قبلنا حسناتهم وغفرنا سيئاتهم ولما أراد
 الانصراف قال رب ان لكل قادم من سفره تحفة فما تحفة أمي قال أنا لهم ما عاشوا وأنا لهم
 اذا ماتوا وأنا لهم في القبور وأنا لهم في النشور انتهى فهنيئا لنا بهذه التحفة العظمى وكانت
 لنا بهذا المصطفى المزية الكبرى فحق لنا اظهار كمال السرور والاعلان بالبشارة أداء لحق
 النعمة وكان من أجل الكلام موقعا قوله عقيب هذا

*** بشرى لنا معشر الاسلام ان لنا * من العناية ركا غير منهدم ***

بشرى مصدر بشرته وبشرته مخفقا ومشدد اذا أخبرتة أو لا بما يسره فلا تكون الا في الخير
 ولا تطاق على الاخبار الثاني وأما بشرهم بعذاب أليم فعلى التجوز والمعشر الجماعة والاسلام
 لغة الانقياد وفي الشرع ما تضمنه حديث جبريل الثابت في الصحيحين وفي كونه مرادافا للايمان
 أم لا الكلام الطويل المعروف في أصول الدين وأصول الفقه ووركن الشئ جانبه الأقوى
 ويتجوز به عن العز والمنعة يقال فلان بأوى الى ركن شديد أى الى عز ومنعة والمعنى لما تبين
 من رتبته صلى الله عليه وسلم ماتين وشرح من مقامه وما فضله الله به مما شملته قصة الاسراء
 الذى منه اظهار فضله وتمزيه على كل نبي مرسل وكان من البين أن شرف التبوع يستدعى
 شرف التابع فلا جرم كانت أمة الاجابة وهم معاشر الاسلام جسديرين بالبشرى والسرور
 وحقيقين بالفرح والحمور حيث كان انتسابهم الى ذلك المقام المعظم شأنه الدال ذلك
 الانتساب على كمال عناية الله بهم ولله در الامام الشافعي اذ يقول

وما زادنى شرفا وتبها * وككدت بأخصى أطأ الثريا
 دخولى تحت قولك يا عبادى * وأن صيرت أحمد لى نبيا
 * لى داعا لله داعيتا لطاعته * بأكرم الرسل كأكرم الامم *

دعاساق وداعينا ما يدعون الى الخير والشرف من العقل أو النفس شبه حل أحدهما الانسان
 على احدى الخاتين بالداعى اليها وقد شاغ لفلان داع لكذا اذا كان له باعث من نفسه عليه
 وضعت التكلم مع غيره مراد به معشر الاسلام المتقدم الذين هم أمة الاجابة وضعت الغيبة
 المضاف اليه الطاعة للنبي صلى الله عليه وسلم وبأكرم الخ يتعلق بالفعل بعده والمراد بأكرم
 الرسل هو المراد بالضمير أعاده بالظاهر على خلاف مقتضى الظاهر تصریح بوصفه الذى هو
 سبب وصف أمته بعدد والمعنى لما ساق الله الباعث من أنفسنا الذى هو مناط التكليف
 وهده الى طاعته صلى الله عليه وسلم التى هي طاعة الله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله
 كما معشر الاسلام المحبين المطيعين باجابة أكرم الرسل أكرم الامم قال تعالى كنتم خير أمة
 أخرجت للناس وكذلك جعلناكم أمة وسطا وأما كونه عليه الصلاة والسلام أكرم الرسل
 فما لا يحتاج الى دليل وفي قوله داعينا ايماء لطيف الى سبقية العناية الربانية عن أراد الله
 هدايته وان ما مرز للخارج تابع للقدر السابق وأن كاه ميسر لما خلقه كما صرح به الحديث
 الصحيح هذا ولشيخ الاسلام محمل للبيت تماقرت به معانيه وأسكنت عليه مبانیه فراجع مع
 التأمل لتعلم ما فيه

*** راعت قلوب العدا أبناء بعثته * كنبأة أحفقت غفلا من الغم ***

راعى روعه ونما أفزعه وأل فى العدا حسمية والانباء الاخبار والبعثة بكسر الباء الارسال
 والنبأة الصوت وقيل الخفي وحقت الغم وأحقت أسرع فى الهروب وأحفلها غيرها
 صيرها جافة والغفل جمع غافل والغم اسم جنس مؤنث يطلق على الذكر والأنثى والمعنى أن
 أخبار بعثته صلى الله عليه وسلم التى صدرت من الكهان والنجيين وغيرهم أفزعت قلوب
 الاعادى لديه لما كانوا يسمعون أن دينه سينظر على كل دين وانه يسفه أحلامهم ويبيد
 ضلالهم ويضع المسيف فى رقاب مخالفيه فتحيروا لذلك أشد التحير وهبوا كل مسلك يروونه منجيا
 من أمره متذبذبين لا يدرون أين المقصد النافع كما هو شأن عقل الغم اذا سمعت صوتا فزعوا
 قنقر شذر مذر ولا ت حين مفتر ومصدق قوله حكايات كثيرة تضمنتها كتب السير والحديث
 منها ما فى صحيح البخارى من حديث أبى سفيان حين أرسل اليه هرقل فى ركب من قريش وسأله
 عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبوسفيان فلما فرغ هرقل من قراءة كتاب رسول
 الله صلى الله عليه وسلم الذى بعثه اليه مع دحية وأخرجنا أكثر عنده الخبى وارتفعت الأصوات
 فقلت لأصحابى لقد أمر أمر ابن أبى كبشة يعنى النبي صلى الله عليه وسلم كماه بذلك لأن بعض
 أحداده لانه يسمى أبأ كبشة انه يخافه ملك بنى الاصفى قال أبوسفيان فما زلت موقنا أنه
 سينظر حتى أدخل الله على الاسلام اه وكان ابن الناطور صاحب ايلياء يتحدث أن هرقل
 حين قدم على ايلياء أصبح يوما خيب النفس فقال لبعض بطارقه قد استمكرنا هديتنا وكان
 ينظر فى النجوم فقال رأيت الليلة حين نظرت أن ملك الختان قد ظهر فىن تحت من هذه الامة
 قالوا ليس يتختم الا اليهود فيبئناهم على أمرهم أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان
 يخبرهم عن خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظروه فوجدوه تحتنا وسألوه عن العرب
 فقال يتختمون فقال هرقل هذا ملك هذه الامة قد ظهر ثم كتب لصاحبه برومية نظيره فى العلم

وسار الى حص فأناه كلب صاحبه بما وافق على خروج النبي صلى الله عليه وسلم فجمع هرقل
عظماة الروم وغلق الابواب وقال يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وبنيت ملككم
فتبايعوا هذا النبي فخاصوا حصية حر الوحش الى الابواب فوجدوها قد غلقت فلما رأى
نفرتهم وأيس من ايمانهم قال ردوهم فقال لهم انى قلت مقالتى أخبرها شدتكم على دينكم
وقدر أيت فسجدوا له ورضوا عنه اه وقد تقدم ذكر شئ من ذلك فى أخبار مولده صلى
الله عليه وسلم

ما زال يلقاهم فى كل معتزل * حتى حكوا بالقنا لجماعى وضم

ما زال كلمة دوام وضميرها له عليه السلام وضمير الجمع بعد للعدا وحكوا شامها واول القنا جمع
قناسة وهى الرمح وياؤه سيبية متعلقة بحكوا والوضم ما يوضع عليه اللحم من الخشب ونحوه
ليتوقى به الارض قال الشاعر

ليس براعى ابل ولا غنم * ولا يجزار على ظهر وضم

ويقال للحصير الذليل لحم على وضم على طريقة الاستعارة ومنه يتبين وجه التشبيه فى النظم
والمعنى أن الكفار الذين روعتهم أبناء بعثته صلى الله عليه وسلم شاهدوا ما خافوه وحقهم
ما ظيروا منه من وقع السيف فيهم واصابة الرماح لهم حتى جرعوا كأس المذلة وكسوا لباس
الهوان فصاروا للغاية مذلتهم كاللحم على الوضم وفى اختيار هذا التشبيه للمذلة مناسبة تامه
للتشبيه فى الميت السابق أى كأن نفرة الغنم وفزعها من الصوت غير مانع من استقصاها
ومآ لها أن تكون لجماعى وضم كذلك نفرة الكفار عند سماع بعثته لم يكن نافعاً وما لهم
بعنادهم المذلة والهوان

وذوا الفرار فكادوا يغبطون به * أشلاء شالت مع العقبان والرخم

ودوا وتمنوا والضمير للعدا والفرار مصدر فرّ يفرّ اذا هرب وكاد يفعل كذا قارب ولم يفعل ومن
ثم كان احتجاجها نفياً ونفيها احتجاجاً كما قيل فى قدبحوها وما كادوا يفعلون ولا يخفى ما فيه وأن
المراد بما كادوا الآية تأسيس معنى الاخبار بعسر الامر قبل الفعل كما صرح به فى التسهيل
والعظمة تنى مثل حال المغبوط من غير ارادة زواله وأشلاء جمع شلو بكسر الشين وسكون
اللام وهو العضو من اللحم وأشلاء الانسان أعضاؤه بعد البلاء والتفرق وهم أشلاء فى بنى
فلان أى بقا فافيههم وشالت ارتفعت والعقبان جمع عقاب وهو الطائر المعروف والرخم جمع
رخمة وهو طائر معروف أيضاً ويقال له الأنوق وعشه لا ينال حتى قيل فى المثل أعز من يرض
الأنوق والمعنى أن العدو بسبب ملحقهم من المذلة والهوان تمنوا الفرار والتكوس بالادبار
وذلك من أقب الصفت عند العرب التى بها يتشائمون وبضدها يفخرون قال بشامة بن حرب

النهملى انى لمن معشر أئنى أوائلهم * قول الكفاة الأبن المحامونا

لو كان فى الألف منا واحد فدعوا * من فارس خالهم اياه بعنونا

اذا الكفاة تخوا أن ينالهم * حد الطباة وطمنانهم بأيدنا

وقال قطري بن النعمان المازنى

لا يركن أحد الى الاجام * يوم الوغى متجرفاً لجمام

فلقد أراى الرماح دريئة * من عن عيني مرة وأماحى
ومن تتبع وقائع العرب وأيامها علم يقيناً أن الموت عندهم أهون من الفرار وأنه من السمات
المؤسسة للعار وأن الموت عندهم فى المعارك هو الحياة كما قال الحصين بن الحمام
تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد * لنفسى حياة مثل أن أتقدما

فما حملهم على تمنيه مع عدم الفوز به إلا الهوان الأعظم وبعض الشرا أهون من بعض فى
حكاية التمنى عنهم إشارة الى شدة ملحقهم من المذلة والخطيطة وكفى أنه بلغهم الحال الى تنى
عدم البقاء على تلك الحالة ولو بالقتل كما أشار اليه فكادوا الخ أى أنهم غبطوا الأموال منهم
الذين طارت العقبان والرخم بأعضائهم ولا يخفى ما فى ذلك من الاستبعاد اللطيف اذ كان
بصدد الاخبار عما لحق الاعداء من المذلة فأومأ الى أن ذلك مختص بالأحياء عنهم أما من سبق
اليه السيف فقد صار نهبه الطيور وفى عنوان جمع الكثرة فى العقبان ايماء الى كثرة هذا
النوع فاذا كانت حالة أعدائه المراتع بعينته ما بين حتى فى قيد الهوان وما بين ميت صار
نهبه للرخم والعقبان فلهذا الناظم ما أبدع لطائفه وهو مأخوذ من قول أبى الطيب

يطمع الطير فيهم طول أكلهم * حتى تكاد على أحيائهم تقع

تخصى الليالى ولا يدرون عدتها * ما لم تسكن من ليالى الأشهر الحرم

تمضى بمعنى تذهب والليالى جمع واحد ليلة ولما كان أصل التاريخ الليل اعتبرت الليالى فى
الاستعمال مراد بها ما يشمل أيامها وفى عنوان الجمع ايماء الى ذلك لتوسط الأيام بين الليالى
وفيه أيضاً تنبيه على شدة الروع والخوف وأنهم لا يأمنون فى الاوقات التى شأنها السكون
والراحة فكيف الحال فى أوقات النهار والدراية والعلم بمعنى والعدة العدد والأشهر الحرم
ذو القعدة والحجة والمحرم ورجب وسببت حرماً لحرمة القتال فيها فى الاسلام وكذا فى
الجاهلية عند عامة العرب الا حثماً وطبائفاً فهما يستحلانها ومن ثم كان صاحب النسيء يقول
حرماً عليكم القتال فى هذه الأشهر الحرم الا دماء المحلين ومعنى البيت أن المشركين لشدة
ماداخل قلوبهم وخامر نفوسهم وشغل بواطنهم من الرعب والفرع من أهوال مواقع قتال
العصابة رضى الله تعالى عنهم اتقى عنهم الادراك حتى كأنهم لا يدركون أول المدركات وهو
عدد الأيام الذى يستوى فى العلم به التنبيه والغنى لما الظن باهمال مشاعرهم واقامة
مواسمهم المنوطة بتعيين الأيام وتعطيل سائر ضرورياتهم والروع اذا استولى على القلب حجب
الادراك وأثبت شبهة الوله وحدير الافكار وربما تقاوم أمره حتى يعقبه الموت وقوله ما لم
تسكن الخ يعنى به أنهم اذا آمنوا من الصولة والدفاع فى تلك الأشهر وطمأننت قلوبهم بعض
الاطمئنان رجح اليهم ادراكهم قنهم والمعرفة الايام وعددها وفيه ايماء لطيف الى أنهم
لا يرجعون الى الادراك الكلى لما يتوقعونه من عود الأمر بعد انقضاء تلك الايام بل هذه
الحالة عليهم أشد كما هو بديهى هذا وتحرى القتال فى الأشهر الحرم كان من عهد ابراهيم
واسمعىل عليهما السلام وذلك لما دعا ابراهيم عليه السلام لذرته بمكة اذ كانوا اباد
غير ذرى زرع أن يجعل أئمة من الناس تهوى اليهم فكان فيما فرض على الناس من حج
البيت قوام لمصلحتهم ومعايشهم ثم جعل الأشهر الحرم أربعة ثلاثة سردا وواحد افرادا وهو

رجب أما الثلاثة فللحج واجواردين الى مكة وصادرين عنها شهر اقبل شهر الحج وشهر بعده
 قدر ما يصل الركب من أقصى بلاد العرب ثم يرجع وأما رجب فللعمارة بأمنون فيه مقبلين
 وراجعين نصف شهر للاقبال ونصفه للرجوع اذ لا تكون العمرة من أقصى بلاد العرب كما
 يكون الحج وأقصى بلاد المعتمرين خمسة عشر يوماً فكانت الاقوات تأتيهم في المواسم أبقى هذا
 الأمر من ملة ابراهيم الى أن جاء الاسلام فكان القتال فيه محرماً ما صدر من الاسلام ثم ما حثه
 آية السيف وبقيت حرمة الأشهر الحرم لم تنسخ قال الله تعالى منها أربع حرم فلا تظلموا
 فيهن أنفسكم فتمت حرمتها باق وان أبيع القتال فيها وقدروى عن عطاء أن تحريم القتال
 فيها حكم ثابت لم ينسخ كذا في الروض الأنف

كأنما الدين نيف حل ساحتهم * بكل قرم الى لحم العدا قرم *

حل بالمكان يحل بالضم نزل والقرم بكسر الراء السيد وأصله من أقرمت البعير فهو قرم
 اذا أكرمته ولم تحمل عليه شيئاً والقرم بكسر الراء صفة من قرم الى اللحم أى اشتهاه وضمير
 الجمع لما دلت عليه الضمائر قبل وهم العدا والمعنى كأن دين الاسلام لما نزل بساحة ديار
 العدا من الكفار ضيف بعشر من السادة كل منهم يشتمى لحوم العدا حل بديارهم وهم
 أقرى الناس للضيف وأبعد من معرفة اللوم فلا جرم يقولون نيفهم خصوصاً اذا كان سيدياً
 ما دنتهم به والمراد التلميح بسرعة وقه سهام الاسلام فيهم وسهولة استئصالهم حتى كأنه أمر
 وقع عن طيب أنفسهم بل وقع لتشييد مكارمهم المألوفة وطباعهم المعروفة كأن لم يكن موقع دفاع
 ولا منظمة قراع وفيه استمتاع بجمع نوع العرب بذلك الوصف الذى خصهم الله به سواء فيه
 مسلمهم وكافرهم هذا ولشيخ الاسلام في شرح البيت وما قبله شمل ردى وكلام عند العارفى
 غير مرضى فراجعها ان شئت

يبحر ببحر خميس فوق ساجحة * يرمى بروج من الأبطال ملتطم *

يبحر يقود وضميره للنبي صلى الله عليه وسلم وأولى الدين وهو أقرب وأرشق معنى كاسمياً فى بيان
 المعنى ان شاء الله والخميس الجيش سمي به لانه خميس مقدمة وقلب وميمنة وميسرة وساق
 وازافة البحر اليه من اضافة المشبه به الى المشبه وساجحة وصف للفرس من اديه الخفس يقال
 فرس ساجح اذا امتد به للجرى وهو مأخوذ من السباحة فى الماء بمعنى العوم ولا يخفى ما فى التركيب
 من الغرابة اذ شأن البحر السج فيه وكونه فوق الساجحة من المستغرب والأبطال جمع بطل
 بالتحريك وهو الرجل الشجاع والتظام الامواج ضرب بعضها ببعض * والمعنى ان الدين يقود
 الى الكفار جيشاً كالبحر فى اتساعه وعظم أهواله متعاقة ابطاله فى الاقدام تعاقب أمواج
 البحر تحملهم ساجحة أى جنبها الشامل لاوحدة والتعدد المراد هنا ولا بد من الحمل على
 التغليب ويقرب أن ساجحة مستعار للعزيمة النافذة التى يعقبها الفعل فيبقى مدلول وحدة اللفظ
 على ظاهره والنسبة الى الجميع كذلك والمعنى أن ذلك الخفس مع كثرتهم واتساعهم محمول لعزيمة
 واحدة وذلك مما يوجب شدة قوته ونفوذ شأنه بحيث ان القلة مع اتحاد العزيمة لا تقابلها
 الاكثره مع تعدد العزائم كما هو الشأن فى غزواته صلى الله عليه وسلم ومن هنا ورد الخ على
 الاجتماع وعدم التفرق ووجاء عيد الله مع الجماعة ويؤيد هذا الحمل نسبة الجر الى الدين

المفيد أن ذلك الجيش لا محرك له الا الدين وأن تكون كلمة الله هى العليا والباعث اذا كان
 دينياً كان أشد وحدة وأبعد شئ عن التفرق ومن ثم كان مركز الاجتماع المأمور به فى قوله
 واعتمه هو بحبل الله جميعاً واختيار صيغة المضارع للدلالة على التجدد على معنى أن ذلك الجرح
 يتجدد مرة بعد أخرى

من كل منتدب لله محتسب * يسطو بمسائل للكفر مصطم *

بان للأبطال المنتدب اسم فاعل انتدب للامر أجاب اليه وهو مطاوع عن يده اليه اذ ادعاه والله
 متعلق به على تقدير مضاف أى لدعاء الله ومحتسب صفة لمنتدب من احتسب فعلاقته وما ذكره
 ومتعلقه معتبر نظير الاول والسطو القهر بالبطش والمستاصل القالع يقال استأصله فلعنه
 وللكفر مفعوله والمصطم من الصلم بمعنى القطع أو قطع الاذن والانف كذا فى القاموس والمعنى
 أن أولئك الأبطال كل منهم مسرع لدعاء الله تعالى ورسوله الى القتال والجهاد محتسب أجره
 فى ذلك عند الله أى جاعل قتاله ذخراً عند الله وذلك بكل اخلاص العمل لله دون شائبة غرض
 آخر وان كل منهم ذوالقاطعة للكفر قاطعة له وحيث كانوا فى الاخلاص بذلك الوصف ولهم
 من الآلات ما شرح حاله فى الظن بمواقفهم فى العدو فهو كالليل المؤيد لما قبله

حتى غدت ملة الاسلام وهى بهم * من بعد غرت بها موصولة الرحم *

حتى غاية ليجر باعتبار ما يقتضيه من التكرار كما تقدمت بمعنى صارت فاعله ملة الاسلام
 وجملة وهى الخ حال هو مناط الفائدة وموصولة الرحم خبر الضمير وبهم ومن بعد متعلق
 به والغربة البعد والرحم القرابة والمعنى ما زال الاسلام يقود الجيش من أولئك الأبطال
 المرتبة بعد المرتبة وسيوفهم ونبا لهم تفعل بالعدا ما تفعل حتى نصر الله الدين وأظهر ملة الاسلام
 وصارت فى حمية من عصائهم ومنعة من عشائهم بعد أن كانت فى جهالة وغر بته وخول
 لعدله الأ نصار ففيه تشبيه حالة الاسلام بحالة من يكون غريباً لقلته عشائره ثم كثرت أهله
 وأقاربه فظهر أمره وعز نصره وذلك لما فى الطباع من حماية الأقارب وذوى الأرحام بذاب عن
 الخوطة الجامعة والقدر المشترك فان اهانة الانسان توجب هواناً وذلة فى عشيرته فالباعث
 على الحماية فيها ما كان غريباً كان أقوى من الباعث لعارض من الاسباب الخارجية
 ومن هذه القضية الطبيعية كان من حكمة الله تعالى أن سبق الايمان برسول الله صلى الله
 عليه وسلم من أبعد الناس نسباً به وتأخر اسلام قومه وبنى عمه فإنه لو بادر أهله بالاسلام لتقبل
 قوم أراذوا والفخر برجل منهم وتغصبوا له عصبية قرابة فلما بادر الأباعد وقتلوا على حبه من
 كان من عشيرتهم ومن غيرهم وهم من العرب المعروفين بشدة الحمية والتعصب علم أن ذلك عن
 بصيرة صادقة وبقين قد تغلغل فى قلوبهم ورهبة من الله أزالته صفة قد كانت كاهنة بنفوسهم
 لا يستطيع ازالتها الا الذى فطر الفطرة الأولى وهو القادر على ما يشاء كذا فى الروض
 الأنف وهو من نقائسه

مكفولة أيدانهم بخير أب * وخير بعل فلم تبتهم ولم تتم *

مكفولة بالنصب حال من الضمير فى موصولة ويجوز رفعه على أنه خبر بان والكفالة القيام
 بحق المكفول وضرورياته والأيدى الواو والبعل الزوج وتبتهم بفتح التاء الثانية من يتم الصبي

بالكسر اذا مات أبوه واليتم في الناس من قبل الأب وفي الهاتم من قبل الام وآمت المرأة تميم
اذا خلت عن زوج والمعنى أنملة الاسلام صارت في كفالة أئديه من حناية أولئك الابطال
كفالة لا يتطرقها خلل لأنها فيهم ما بين شفقة الأبوة القاضية طبعاً بحلب الكلال وغيرها المعولة
القاضية يدفع الصائل المريد همتك الحرمة وليس في الطباع البشرية أقوى من هاتين والمزاد
ان حيلة أولئك الابطال حصل منهم لحماية الملة مجموع ما يحصل من حناية الاب والزوج وهذا
معنى كلام الناظم رحمه الله وهو معنى لطيف وتشبيهه غريب وأسلوب عربي فان حناية الحرم
من طبيعة العرب التي عليها يتناضلون وهما يتماجدون يقول الفرزدق

انا للذائد الخافي الذمار وانما * يدافع عن أحسابهم أنا وأوصلي

غير أن في كلام المصنف اشكالا وابها ما أما الأول ففي جعل الكفالة أئديه وهي انما تدوم
بقائمهم في دار الدنيا فاذا انقضوا انقضت كفالتهم وأما الثاني فان المتفرع على أئديه
الكفالة نفي اليتيم والأب في الاستقبال ونفيه في الماضي بوجه أن لا يكون المستقبل كذلك
ويمكن الجواب عن الأول بأنه لما كان أهل الصدر الأول هم الذين أظهروا الاسلام وناصلوا
عليه حتى عز أمره وارتفع شأنه كان كل ذاب عنه بعد تبعاله هم سالكوا مسالكهم فماتة
المتأخر المباثر رأساً بحمايتهم وتشديد لها فضعف أن تلك الكفالة دائمة مادام الاسلام قائماً
ولما كان السبب في أصل الحماية تشبيه الأبوة والمعولة وهو منقطع جاء التعبير بالماضي في
محلّه وهو الجواب عن الثاني وفي ذلك إيحاء خفي إلى أن حناية من بعد العصر الأول دون حنانيته
وهكذا يضعف الامر بتضاعف القرون حتى يعود الاسلام إلى غربته كما جاء في
الحديث الشريف فافهمه

هم الجبال فصل عنهم بصادمهم * ماذا رأى منهم في كل مصطدم

سان لحال أولئك الابطال وشرح لواقعهم على طريق الاجمال أتى به على طريقة
الاستشاف حوايلها بما يقتضيه السابق من تشوف نفس السامع إلى معرفتهم ولو بالسمة
والوصف فالضمير إلى الابطال والجبال جمع جبل وهو معروف الحقيقة استعبرنا للابطال
لشدّة وطأتهم على الكفار وقوة ثباتهم في الحروب بحيث انهم في الوقوف في المعارك كأنهم
الجبال الرواسي أو لكونهم يفتوا الاسلام بعد تزلزله كما ثبتت الارض بالجبال بعد أن كانت
تمتدّ بفصل الاستقرار عليها والاتساع بما فيها والتركيب من قبيل هو البطل المحامي أي
هم من سمعت بهم وعرفت حالهم في الحروب حالة الثابت الذي لا يتزعزع والمصادم اسم فاعل
من صادمه اذا ضاربه وقارعه والمصطدم محل الفعل والقاء في فصل فصحة أي اذا
أردت معرفة صدق ما ذكرناه فسل الخ وقوله ماذا الخ جملة استهفها مية مرادها التهوريل
والتنفخيم والمعنى أنهم كالجبال في شدة الوطأة والثبات فسل من وقف لهم في المعارك وذاق
طعم بأسهم فانه علم بذلك اذ قد شاهد منهم في كل معترك أمرها ثلا وكونه في الكل شاهد
على أنه الديدن حتى لا يكون اتفاقاً في بعض المواقع هذا ما يظهر لي في معنى البيت وفيه نوع
تلوهن التعقيد ثم المراد من السؤال استطلاع أخبارهم من التواريخ المشهورة وبعضهم انزل
مطالعة منارة السؤال والاخبار المضمته بها منزلة الخبر عنه وهو تجوز مشهور مستعمل وقصر

السؤال بالمصادم لانه الاعلم بحال مصادمه لما اذاقه من طعم بأسه قال أحد بني سعد
فلوسأت سراة القوم سلمى * على أن قد تلون بي زمانى
نحبرها ذوو وأحساب قوى * وأعدائى فكل قد بلانى
وأنت تعلم أن النسكات البلاغية والتعليقات الادبية مقامها مقام الخطابة الشعرية المبقية
على التحسين والاعتبارات اللطيفة لا تقبل التحقيق المنوط بمقام الاستدلال والوقوف على
الحقيقة وبالفتا تلك الى ذلك تعلم ما وقع لشيخ الاسلام هنا

وسل حنيننا وسل يدراوسل أحدا * فصول حتف لهم أدهى من الوخم

حنين وادقريب من الطائف بينهما وبين مكة بضعة عشر ميلاً يسمى بذلك باسم حنين بن قاتبة
ابن مهيا تيل كذا ذكر السهيلي عن البكري ويسمى أيضاً أوطاس من وطست الشئ اذا كدرته
وأثرت فيه قاله السهيلي يؤنث لفظه ويمنع من الصرف ان أربيه البقعة وعليه قول بعضهم

نصر وانبيهم وشدوا أزره * بحنين يوم تواكل الابطال

ويدكر ويصرف باعتبار المحل وعليه جاء قوله جبل اسمه يوم حنين ويدراسم بئر بينه وبين
المدينة من طريق مكة ثمانية وعشرون فرسخاً حفرها رجل من غفار اسمه يدرو قبيل هو يدرو
ابن قريش بن يثرب بن النضر الذي سميت قريش به قاله السهيلي وأحد جبل بالمدينة سمي
بهذا الاسم لتوحدته وانقطاعه عن جبال آخر هناك وورد فيه قوله صلى الله عليه وسلم هذا
جبل يحينا ونحبه وروى أنه يوم القمامة حين تبس الجبال بساقتكون هباء منبهاً يكون عند
باب الجنة من داخلها وحب النبي له بحب أهله وهم الانصار وقيل بحب اسمه المشتق من
الأخذية وفيه قبرهرون أخى موسى كذا في الروض للسهيلي واعادة العامل في العطف مع
كل ايماء الى استقلال كل من الوقائع الثلاث في افادة الجواب المحصل للمراد وفصول جمع
فصل مراد به الضرب والنوع على التجوز وهو المفعول الثاني للسؤال أى المسؤل عنه
والحنف الموت ولهم صفة للحنف وضميره للعدا وهم الكفار وأدهى صيغة تفضيل من
دهاء الامر أصابها بدهامة وهى الأمر العظيم والوخم مرادف للوباء وهو فساد جوهر الهواء
الذى هو مادة الروح ومددته فحدث عنه الامراض الوابئة المختلفة تبعاً لاختلاف تأثير
التعفن الموجب للفساد في أحد الأجزاء الاربعية واذا كان السبب فساد الهواء تكون
أعراضه عاتية والمعنى سل تلك الأماكن التي هي مواقع مشهورة لبعض حروب الصحابة رضي
الله عنهم عن أنواع الخوف التي لحقت الكفار بسبب تلك الحروب ما بين طعن بالنبال وضرب
بالسيوف وغيرهما مما عم جميعهم أمره حتى كان عليهم أدهى وأعظم من الوباء اذ قد يتجو
منه من لم يكن مزاجه قابلاً للانفعال أو يتجزع عنه بما يقع في تأثيره من الأدوية والتمائم
بخلاف وقع الصحابة فانه لا تقع فيه عمدة غير تيممة الاسلام وسؤال الاماكن والديار أمر مشهور
مستعذب في الأدبيات وزاده الناظم هنا حسناً بوصف الحنف بكونه أدهى من الوخم فان
فساد الهواء أعلق بالأمكنة كما هو معلوم واقبصار الناظم على هذه الوقائع لانها أشهر غزواته
صلى الله عليه وسلم وبها ظهر عز الاسلام ونزل في شأنها الآيات القرآنية وترتيبها في الوجود
على غير ترتيب النظم * فأولها بدر * كانت يوم الجمعة السابع عشر من رمضان عام اثنين من

الهمجرة وكانوا على غير تواعد للحرب كما قال تعالى ولو تواعدتم لآخلفتم في الميعاد ولكن
لمقتضى الله أمرها كان مقعولا وانما القصد لرسل صلى الله عليه وسلم والصحابة رضی الله
عنهم وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر أو أربع عشرة الثعرب لغير قريش قدمها أبو سفيان من
الشام وأعلم صلى الله عليه وسلم أن الكفار يخرجون من مكة لحمايتها ووعدوه الله أن يظفروها
بالعبر وأنصروها فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفراء أرسل بسبعين بن عمرو الجهني
وعدي بن أبي الزغباء يتحسان أخبار العبر فلا يحمل أعقبهما فيه أبو سفيان فوجد بعبر
عبرهما فقتله فوجد فيه نواة فقال هذا تمر يثرب فعدل إلى طريق الساحل وقد كان أنذر
بمخروجه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين إليه فإرسل إلى أهل مكة يستجدهم لحماية
العبر ثم لما علم أن قد نجا بعبره لا أخذه طريق الساحل أرسل إلى قومه أن يرجعوا فقال
أبو جهل عند ذلك وقد حاول أصحابه على أن يرجع فأبى وقال لا ترجع حتى نصل بدر فنعيم به
ونحمر فتسمع بنا القبايل وبرهبنا الناس وكان عدد المسلمين رضي الله عنهم ثلاثمائة وثلاثة
عشر أو أربع عشرة وعدد المشركين ألفا وتسعمائة ولما علم المسلمون بنجاة العبر استشارهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم في اللحاق بالقوم ومقاتلتهم فتسكن المهاجرون وانما أراد النبي
صلى الله عليه وسلم ما عند الأنصار فقال المقداد يا رسول الله لا نقول كما قالت بنو أمية
اذهب أنت وربك فقلنا اننا هنا قاعدون ولكن انما قاتلون فسر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذلك وقال امضوا على اسم الله تعالى وأخبرهم بما وعد الله تعالى من النصر على القوم
فساروا نحو بدر ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم دون ماء بدر فقال بعض الصحابة يا رسول
الله نزل هذا المنزل بوحى أم هو الرأي والمكيدة فقال بل هو الرأي فقال يا رسول الله الرأي
ان نقطع القوم عن الماء فنزل وراءه فهدروا ولا يردون وذلك عون عليهم ففعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان من نعم الله على المسلمين أن نزل المطر فلبد طريقتهم وثبت أقدامهم لان
ذلك الموضع تسوخ فيه الأرجل ويصعب فيه المشي قال الله تعالى مذكر الهذه المنية وينزل
عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به
الأقدام ولما اجتمع القوم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الدعاء والاجتهاد فيه حتى
سقط رداؤه عن منكبه وجعل أبو بكر يقول يا رسول الله بعض مناشدتك ربك فانه منجزك
ما وعدك ومن دعائه صلى الله عليه وسلم يومئذ وهو ساجد ياحي يا قيوم رحمتك أستغيث ثم تلا
صلى الله عليه وسلم سيهزم الجمع ويولون الأبر وقال هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فأخطأ
أحد منهم المصرع الذي عين له وتلك من آيات بدر ومنها أنه عليه السلام رمى بكف من تراب
في وجوه القوم وقال شأهت الوجوه فما عادت أحد الا وقد أصابت عينيه قال الله تعالى وما
رمىتم اذ رميت ولكن الله رمى ومنها قتال الملائكة ذلك اليوم فان كثيرا من الصحابة رضی الله
عنهم يريد أن يضرب الكافر فيسبق ضربته زوال رأسه بضرب الملك وكانوا في غير هذه الواقعة
يخضرون ولا يقا تلون على المختار من الاقوال ومنها أن عكاشة اندق حسامه فناول صلى الله
عليه وسلم عودا ليقا تل به فعاد في يده سيفا صقيلا ولقد فاز أهل بدر بأكرم المنزاة في الجارى
من حديث رفاعه من رافع وكان أبو بكر يقول يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

ما تعدون أهل بدر فيكم قال من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها قال كذلك من شهد بدر من
الملائكة وفيه من حديث علي حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي مرثد الزبير بن
العوام رضي الله عنهم في طلب المرأة التي حملت كتاب حاطب بن أبي بلتعة يخبر كفار قريش
بعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي آخر الحديث قال عمر رضي الله عنه دعني يا رسول
الله فلا ضرب عنقه فقال أليس من أهل بدر لعل الله الطاع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد
وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم فدمعت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم قال شيخ
الاسلام ومن آيات بدر الباقية ما كنت أسمع من غير واحد من الحجاج أنهم ان اجتازوا بذلك
الموضع يسمعون كهمة طبل ملك وربما أنكرت ذلك أو تأولته بأن الموضع صلب يستجيب
لخواقر الدواب فيقال لي انه دهمس رمل وغالب ما يسير في ذلك الابل وأخفاها لا تصوت
في الارض الصلبة فكيف بالمال ولما من الله على بالوصول الى ذلك الموضع المشرف اتفق أن
نزلت عن الراحلة أمشي وقد كان في يدي عود طويل من شجر السعدان المسمى بأم غيلان وقد
ذسيت ذلك الخبر فيارغني وأنا أسير في الهاجرة الا وواحد من عبدة الاعراب الجمالين الذين
كانوا معنا يقول أتسمعون الطبل فأخذتني لما سمعت كلامه فتعبرية وتذكرت ما كنت
أخبرت به فسمعت الطبل سمعا حقيقا وذلك عن ناحية اليمن ونحن سائرون الى مكة المشرفة
ثم نزلنا بيدر المذكور فطلت أسمع ذلك الصوت بوحى أجمع المرة بعد المرة وقد أخبرت أن
ذلك الصوت لا يسمعه كل أحد من الناس فله المنة والفضل انتهى **تمت** قال السهيلي في
الروض الأنف اجتمع صلى الله عليه وسلم في الدعاء لانه رأى الملائكة تختم في القتال وجبريل
على تماياه الغبار وأنصار الله يخوضون عمار الموت والجهاد على ضربين جهاد بالسيف وجهاد
بالدعاء ومن سنة الامام أن يكون من وراء الجند لا يقا تل معهم فكان الشكل في اجتهاد ووجدت
ولم يكن يريح نفسه من أحد الجند والجهادين انتهى
الشانية غزوة أحد كانت في شوال عام ثلاث من الهجرة وذلك أن قريشا لما رجعوا
من بدر على الحالة الخبيسة قالوا لابي سفيان ومن كان له في العير مال ان محمد اقتل خياركم
فأعينونا بهذا المال لعلنا ندرك بعض الثأر ففعلوا وفيهم نزل قوله تعالى ان الذين كفروا
ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله الآية واجتمعت قريش باحبابيها ومن أطاعها من
كاتبه وغيرهم وحلوا معهم النساء ثلاثا بقر وأهملوا قريشا من المدة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اني رأيت والله خير ارايت بقرات تبيع ورأيت في ذباب سفي ثلثا ورأيت أني أدخلت يدي في
درع حصينة فأما البقر فناس من أصحابي يقتلون وأما اللثم فرجل من أهل بيتي يقتل والدرع
المدنية ثم قال صلى الله عليه وسلم فان رأيتهم أقبحها وندعهم حيث هم فان أقاموا أقاموا بشر
مقام وان نزلوا علينا قاتلناهم فيها فاختلف آراء الصحابة في ذلك ولا زال من أحب لقاء الله منهم
فمن فاتهم بدر برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بيته ولبس لأمته وذلك يوم الجمعة بعد
الصلاة فلما خرج صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله استكرهناك ولم يكن لنا ذلك فان شئت
فأقعد فقال صلى الله عليه وسلم ما كان لبي اذ ليس لأمته أن يضعها حتى يقا تل فخرج صلى الله
عليه وسلم في ألف من أصحابه فلما كان بين المدينة وأحد انحزل ابن أبي بثلث الناس من

أطاعه من المنافقين وسار صلى الله عليه وسلم حتى جعل ظهره الى جبل أحد ونهى عن القتال حتى يأمره وأمر صلى الله عليه وسلم على الرماة وهم خسون عبد الله بن جبير وقال انضج الخيل عنما بالنبل لا يأتوننا من خلفنا واثبت مكانك كانت لنا أو علمينا وظاهر صلى الله عليه وسلم بين درعين ودفع اللواء الى مصعب بن عمير وقرش ثلاثة آلاف معهم مائة فارس على ممتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرة مائة من بني جهل وقال صلى الله عليه وسلم من يأخذ هذا السيف يحقه فقام اليه رجال فامسكه عنهم وأعطاه أبا جاتة سماه كالساعدي قال وما حقه يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم أن يضرب به في العدو حتى ينحني فأخذه وكان رضى الله عنه شيئا عا له عصابة حمر اذا اليمس اعلم أنه مقاتل فلبسها وجعل يتختر بين الصفيين فقال صلى الله عليه وسلم انها المشية يبغضها الله الا في هذا الموطن وأبلى في ذلك اليوم بلاء شديدا ووفى بما ضمن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتل حنزة رضى الله عنه في ذلك اليوم قتالا شديدا حتى ضرب به وحشي غلام جبير بن مطعم كان يقذف بالحرية فلا يخطئ قال له جبير حين أراد الخروج ان قتلت حنزة بعني طعنة وكان قتله حنزة رضى الله عنه يوم يدر فانت عتيق وقتل يومئذ حنظلة بن عامر الذي يدعى الغسيل لقوله صلى الله عليه وسلم ان صاحبكم لتغسله الملائكة فاشأنه فقال لزوجته خرج وهو حنوب ثم نصر الله المسلمين فحسوهم بالسيف حتى كسفهوهم عن العسكر وكانت الهزيمة لاشك فيها وأخذ المسلمون دمعوهم فصرخ الشيطان ألا ان محمد اقتل فرجع أول المسلمين واجتلدوا مع آخرهم وانكسفوفا فاصاب منهم العدو وكان يوم بلاء أكرم الله فيه من المسلمين بالشهادة من شاء وكسرت ربا عيته صلى الله عليه وسلم وشج وجهه وكتفتته فجعل يمسح الدم ويقول كيف يقبل قوم خصبوا وجهه بنبيهم فنزل قوله جل اسمه ليس لك من الامر شيء الاية وظهر منه صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم من الشجاعة ما ليس في مقدور البشر رمي عن قوسه حتى اندقت وقل أبي بن خلف لعنه الله وصدق الله مقالا لته صلى الله عليه وسلم فيه أنا أقتلك ان شاء الله وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظاهر فاعد من الجراح وصلى المسلمون خلفه فعودوا وكانت هذه الغزوة ابتلاء للمؤمنين وتحببوا كما قال تعالى ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام بدأوا لها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويحق الكافرين * ومن العجرات الواقعة فيها رده صلى الله عليه وسلم عين قتادة بن النعمان حين أصيبت فكانت أحسن عينه وأحدثها وقد وافر رجل من ذريته على عمر بن عبد العزيز فسأله من أنت فقال

أنا ابن الذي سألت على الخدعينه * فردت بكف المصطفى أيمارد
بفعدت كما كانت لا قول أمرها * فيا حسن ماعين ويا حسن ماخذ

فوصله عمر وأحسن جائرته

الثالثة غزوة حنين * وتسمى غزوة أوطاس باسم الموضع الذي كانت فيه الواقعة من وطست الشيء اذا أثرت فيه والوطيس التنور وفي هذه الغزوة قال صلى الله عليه وسلم الآن حجي الوطيس وذلك حين استعرت الحرب قال السهيلي في الروض الأنف وهذه الكلمة في المثل

لم يسبق اليها صلى الله عليه وسلم كقولها مات حنفة أنفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين وكان رئيس المشركين في هذه الغزوة مالك بن عوف بن سعد النضري وذلك أنه لما سمع فتح مكة اجتمع اليه مع هوازن ثقيف وجشم وسعد بن بكر وناس من بني هلال وحمل الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم وكان معهم دريد بن الصمة الجشمي وكان يومئذ له مائة وستون سنة وقيل مائة وعشرون فلما نزلوا بأوطاس قال دريد بأي موضع أنتم قالوا بأوطاس قال نعم مجال الخيل لا حزن ضرر ولا سهل دهس مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار النساء قالوا مالك ففعل ذلك فقال يا مالك هذا يوم كائن له ما بعده فلم سقت مع الناس المال والعيال قال أردت أن يقابل كل رجل عن ماله وأهله فقال دريد راعي ضأن والله وهل برد المهزم شيء ان كانت لك لم تنفعك الا رجل بسيف أومح وان كانت عليك ففجعت في أهلك ومالك ارجع من معك الى عليا بلادهم ثم الق الصبابة على متون الخيل فان كانت لك الخيل من وراءك وان كانت عليك أحرزتها فإني مالك وقال كبرت وكبر عقلك وكره أن يكون لدريد فيها ذكر ثم قال يا معشر هوازن لتطيعنني أولا تكن علي هذا السيف حتى يخرج من ظهري فقال دريد هذا يوم لم يقنني ولم أشهده ثم قال مالك للناس اذا رأيتوهم فاكسروا جفون سيوفكم وشذوا شدة رجل واحد ويعد عيوننا فأتوه وقد نقرت أوصالهم رعبا فقال ويلكم ماشأ أنكم قالوا إنا رجال لا نضاع على خيول بلق فلم يرده ذلك وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في اثني عشر ألفا عشرة آلاف من أصحابه الذين فتحوا معه مكة وأنسان من أهل مكة واستعمل على مكة عتاب بن أسيد وقد استعار صلى الله عليه وسلم من صفوان بن أمية مائة درع بما يكفيها محمولة له فقال أنصبا يا محمد فقال صلى الله عليه وسلم بل غارية مضمونة حتى تؤذيها اليك فقال ليس بهذا بأس وأعاره وحملها ولما استقبل الناس وادى حنين في عماية الصبح وكان الكفار سبغوا الى الوادي وكنوا في مضايقه فشدوا على المسلمين شدة رجل واحد وهم منحدرين فرجع المسلمون لا يأوى بعضهم على بعض وانحاز صلى الله عليه وسلم ذات اليمين يقول هلم الي أيها الناس ولم يبق معه الا نفر من المهاجرين والانصار منهم العباس رضى الله عنه قال لما رأى صلى الله عليه وسلم الناس لا يلوون على شيء وأنا أخذت بحكمة جلم بغلته البيضاء أمرني أن أصرخ يا معشر الانصار يا معشر أصحاب السمرة فصرخت فأجابوا ليك ليك فيذهب الرجل ليثني بعيره فلا يقدر على ذلك فيقتحم عن بعيره ويأخذ سلاحه ويؤم الصوت حتى اذا اجتمع منهم مائة اقتتلوا فنظر صلى الله عليه وسلم الى القوم فقال الآن حجي الوطيس فوالله ما رجعت الناس من الهزيمة حتى وجدوا الاسارى مكثفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ذلك اليوم قال صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا له عليه بيته فله سلبه ونهى صلى الله عليه وسلم عن قتل المرأة والوليد حين مر بأمرأة قتلتها خالد بن الوليد وحدث ابن اسحق عن أبيه عن جبير بن مطعم قال لقد رأيت قبل هزيمة القوم مثل الجباد الاسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم فنظرت فاذا غملا أسود ممشوث قدملا الوادي لم نسلك أنها الملائكة وفي هذه الغزوة قال صلى الله عليه وسلم أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

ثم جعت اليه صلى الله عليه وسلم سبايا القوم وأموالهم فأمر بها فبعت بالجعر أنه حتى فرغ
صلى الله عليه وسلم من غزوة الطائف ورجع الى الجعر أنه فحقه وقد هوزن بها وقد أسلموا
وقالوا يا رسول الله انا أهل وعشيرة وقد أصابنا ما لا يخفى عليك فادن علينا من الله عليك
وانما في الخطأ عما تك وخالاتك وحضائك الأثني كن يكفلنك واثن نزل بنا هذا مع غيرك
من الملوك لرجونا عطفه فأتت خير المكفولين فقال صلى الله عليه وسلم اختاروا اما النساء
والاولاد أو المال فاختروا السبي فقال صلى الله عليه وسلم ما كان لي ولعبد المطلب فهو لكم
واذا صلينا الظهر فقولوا انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسلمين والمسلمين
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبنائنا ونسائنا فقولوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أما ما كان لي ولعبد المطلب فهو لكم فقال المهاجرون وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال الانصار وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلت ناس فقال صلى
الله عليه وسلم أما من تسلت فله بكل انسان ست فرائض من أول ما نبي الله علينا فردوا الى
الناس أبناءهم ونساءهم ثم قسم صلى الله عليه وسلم المال في الناس ولم يعط الانصار شيئا
فوجد بعضهم في نفسه من ذلك فجمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا معشر الانصار
أما ترضون أن يذهب الناس بالنساء والبعير وتذهبون برسول الله صلى الله عليه وسلم الى
رحابكم لو سلك الناس وادبا أو شعبا لساكت وأدى الانصار وأشعبها الانصار شعار
والناس دنار اه من نقل شيخ الاسلام وفيه أمر ان الأول ظاهره أن طاب هو وزن المتن كان
قبل قسم السبايا والذي في الروض الأنف أنه كان بعد ومن ثم استطاب صلى الله عليه وسلم
نفوس القوم وعرض من لم تطب نفسه ولو كان قبل القسم لكان له الخيار بين القداء والقيل
والمن والاسترقاق وهو الصواب فيصرف ظاهر كلام شيخ الاسلام اليه * الثاني أن ظاهر قوله
ثم قسم صلى الله عليه وسلم المال الخ أنه قسم رأس الغنمة ومن ثم تكلم الانصار وقالوا يعطى
صناديد العرب ولا يعطينا وأسبافنا تقطر من دماهم ومن ثم استطاب صلى الله عليه وسلم
نفوسهم بجمع قوتهم به وألان لهم القول وأظهر لهم مزايائهم وأنهم أعلق الناس به كما
استطاب نفوسهم في رد السبايا ولعل هذا هو الصواب في تحمل فعله صلى الله عليه وسلم وقال
السهيلى في الروض الأنف ان للعلماء في ذلك ثلاثة أقوال أحدها أنه أعطاهم من خمس
الخمس وهذا مردود لان خمس الخمس ملك له ولا كلام لأحد فيه الثاني أنه خصهم بالغنمة وأن
ذلك خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم لقول الله قل الانفال لله والرسول وهو مردود بنسخ
هذه الآية غير أن بعض العلماء احتج لهذا القول بأن الانصار لما انزموا يوم حنين فأيد الله
رسوله وأمدته بجلائسته فلم يرجعوا حتى كان الفتح رد الله أمر معاينهما الى رسوله من أجل
ذلك قلت ولا يخفى على كل ذى لب فسادها فان الهزيمة لا توجب منع استحقاق الغنمة ولو كان
الأمر كذلك لما احتاج صلى الله عليه وسلم الى استعطاية نفوسهم وذلك بين القول الثالث
وهو الذى اختاره أبو عبيد أن أعطاهم كان من الخمس وأنه جائز للإمام أن يصرفه عن
الاصناف المذكورة في الآية حيث يرى أن فيه مصلحة للمسلمين اه وفيه أنه لو كان كذلك لما

كان قول الانصار مقبولا اذ لم يدلوافى الاستحقاق بصفة أحد الاصناف المذكورين في آية
الخمس كما هو بين ولما استطاب نفوسهم صلى الله عليه وسلم فالوجه ما ذكرناه ان شاء الله
والله أعلم

* المصدرى البيض حمر بعد ما وردت * من العداكل مسود من اللحم *
الاصدار الارجاع يقال صدر عن الماء اذا رجع عنه وأصدره غيره أرجعه وذلك بعد ربه
منه واسم المجرى الصادر والمزيد المصدر والجمع المصدرين حذف تونه للاضافة ونصبه بتقدير
العناية تقسير الصفة العناية التي تتوعت منها فصول وأنواع المقاتلة كما أشيرنا اليه قبل
والبيض جمع الأبيض مراد به هنا السيف والحمر جمع الأحمر ونصبه على الحال والورود
ضد الصدور واللحم جمع لمة وهي الشعر المجاوز شحمة الأذن فاذا بلغ المتسكين فهو الجملة والمعنى
أعنى بالموصوفين بتنويح الختوف في تلك الوقائع الذين يصدرون السويق البيض حمران
دم الكفار بعد ما وردت أعناقهم وفعلت في لمهم ورؤسهم ما هو فعلها وفي اختيار الاصدار
والورود ايماء الى أن السويق رغبة في دم أعدائهم بحيث تردوا وان لم يوردوا أنها الشدة رغبتهما
فيها لا تصدر عنهن بنفسها ولا ترجع الا بالاصدار ولا يخفى ما في البيت من التضاد ومراعاة
النظير وهو مأخوذ من قول عمرو بن كلثوم التعلبي
أباهند فلان يجعل علينا * وأنظرنا نخبرك اليقيننا
فأنا نورد الرايات بيضا * ونصدرهن حمر اقدر وينا

* والكاتبين بسمرا خطما تركت * أفلامهم حرف جسم غير منجم *
الكاتبين جمع كاتب من كتب بمعنى نخط مستعار هنا التخطيط الاجسام بأسنة الرماح والسمر
جمع أسمر بمعنى الرمح والخط بمعنى الكتاب والمراد هنا موضع بالجماعة تجلب اليه الرماح
من الهند فتقوم واليه تنسب الرماح الخطية ففيه تورية مرشحة والاقلام جمع قلم الكتاب
مستعار هنا للأسنة وحرف كل شئ طرفه وسهيت حروف التهجي بذلك لانها تقع اطراف
الكلمات والجسم في المتعارف هو الجوهر المركب المعتد في الجهات ومنجم اسم فاعل من
انجم مطاوع أعجم بمعنى أزال عنه العجمة فالهمزة للسلب والمعنى والموقعين سهامهم في جميع
أطراف أجسام العدا موقع الاعجام في حروف التهجي بحيث انه ما أصابت سهامهم الا
مقاصدهم بالرمي ولم تكن الاصابة اتفاقية وذلك شأن الكاتب المعجم للحروف ولا يخفى
حسن استعارة الكتابة لفعلهم وترشيحها بعلامات الكتابة مع حسن الايهام في الخط والحرف
ومن معنى البيت قول أبي العشائر
أأنا العشائر لورأيت مواقعى * والخيل من تحت الأسنه تخط
لرأيت منها ما تخط يد الوغى * والبيض تشكل والأسنة تنقط

* وان قام في جامع الهجاء خاطهم * تصامت عنه اذنا صم الصمم *
الجامع المكان يجتمع فيه القوم يدعوههم لذلك أمر يعم ومنه جامع الصلاة والهجاء الحرب
والخاطب والخطيب من خطب كطلب خطبة بالصم وهي كلمات تتضمن طلب شئ فان كان

المطلوب نكاح امرأة كسرت الخاء والضهير للحياة رضى الله عنهم والتصامم تطلب الصمم
 واطهاره عن ليس به صمم واذنا تنمية أذن والأسناد مجازى والصحة بكسر الصاد وتشديد الميم
 الشجاع ومنه دريد بن الصمة ووجه صمم والمعنى أنه اذا قام في ميدان الحرب واحد من الصحابة
 رضى الله عنهم يدعوا الكفار الى البراز والمقاتلة بما يثير الحمية ويبعث النفوس الائمة أعرض
 عنه أن يجمع الشجعان من الكفار وأظهر من نفسه الصمم عن سماع كلامه ورضى بجمعة
 التقاعد لما أفلوهم من الرعب وقاسوه من مواقعهم المشروحة قبل ولا يخفى حسن
 استعارة الخطمة للدعاء الى البراز يجامع أن كلاً شأنه التأثير

شأكى السلاح لهم سيما تميزهم * والورد يمتاز بالسما من السلم *

شأكى السلاح تامه أو حاده وهو من إضافة الصفة الى الموصوف أى السلاح التام أو الخاد
 والسما بالقصر والمد العلامة والتميز البيان والايضاح والورد الزهر المعروف والسلم شجر
 له شوك يشابه شجر الورد والمعنى أن السلاح التام الخاد مختص بالصحابة رضى الله عنهم حتى
 صار علامة لهم يمتازون بها عن غيرهم من الكفار واختصاصه بهم من حيث ظهور أثره فان
 المراد من حمل السلاح العجل به والاطهار بسببه وترتب الغلبة على فعله وقد تقدم من حال
 الصحابة رضى الله عنهم في الوقائع المتعددة ما دل على أن السلاح يدهم سلاح وأن وجوده يبد
 الكفار كالعدم وقد قيل

كل السلاح جميع الناس تحمله * وليس كل ذوات الخيل السبح

وقيل وعادة السيف أن يزهر بجوهره * وليس يعجل الا في بدي بظلم

وحمل السلاح بدون عمل يرويه مشقة وشغلا بلا فائدة قال عمرو بن معد يكرب

علام تقول الرمح يتقل عاتق * اذا نالم أظعن اذا الخيل كرت

وشرح المثل في عجز البيت بين جاشرخناه

تهدى البدر يباح النصر نثرهم * فتحسب الزهر في الأكام كل كى *

تهدى بضم التاء مضارع أهدي اليه هدية وهى اسم ما يعطى والنصر التأيد وفي كليات
 الكفوى هو أخص من المعونة لاختصاصه برفع الضراء والنصر الراشحة الطيبة والأكام
 جمع كم بكسر الكاف وهو وغاء الزهر والكفى الشجاع المتكفى فى سلاحه واستعار الرياح
 للحاديت يجامع أن كلامهما يصور البعيد قريبا والفسر لمدحهم بأفعالهم الجميلة ومواقعهم
 الخلية تجامع التناذال النفس وارتياحها بكل والتشبيه على مقتضى الف العادة وتمثيل المعنى
 بالمحسوس كقوله جل اسمه مثل نوره كشكاة الآية والافار تباح النفس بالأحاديث الجميلة
 أشد من ارتياحها بالروح الطيبة ولقد أحسن من قال

وليس فديم المسلك ما تجدونه * ولكنه ذلك الثناء الخلد

وقال أبو الطيب فى سيف الدولة

ألذ من الصمء بالماء ذكره * وأحسن من يسر تلقاه معدم

وفى قوله فتحسب الزهر الخ تشبيهه معكوس ان كان اعرا به على ترتيبه فافهمه ومعنى البيت

واضح مما بيناه واختبار صيغة المضارع للدلالة على التجدد كما لا يخفى

* كأنهم فى ظهور الخيل نبت ربا * من شدة الخزم لامن شدة الخزم *

انظهور جمع ظهر خسلاف البطن والنبت النبات والرباجع ربوة بالضم والفتح وهى ما ارتفع
 من الارض والشدة بكسر الشين القوة من شدة الله أسره قواه والخزم ضبط الامر والاخذ
 فيه بالثقة والشدة بالفتح وأظنه مولد من شدة أو ثقته والخزم جمع خزام ككتب جمع كتاب
 وهو هنا ما يشبه سروج الخيل ونحوها والمعنى أن الفرسان من الصحابة رضى الله عنهم فى
 حال القتال ثابتون فى ظهور وخيلهم ثباتا لا تغيره صواعق الحرب وبوارقها كأنما هم فى تلك
 الحالة نبت فى ربالا تغيره السجول ولا تدفعه المياه وذلك الامر من قوة الخزم والضبط وليس
 من شدة وثاق الخزم فإنه مع عدم الخزم غير نافع والله در أبى الطيب حيث يقول فى ذلك

ولكن اذا لم يحمل القلب كفه * على حالة لم يحمل الكف ساعد

وما أطف ما جانس به الناظم فى هذا البيت

* طارت قلوب العدا من بأسهم فرقا * فما تفرق بين الهم والهم *

طارت قلوب العدا اضطربت اضطرابا شديدا تحتها أجنحة الطائر والبأس العذاب والشدة
 والفرق بالتحريك بالخوف والتفرق التمييز والهم بفتح الباء وسكون الهاء أولاد الضأن
 وقيل أولاد الضأن والمعز والبقر والهم بضم الباء وفتح الهاء جمع هممة بضم فسكون قال
 أبو عبيدة هو الفارس الذى لا يدري من أين يثوب من شدة بأسه والمعنى أن الكفار لشدة
 منزل بهم من بأس الصحابة رضوان الله عليهم امتلأت قلوبهم رعبا فاضطربت اضطراب
 الظائر وزال عنها السعات أشعة الادراك فلم تميز أصحابها بين الضدين أضعف الخلق وهو ولد
 الضأن وأقواها وهو الشجاع الباسل وفيه إيحاء لطيف الى سوء ما خامر عقولهم فى معاودتهم
 الحروب وعدم الادعان من ترفهم الغلبة وما ذلك الا لاحتقارهم حال المحارب الناشئ عن
 اختلال العقول بما أدهشها من الخوف ولا يخفى دقته وان لم يمتد اليه شيخ الإسلام فقير
 فى فهم معنى البيت

* ومن تكن برسول الله نصرته * ان تلقه الأسد فى آجامها تجم *

النصرة بضم النون اسم للنصر وقد تقدم والأسد بضم الهمزة وسكون السين وتضم جمع
 أسد والآجام جمع أجمة وهى مغيض الماء يقبث فيه الشجر ملتفا بعضه ببعض تأوى اليه
 الأسود تجم تسكت فلا يسمع لها صوت خوفا من أن يقطن بها وخص الأسد بكونها فى الآجام
 لانها فيها أخبث وأشجع اذ هى محل منعها ومسكن صوتها ومعنى البيت أن الصحابة لما كانوا
 يقابلون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن دين الله القويم وصرافه المستقيم وأن ما وقع
 لهم من النصر سببه التام هو ذلك فلا يعجب أن تمتلئ القلوب منهم رعبا فلودخلوا مساكن
 الأسود بذلك الوجه وأنتهم فيها السكت خوفا من بأسهم وتعقيب ما تقدم هذا المعنى لرفع
 ايها من مواقع من النصر كان سببه ما حكاه من حالة الصحابة فى خزمهم وقوة أسلحتهم وتعام
 شجاعتهم فان ذلك وان كان من الاسباب العادية الا أن السبب الحقيقى هو القتال لاعلاء

كلمة الله ونصرة نبيه ودينه فلا يعتمد العاقل على قوة عدده وكثرة عدده انما الاعتماد الحقيقي على اخلاص النية الصالحة فلولا يمكن نصر من الله تعالى وكان العمدة هو العدد والعدد السكان في المقابل مقاومة ولله در أي تمام اذ يقول في مدح المعتصم بفتح عمورية ربحي بك الله سرجيها فهدمها * ولو ربحي بك غير الله لم يصب من بعد ما أشبهوها واتقينا بها * والله مفتاح باب العقل الأشب وتأمل السر الالهى والحكمة الربانية في تداول الحرب بين الصحابة والكفار ووقوع الهزيمة في بعض المواقف كما تقدم اعطاء الحكم الأسباب العادية وكان مال الامر الظفر والغلبة والنصر اعتبارا بالسبب الحقيقي وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم * ولون ترى من ولي غير منتصر * به ولا من عدو غير منقصم *

الولى ضد العدو والمنتصر من انتصر مطاوع نصر والمنتقم من انتقم مطاوع قصمه والمعنى أن كل من والا صلى الله عليه وسلم بالايان به واتباع سنته ونصر شريعته والذب عنها فهو منصور وبالتأييد الالهى على ضده وكل من عانده وعاداه والعباد بالله فهو منتقم مغلوب فنفي الرؤية جعلها الناظم كناية عن نفي الوجود وفيه تصریح بان النصر بسببه صلى الله عليه وسلم غير خاص بمن شاهده وقتل معه بل هو عام لكل ناصر له وولى في كل زمان ولذا أردفه بقوله * أحل أنته في حزم ملته * كالبيت حل مع الأشبال في أجم *

أحل أنزل من حل بالمسكان نزل به والأمة الجماعة من الناس والمراد أمة الاجابة الذين آمنوا به واتبعوه صلى الله عليه وسلم والحرز الموضع الحصين والملة الدين والشريعة والبيت الأسد والشبل ولده والأجم جمع قلة للاجتماع وتقدم معناها والمعنى أنه صلى الله عليه وسلم أنزل آتته حصاناً من ملته الزكية لا يرام وعصمهم بحبل الله الذى ليس له نقصان وضعهم اليه باتباعه في ذلك الحصن ضم البيت لاشباله في محل منعمته وهذا حكم عام كما يقتضيه لفظ الآتة وذكره عقب البيت السابق العام الحكم في كل مواعيد ذلك فادامت الآتة في ذلك الحصن الحصين والحرز الشاخي المتين لا يضرهم من ناوهم فاذا خرجوا منه وأهملوا في التمسك به صاروا غنمة كل ناهب ومطمع كل طالب وفي الحديث الشريف من معالم نبوته صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وتلك الطائفة هي المتسكة بحصن الملة فلا يشكل على مدلول البيت ما لحق ببعض الآتة من الهوان ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا وما بأنفسهم وهذا يتضح شأن دعائه صلى الله عليه وسلم الجباب أن لا يسلط على آتته عدو من سوى أنفسهم *

* كم جدلت كلمات الله من جدل * فيه وكم خصم البرهان من خصم *
كم خبرية مرادها التمسك كثير وهى مفعول جدلت بالتشديد والتخفيف بمعنى صرعت على الجدالة أى الارض وهو استعارة من صورة الغلبة الحسية الى الغلبة المعقولة وكلمات الله تعالى آتاه القرآن وتعالى بالجدل بالتحريك اللادد في الخصومة وخصمه غلبه في الخصومة والبرهان الحجة الواضحة قال شيخ الاسلام وفي بعض الشروح القرآن بدل البرهان والخصم

يكسر الصاد الشديد لخصومة والمعنى كثيرا ما أرغمت أى الكتاب أنوف المعاندين المجادلين فتركتهم صرعى الغلبة وكثيرا ما خصمت البراهين الواضحة والمعجزات الباهرة من خصمهم في دعوى النبوة حتى غلبته وأختم ولما كانت مخصصة أى الكتاب أقوى من مخصصة غيرها من المعجزات نسب الى الاولى التحديل الذى هو أقوى غلبة والى الثانية مطلقها * فان قلت على نسخة القرآن بدل البرهان ما الفرق بين الازل والثاني * قلت الفرق باعتبار ما نطقت به الآيات من نبوته وبعثته وتصديقه وذكره في التوراة والانجيل وغير ذلك باعتبار البلاغة المعجزة فحمل الازل على الازل والثاني على الثاني وظهر سر الفرق في التعبير في الازل بالكلمات وفي الثاني بالقرآن كما لا يخفى على ذى لب سلم فيكون حاصل المعنى أن آتى القرآن حدثت بمدلولاتها ومعانيها وبجالاتها البلاغية التى هى نهاية الإعجاز غير أن نسخة البرهان أوضع وأتمل لعمومه جميع المعجزات وبه يتنظم الكلام ويظهر ربط البيت بقوله

* كفاك بالعلم فى الأسمى معجزة * فى الجاهلية والتأديب فى اليتيم *

كفاك بمعنى حسبك والخطاب عمومى كما تقدم غير مرة وبالعلم فاعلمه زيدت فيه الباء على ما هو الكثير والأسمى صفة لمخدوف تقديره النبى الأسمى وهو منسوب الى أمة العرب اذ كانوا ليسوا من أهل الكتابة والعلم قال جل ثناؤه هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم أولئك منسوبة الى الام أى أنه على الحالة التى ولدته عليها وهى حالة الجهالة والمعنى به الذى لا يقسرا ولا يكتب وهو فى غيره صلى الله عليه وسلم من الصفات الذميمة أمافيه صلى الله عليه وسلم فهو من كلاته الخارقة لأن ذم وصف الأمية لما يقتضيه من كمال الجهالة وحيث صحب فى ذاته الشريعة كمال العلم البشرى ونهايته كان من أعز الصفات وأشرفها ومن ثم كان من المعجزات والجاهلية هى أمة العرب وهو زيادة تأكيد للإعجاز والتأديب مصدر أدبه فتأديب أى صار ذا أخلاق حسنة وشيم جميلة واليتيم يسكون التاء وضمت فى النظم اتباعا للضممة الياء لضرورة النظم وهو فى الناس فقد الأب وفى البهائم فقد الأم والمعنى يكفى من معجزاته الدالة على صدق نبوته ماله من العلوم والمعارف التى بعضها علم اللوح والقلم كما سيقول الناظم رحمه الله مع كونه أميا لا يقرأ ولا يكتب ونشأ فى أمة جاهلية لا يمكن حصول العلم بالسمع منها قال جل ثناؤه وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك اذا لارتاب المبطلون كما يكفى من كراماته الخارقة للعادات ما نشأ عليه من مكارم الاخلاق وحسن الشيم المشهود له فى الكتاب والسنة كما تقدم فى شرح قوله أكرم الخ مع صفة اليتيم التى شأنها فى مجارى العادة الا همال وعدم اكتساب المحامد وما ذاك الا بتأديب الله عز وجل ولقد قال له صلى الله عليه وسلم أبو بكر رضى الله عنه يوما من أدبك يا رسول الله فقال أدبى ربي وتقدم معنى قول عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن فقد ذكره

* خدمته بدمع أستقبل به * ذنوب عمر مضى فى الشعر والخدم *

الخدمة معروفة ومفعوله ضمير النبى صلى الله عليه وسلم والمدح والمدح وهو الثناء الحسن مطلقا وان كان فى الاصل خاصا بالسجيا وتكثيره للتقليل والاستمالة طلب الاقالة وهى فى

البيع معروف و يطلق على الشراء قال الجوهري ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ولا يبيع على بيع أخيه أى لا يشتتر لان النهى للشئى لا للبايع والآجل المتأخر والعاجل ضده والغنى في البيع المخادعة فيه والسلم أصله لغة السلف وفي عرف أهل الشرع بيع ما ليس بحاضر بتقرر في ذمة البايع مع تعجيل الثمن على شروط المقررة في كتب الفروع والمعنى كل من استبدل الآجل بالعاجل ورزى بما يحصل له عاجلا عوض ما يؤل إليه آجلا فلا بد من غنى له ونقص ضرورة أنه لا بد للتأخير من فرط فالبايع يتخذ ويغتر بلذة ما يحصل بيده من الثمن الحال ويعغل عما يقص له لو باع في وقته الذي لم يقصه فيه الا عدم تعجيل تلك اللذة الآتية ثم انه يدخل في مخاطرة تحويله العوائق بينه وبين حصول البيع في آجله فتجرب مع حرارة الغنى من حرارة الطلب وربما كان عاقبة ذلك سواً وإنما كان هذا البيع يتأخر قبض المبيع فيه مع تعجيل الثمن كان سلم فغطف على البيع السلم للبيان وضرب الناظم هذا المعنى مثلاً ان يعتر برهات الدنيا معرضاً بها عن الطاعات المحمودة العواقب والضمائر في البيت عائدة على من ونسبة العاجل والآجل لما صدقت عليه لاسترة فيه

ان آت ذنبا فعهدى بمتنقض * من النبي ولا حبل بمنصرم *
 أت مضارع أى الشئ جاءه والفاء جزائية والعهد رعاية الحرمة والامان والذمة ومنتنقض منسكوث من النقص ضد الابرام والحبل معروف استعمل هنا في الوصلة وهى استعارة شهيرة والمنصرم المنقطع ومعنى البيت انى وان كنت أجردت ومن كوس المآثم تجرعت فلا توجب ذلك اياسى من المغفرة ولا يقطع منى رجاء العفو والرحمة لان عهد المحكم ووصلة وثيقة بالنبي صلى الله عليه وسلم لا يباين معهما صاحبهما ولو كان صاحب احترام وحيث تعين أن المراد من الشرطية بيان أن الذنب لا يسقط على عهده صلى الله عليه وسلم ولا يخفى أن ذلك حكم لذات عهده صلى الله عليه وسلم فلا اعتبار به يتعدى تقتضيه الشرطية من الاستقبال وترتب اشكال في النظم وتكلف الجواب كوقعه وافيه ويعنى بالعهد ما بينه البيت بعده ومن العجب أن شيخ الاسلام حمله على عهد الايمان مع تكفل الناظم ببيانه وأنه تكلف ربطه به بما لا ينبغي من مثله وفيه مع ذلك بعد عن مرامه فانه مقر بتدنيس عهد الايمان بارتكاب الخلفات ومن ثم التحا إلى الوصلة بكونه سميها صلى الله عليه وسلم حيث قال

فان لى ذمة منه بتسميتى * محمد او هو أوفى الخلق بالذم *
 فانه استدلال على احكام العهد وبيان لطريقه والذمة العهد كما تقدم وفيه منه للنبي صلى الله عليه وسلم والتسمية مصدر سماه يسميه اذا جعل له اسما والوفاء بالذمة اعتبارها وأداء حقها والمعنى ان لى ذمما منه صلى الله عليه وسلم لا يخفى واعتبالا لا يجحد اعتبارها ولا ينكر وهو التسمية باسمه الشريف والتعلق بها على خصيصية القسبة الى مقامه الشاخص المنيف اذا المقصد من التسمية بأسماء العظماء تتعلق بهم والانتساب بذلك اليهم اذ ذلك أدنى مما يمكن من مراتب الاشتراك وهو عند النفوس الكاملة يستدعى اعتبارها نسبة وذمة واعتلافاً يوجب رعاية لصاحبه وحرمة ولما كان الوفاء بالذم من مكارم الاخلاق وقد ثبت ثبوتها

لا يعتبره ريب أنه صلى الله عليه وسلم حصل من تلك الصفة على ما لامطع مخلوق فيه كان صلى الله عليه وسلم أوفى الناس بالذم وأحقهم عراعاتها ومن أحسن ما قيل في منزع الناظم من الاعتماد على العهد والذمة قول أبى نواس يمدح المهدي محمد

أخذت بحبل من حبال محمد * أمنت به من نائب الحدنان
 تغطيت من دهري بظل جنباه * فعينى ترى دهري وليس يرانى
 فلو تسئل الايام باسمى مادرت * وأين مكاني ما عرفن مكاني
 ويعجبني في المدح بذلك قول ابراهيم بن العباس بن صول

ولسكن الجواد أباهشام * وفي العهد مأمون المغيب
 بطى عنك ما شئت غنيت عنه * وطلاع البك مع الخطوب

وفيه اشعار بأن الاغاثة عند الخطوب من الوفاء بالعهد وهو ملاقى المعنى البيت بعد وفي صفيح الناظم ترغيب في التسمية باسمه صلى الله عليه وسلم تمنا وذمة وفي الاكمال للقاضي عياض روى عن جعفر بن محمد اذا كان يوم القيامة نادى مناد ألا ليقيم من اسمه محمد فيدخل الجنة بكرامة اسمه صلى الله عليه وسلم وفي لفظ آخر نادى يوم القيامة يا محمد فرفع رأسه في الموقف كل من اسمه محمد فيقول الله جل جلاله أشهدكم أنى قد غفرت لكل من اسمه على اسم محمد نبي وروى ابن وهب في جامعه عن مالك سمعت أهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا رزقوا وقد ذهب طائفة الى منع التسمية بمحمد صوناً له عن الاذى اللاحق في الخطاب وهو ظاهر مذهب عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذ قال لمن تسمى باسمه لا اسمع محمد ايسب بك أبدأ وهذا من باب سد الذرائع

ان لم يكن في معادى أخذ ايدى * فضلا والاقبل بازلة القدم *

المعاد النشأة الثانية وهو الحشر يوم يقوم الناس لرب العالمين والاخذ باليد كناية عن التخليص من الأوجال والشدائد والفضل الاحسان واتصافه كما بعده على التعليل والا بالتنوين وال نصب عطفاً على العلة الاولى والال بكسر الهمزة العهد والخلف والقربة ومنه قوله تعالى لا يرقمون فيكم الا ولا ذمة والعجب من شيخ الاسلام أنه عدل عن هذا وزعم ان الا في النظم ان الشرطية ولا الناقية وتكافى المعنى تقدير جواب الشرط مناسباً للاخذ باليد وهو توسف لاداعى اليه مع ما فيه من تضييع ما عهده الناظم قبل من الذمة والخطاب في قوله قل لنفسه والنداء للتمويل والتعظيم وادراج القول للدلالة على كونه على ذلك جدير بذلك القول حقيقته ووزلة التقدم كناية عن الوقوع في المهالك والمعنى أنه صلى الله عليه وسلم ان لم يكن مخلد له يوم القيامة من جزاء ما اقتره من الاتام وضيق فيه عمره بما لم يحصل منه الا على الندم فقد وقع في المهالك وظلمة ليل آثامه الخالك وتقديم الفضل على الذمة تبعيداً للدلالة على الاستحقاق والاعتماد على الاسباب ووقوف عند باب المنحة والاحسان وذلك من آداب الاستعفاف قال على بن الجهم

ليس عندى وان تغضبت الا * طاعة حرّة وقلب سليم

وانتظار الرضا فان رضا السا * ذات عز وعتمهم تقويم
 * حاشاه أن يحرم الراجح مكرمه * أو يرجع الجار منه غير محترم *
 حاشا كلمة تستعمل بمعنى التزينة والتبرئة وحرمة الشيء منعته اياه والراجح اسم فاعل من رجا
 يرجوا اذا أمل والمكرم جمع مكرمة من الكرم ضد اللؤم والجار هنا المستجير من مس
 المكاره ومنه قول الهذلي

وكنت اذا جاري دعا لخصومة * أشم حتى يصف الساق مثرى
 ومنه يتعلق يرجع على أن من ابتدائية ومحترم اسم مفعول من احترمه جعل له حرمة والمعنى
 أنزه مقامه الرفيع وحماه السامح المنيع أن يمنع مكرمه ممن يرجوه أو أن لا ينال حرمة من
 استجار به كيف وان حماية المستجير وتحقيق رجاء المؤمن من الشيم التي حيلت عليها النفوس
 الكريمة والطباع السليمة حتى كانت أعلى المفاخر وأسنى المآثر وفيهما تنافس
 الهمة خصوصا الغشاة العربية فان ذلك عندهم من أجل ما به يتمادحون وأنفس ما به
 يتفاخرون قال السموأل

وما ضرتنا أن اقليل وجارنا * عزيز وجار الأكثرين ذليل
 لنا جبل يحتله من نخيره * بعبديرذا الطرف وهو كميل
 رسا أصله تحت الثرى وسحابه * الى النجم فرع لا ينال طويل

وقال الأقرع بن معاذ

وتجعل للجار القليل سوامه * سواما ونحى سر به أن يفزعا

وقال ابن الرومي

اذا تمك العاق فسكوكيه * سعد وممر غاه في واديك سعدان
 وقد قام البرهان القاطع على أنه صلى الله عليه وسلم حاز من المكرم ما لا طمع فيه لمخلوق فكيف
 لا يحترم جاره ويمنع راجيه ولله در من يقول

قرأني الفضي وأسوف يعطى * فسر قلوبنا ذاك العطاء

وساشا يا رسول الله ترضى * وفينا من يعذب أو يساء

* ومنذ ألزمت أفسكارى مدايحه * وجدته خلاصى خير ملتزم *

منذ كلمة يراد بها ابتداء غاية الزمان وتستعمل اسمها مبتدأ خبرها الزمان بعنده وحرف جر تجر
 لفظ الزمان فهو مقدر في النظم أى منذ من مخفوض أو مرفوع والالزام جعل الشيء ملازما
 لا ينفك والافكار جمع فكسر الفاء اعمال النظر في الشيء وجمعه باعتبار أنواعه
 والمدائح جمع مدح وهو ما يتدح به من أنواع الثناء الجميل ولفظه ثاني مفعول في الزم ووجد
 هنا بمعنى علم مفعوله الاول الضمير العائد على المدح المفهوم من المدائح أو هو ضمير النبي صلى
 الله عليه وسلم وخير ملتزم مفعوله الثاني وملتزم بصيغة المفعول ان كان الضمير للذم أو للنبي
 صلى الله عليه وسلم على تقدير وحدت مدحيه ويصح أن يكون بصيغة اسم الفاعل والضمير
 للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى أنه من حين ما توجه بفكره لمديحه صلى الله عليه وسلم

وصرف كل همته اليه علم يقينا أنه مختلص من أحوال ما قلده الشعر والخدم وأوجب له
 الأثام والندم وذلك لما قام عليه البرهان وبلغ مبلغ المشاهدة والعيان أنه صلى الله
 عليه وسلم أكرم الخلق سبحانه وأوسعهم رحما وعطيه وأنه لا يخيب قاصده وسائله ولا ترد
 على مؤمله وسائله علم ذلك يقيناً من شمله وأخباره وتواتر به الوقائع الجمة من آثاره
 كيف لا وانه صاحب الخلق العظيم والشهود له بأنه بالؤمنين رؤوف رحيم واذا كان
 المتطبع بالمكرم من غيره من البشر تأخذه حمية الحماية عند الالتجاء اليه ويصرف عنان
 همته لمن عول عليه فكيف ينبع الكرم والجود صلى الله عليه وسلم وهم هذا يظهر أن
 حمل ملتزم على اسم الفاعل أنسب بمراد الناظم أى اني التزمت مدايحه فانتم صلى الله عليه
 وسلم خلاصى من أحوالى حتى تيقنت منه بلوغ آمالى

له نعم توب بأمليه * اذا آبت الى أحلى مآب

ألذ من اتصار بعد ظلم * وأحلى من دعاء مستجاب

* ولن يفوت الغنى منه يد ترتب * ان الحيا يفت الأزهار في الأكم *

فات الشيء يفوت فوتاً سبق فلم يدرك والغنى بكسر الغين مقصور اليسار وترتبه اقتر
 وأصله من ترب اذا الصق بالتراب لفاقتة والحيا بالقصر المطر والخصب والازهار جمع زهر
 بالفخ وهو زهر النبات وقد تقدم ونسبة الانبات اليه تجوز والأكم جمع أكمة وهي الجبال
 الصغار والمعنى اني وان لم أفعل من الطاعات ما أرجو معه نيل الثواب كما قال صدر النظم
 ولا تزودت البيت فلا أكون آسما من نيل الاحسان والتنعيم بالنعيم الأكبر يجاهه صلى الله
 عليه وسلم فان عظيم الجاه يكسب المعدوم وينعم المحروم كالنظر النافع فانه يثبت المحل الذي
 ليس من شأنه الانبات لصلابته وعدم قبوله الماء حق القبول وهو صلى الله عليه وسلم أعظم
 نفعاً من الحيا بل الحيا فرد من أفراد أنواع نفعه واقد أجاد كل الاجادة في ضرب هذا المثل
 لنفسه وقد علمت بما يبناه أن المراد الغنى يوم القيامة وأن المراد بالفقر المسكن عنه بترب اليد
 هو الفقر من الطاعات وقد فرغ توهم ارادة الغنى الذي هو النسيب بالبيت بعده * واعلم * أن الناظم
 رحمه الله أمل من النبي صلى الله عليه وسلم أمرين الاول الخلاص من مهالك ما كسبت بعمقه
 من الأثام وهو مضمون الآيات السابقة الثاني نيل النعيم المقيم وهو مضمون هذا البيت ولما
 كانت النجاة من العقاب والتخلية منه أسبق اعتباراً من التنعيم والتخلية به قد تقدم الاول
 مصرحاً به وجاء بالثاني على طريقة التعريض الذي هو اللطف في باب الاستعفاف

* ولم أر ذريرة الدنيا التي اقتطفت * يدازهير بما أثنى على هرم *

أرد مضارع أراد بمعنى شاء وذريرة الدنيا زخرفها واقتطفت معناها قطفت وزهر هو من أبي
 سلمى أبو السيد كعب صاحب بانث سعاد وهو أحد الشعراء الثلاثة المتقدمين في الشعر
 ثانيهم امرؤ القيس وثالثهم النابغة الذبياني وروى عن عمرو بن عبد الله اللبثي قال قال في عمر
 ابن الخطاب رضى الله عنه هل تروى لشاعر الشعراء شعرا قلت ومن هو قال الذي يقول
 ولو أن حمداً يخلد الناس خلدوا * واسكن حمداً الناس ليس يخلد

قلت ذلك زهره بر قال هو شاعر الشعراء وهو ابن سنان بن حارثة المزني كان محمداً وزهره
 وكان يصلها باصلات الخبز يلقبها شتي أنه أقسم أن لا يسلم عليه زهره إلا أعطاه غرة عبد أو أمة
 فلما كثرت ذلك على زهره صار اذا امر بالنادى وفيه هرم قال انعموا صبا عند اهر ما وخرم
 تركت فكان فيه هذا المدخل من شعره والمعنى لم يكن قصدي من التوسل بجاهه صلى الله
 عليه وسلم زخر في الحياة الدنيا الذي ناله زهره بحد حرم وانما التصد النفع بذلك في الاخرى
 التي لا يقنى نعيمها وقد مننا أنه دفعهم هذا ما يوهمه البيت قبل من ارادة الحياة الدنيا كيف وانه
 فرغ الى ذلك الجناب الرفيع للتخلص مما أوقعته فيه ارادة زهرات الدنيا وفيه ايماء
 الى أن العظم لا يلجأ اليه الا في عظيم والا كان تقصصا في عظمته ثم لا يخفى أن المراد بالني
 مال الدنيا وشهواتها من الحياه والذكرو نحوها مما لم يكن مقصودا من عبودية العبد فلا ينافي
 أن من مقاصده هذا النظم الشفاء من داء الفالج كما تقدم صدره هذا الشرح فان سلامة
 الجسم مطلوب للشارع ومن ثم ورد الأمر بالتداوى فافهمه

يا أكرم الخلق ما لي من ألودبه * سواك عند حلول الحادث العمم *

لاحظ أحواله عند باب المصطفى الكريم وأيس في نيل مطالبه من كل وسيلة سوى جانبه
 العظيم وتوجه بكنيته اليه وناداه نداء المضطر المعتمد عليه فالتفت من غيبته الى شهوده
 وشافه بجرامه وقصوده واستعمل كلمة العبد متحقيرا لنفسه وتعظيما للجناب المرفع
 والا كرم أفعل من الكرم ضد التؤم ويراد به العزيز ومته

يا أكرم الخلق على ربه * يا خير من فيهم به يسئل

وكل من المعنيين صالح للقيام ويؤيد الا قول فأت من جودك البيت ويؤيد الثاني ولن يضيق
 البيت ولا ذبا شئ القمأ اليه وسواك بمعنى غيرك والحلول النزول والحادث في الاصل
 المسبوق بالعدم ثم كثيرا ما يستعمل في الأعره الهائل كهول يوم القيامة المراد لنا نظم هنا
 والعجم بكسر الميم الاولى اسم فاعل من عم الشئ اذا لم يخض والمعنى يا أكرم الخلق على ربه
 أو يا أمتهم ليس لي غيرك ملاذ اذا حل هول يوم القيامة الذي يعم كل أحد

ولن يضيق رسول الله جاهلي * اذا الكرم تجلى باسم منتقم *

ضاق الشئ عن الشئ لم يسعه والجاه القدر والمنزلة والكريم من أسمائه تعالى قال الشيخ
 لطف الله كرم الله تعالى صفة كمال يعبر عنها بالفيض تسوق خزائن آلائه الى المستحق وغيره
 سواء طلب وانتمغ وشكر أو لا وقال أبو حامد الكرمي هو الذي اذا قدر عفا واذا وعد وفى
 واذا أعطى زاد على منتهى الرجا ولا يبالي كم أعطى ولما لم أعطى واذا رفعت حاجة الى
 غيره لا يرضى ولا يضع من لادبه ويعنيه عن الوسائل والشغعا فن اجتماع ذلك فهو الكريم
 المطلق وذلك لله تعالى عز وجل فقط اه والتجلى الظهور واصفاة اسم لمنتقم للبيان والمعنى
 باسم هو منتقم ومعنى التجلى به انكشافه وظهوره باظهار آثاره فانه تعالى متصف بجميع
 صفاته التي هي على قدم واحد في الثبوت والحكم وانها مظاهر وتجليات بحسب الحكمة
 بالالغة وارادة اظهار بعض الآثار يعبر عن ذلك تارة بالظهور وأخرى بالتجلى وآونة بالمتعلق

فالتفضل والاحسان مظهر وتجل لاسمه تعالى الكريم والاعتقاد والمواخذة مظهر وتجل
 لاسمه المنتقم وهكذا سائر الاسماء الكريمة وهذا وان كان بحيث لا يخفى فقد خفي على شيخ
 الاسلام فأكثر الكلام والاعتراض والمنتقم المؤاخذ لمن خالف الامر والنهي بأشد سطوة
 وأعظم عقوبة قال لطف الله وذلك حكمة بالغة فلو لم يؤاخذ لا فضى الى شر ونواب أمر
 وأدهى مما وجد وقهر الله تعالى بعض عباده وانتقامه منهم عين لطفه ومحض عنايته في
 نظر التحقيق فلا يوههم شيئا في سبق رحمة على غضبه ورأفته المتزايدة في حق عباده ومعنى
 البيت يا رسول الله ان جاهلك ومكانك عند الله تسعني وشيئني حياها يوم لا يحى الا الحيا وهو
 اليوم الذي يتجلى فيه من عود عباده مظاهر الكرم والجود باظهار الانتقام والعقوبة وهو
 اليوم الذي يقول فيه جميع الانبياء سواه صلى الله عليه وسلم ان ربي غضب اليوم غضبا لم
 يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسى بنفسى

فان من جودك الدنيا وضرتها * ومن علومك علم اللوح والقلم *

الفاء للتعليل والجود السخاء وضرة الدنيا الآخرة لتضاددهما وتآفهما كالضائر والوح
 هو اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه ما كان وما هو كائن والقلم هو القلم الوارد فيه أنه أول
 ما خلق الله والمعنى كيف يضيق جاهلي وابت أكرم الخلق على ربك قد خصلت بالمرزاة العظام
 الدالة على مكانتك عنده منها أنه خلق الدنيا والآخرة لأجلك كما قدمه الناظم وتقدم شرحه
 ومنها أنه علمك ما لم يحط به غيرك علما حتى أن ما في اللوح والقلم بعض علومك وقد قدمنا شرح
 هذا في شرح قوله وكأهم الخ عن لطف الله محررا فراجع هنا ومن كانت هذه مكانته عند
 ربه فلا يرجحى للوسيلة سواء ولا يخيب من وقف بباب فضله وعلاؤه وبما شئنا تعلم ما وقع
 لشيخ الاسلام في شرحه

يا نفس لا تقنطى من زلة عظمت * ان الكبر في الغفران كاللحم *

نفس بكسر السين منادى مضاف الى ياء المتكلم حدثت لفظا دلالة الكسر عليها والقنوط
 اليأس من قنط بفتح النون يقنط بالضم والكسر والزلة الذنب وعظمت كبرت والكبر جمع
 كبيرة وهي من الذنوب ضد الصغار منها وقد ورد في الكتاب المجيد الاشارة الى توبيع الذنوب
 الى الكبر والصغار في قوله جل اسمه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم
 والاجماع على أن أكبر الكبائر الشرك بالله وفي تعيين ما عداه اضطراب كثير شحت به كتب
 الكلام وغيره بلا طائل والذي أخذ بزمام ضبطها جبر هذه الامة أبو حامد الغزالي في كتاب
 الاحياء فانه ضبطها بضبط القصور وللشارع من العبد وهو معرفة الله ومعرفة رسوله وحياة
 النفوس وما به قوام المعيشة في الدنيا فيكل ما يرجع الى هدم واحدة من هذه الثلاث فهو كبيرة
 وان شئت تفصيله فراجع كتاب التوبة منه فان فيه شفاء الغليل والغفران ستر الذنب وعدم
 المواخذة به واللم بفتح اللام صغار الذنوب ومعنى البيت تطمين نفسه بباب الرجاء وعزائم
 التوسل والاتحاء وصدق الوعد الذي لا خلف فيه وعموم الفضل الذي لا حجر عليه كي
 لا يسوقها شدة الخوف الى اليأس من الرحمة فتتبع في مهالكته الدهماء المذكورة في الكتاب

قوله بفتح النون الخ وهو شئت النون في الماضي والمضارع وانظر القاموس

الجيد فإلا لها ان الذنوب وان عظمت فهي بالنسبة الى مغفرة تعالى تساوي الصغائر فاذا صادفت العبد النسيئة الصمدية كانت كثر العبد في سعة رحمة كالصغائر حيث يعهما الغفران وفي الكتاب المجيد والوعد الذي ليس عن وجوب صدقة محمد ان الله لا يغفر ان بشر لئنه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال جل ثناؤه قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وقد قال القاصي عياض في الاكمال مذهب السلف الصالح واهل الحديث والفقهاء والتكلمين على مذهبهم من الاشعرين ان اهل الذنوب في مشيئة الله وان كل عاص لا يقطع في أمره بتعريفه على النار ولا باستحقاقه لا اول حالة الجنة بل يقطع انه لا بد من دخول الجنة آخرا وحاله قبل في ظهر المشيئة وبرزخ الرجاء والخوف اه وبما بيننا يعلم ان المراد كبار المؤمن فانه خطاب لنفسه المؤمنة فلا يرد على عمومه كبرية الشرك والله در ما لطف نيكاته فانه خاطب نفسه بهذا بين بيان جاهه صلى الله عليه وسلم وتزلته عند ربه وبين عموم غفرانه تعالى فكانه يقول كيف يكون الخوف والحذر من عواقب الذنوب بين غفران عظيم وجاه حبيب كريم وقد اجاد من يقول

ما بين حرمته ورحمة ربنا * تحمي الذنوب عن العصاة وتمحق
واذا رجعت بمعنى هذا البيت والذي بعده من الرجاء الى ما صدر به نظمه من حاله خوفا
تيقنت الاشارة منه رحمه الله تعالى الى ان العبد ينبغي ان يكون في اول أمره على الخوف
ويخت عمل بالرجاء فقد جمع في نظمه بين الخاتمين المطلوبين من العبد على الترتيب المأمور به
* لعل رحمة ربى حين يقسمها * تأتي على حسب العصيان في القسم *

لعل كلمة ترج وهو طلب محبوب مطمووع في حصوله والرحمة رقة القلب وفي حقه تعالى
كتملها مما يستحيل حقيقة محمولة على ارادة الانعام او نفس الانعام والرب المالك والمراد
مالك الملك جل جلاله والحسب يتبع الحياء والسين القدر والقسم بكسر القاف وفتح السين
مصدر قسمت الشيء وزعته والمعنى انه رضى الله عنه ترجى ان تكون رحمة الله تعالى
وقت تعاقها بالعباد يوم القيامة الذي ادخرت له كما في حديث ان الله مائة رحمة وضع منها رحمة
واحدة في الدنيا فيها يتراحمون ويتعاطفون حتى ان البهيمة لترفع حافرها عن ولاها خشية
ان تطأه واخر تسعة وتسعين رحمة رحم الله بها عباده يوم القيامة تعم انواع الآثام والمعاصي
بحيث لا تتردنا الا شملته فلا يخشى صاحبها عاقبته وهذا وان كان مما لا يخفى فقد خفى
على كثيرين كما في شيخ الاسلام وفيه ايماء لطيف الى كمال كرمه تعالى وحديث لولم يذنبوا
لذهب الله بكم ولباء يقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم اذ مواقع الذنوب مظاهر غفرانه
وقليل الاعمال موقع فضله واحسانه واذا كان الكرم من الحوادث يجب اظهار تجاوزه
وعفوه عن المسيء ويطلب الرب للذنب حتى كان ذلك من انفس المدائح قال السري الرفاء
تلك المسكارم لا ارى متأخرا * اوليها منه ولا متقدما
عقوا تطل ذوى الجرائم كاهم * حتى لقد حسد المطيع المجرما
لها الظن بأكرم الكرماء وأرحم الرجاء القائل في كتابه المجيد ورحمتي وسعت كل شيء

قوله صدرت في الخذلان في الاصل وليس مصدر بل هو جمع فقهه كما هو ظاهره

* يارب واجعل رجائي غير منعكس * لديك واجعل حسابي غير منحرم *
الرجاء الاكمل في الشيء والمنعكس منه ما لا يحصل به المؤمل والحساب بمعنى الظن من حسبه
كذا ظننته اياه ومنه * حسبتك في الوحي بردا حروبا * وقوله
واخوان حسبتهم دروعا * فكانونها ولكن للاعداى
وهو مراد الناطم هنا والواو في واجعل للعطف على جملة مقدره والمعنى يارب حقق ظني
واجعل رجائي عموم الرحمة بجميع ذنوبي محققا غير خائب واجعل ظني بلك ظنا تاما بحقق
جميع مظنوني كما قال نبيك فيما يرويه عنك انا عند ظن عبدي فان قيل مع هذا الاخبار
الصادق كيف يصح للناطق طمأنينة قلت المطلوب ما يرجع الى صحة الظن وعزيمته وتعام ذلك
ونقصه من قبل الطالبا فافهمه

* والطف بعبدك في الدارين ان له * صبر امتي تدعه الأهوال ينهزم *
الالطف الرقيق ومنه تعالى بعباده الانعام وترك المؤاخذه وبمراعاة ما يقتضيه الالطف لغة
من الدقة يختص الانعام في الالطف بما دق منه كزق الحنين وغيره من الانعامات التي لا تترك
الا بالتأمل مع موافقة الظاهر منها الباطن والالطف الخفي ما كان ظاهره غير ملامح كجميع
الشورر والمضمرات الخلقية ووقائع العالم وقتها كما أشار اليه في قوله العزيز ولولا دفع الله
الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض كذا قال لطف الله واختار عنوان العبد للاستعطف
والصبر بحسب النفس عن الجزع والاهوال جمع هول وهو الامر العظيم الشأن والانضمام
في الجوش انكسارها استعير هنا لتضعض الصبر عند منته وهو حاول الاهوال المعبر عنه
بالدعاء عجزا والمعنى اطلب منك ان تعاملي بلطفك في الدنيا لعافية وتيسير الرزق ودفع
المثومات كل مرض الذي توسل بهذا النظم لدفعه وغير ذلك فانه لا طاقة لي على تحمل المشاق
والصبر عليها فان ما عندى من الصبر على حرف بحيث ما نزلت به الاهوال الا وتضعض
فان لم يكن منك الالطف وقعت في الجزع الخوف العاقبة كما اطلب منك الالطف في الدار
الآخرة بمعاملتي بالعفو والغفران وبما بيننا علم ان قوله ان له يتعلق بالالطف في الدنيا وان
مطلوبه الالطف الظاهر فان الخفي كما بيننا محمول للاهوال والمشاق فيقع لو كان فيما خاف منه
وقد سلك رحمه الله في هذا الطلب الأدب النبوي فانه صلى الله عليه وسلم كثيرا ما حث على
سؤال العافية اذ قال اذا سألت الله شيئا فاسأله العافية وقال للعجابي الذي رآه كالفرخ من
المرض ما كنت داعيا به قال كنت اقول اللهم ما كنت معاقبه به في الآخرة فمجلسه لي
في الدنيا فقال له صلى الله عليه وسلم لوسأت الله العافية فانك لا تطيق ذلك وسمع
صلى الله عليه وسلم لرجلا يقول اللهم هب لي الصبر فقال له طلبت من الله البلاء
فاطلب العافية * قلت وهذا الحديث الأخير ما أخذ ما يقوله علماء الاسرار من ان
اعمال ذى النخاسة للدفع من الاسماء والآيات قبل حلول المدفوع جلب له فافهمه

* واننذ بسجب صلاة منك دائمة * على النبي بمهل ونسجيم *

الاذن من الله يكون بمعنى التمكين من الشيء ويكون بمعنى الأمر به وهو المراد هنا والسجيب

بضم السين والحاء وسكن في النظم للضرورة جمع سخابة بمعنى الغيم والصلاة لغة الدعاء ومن
الله رحمته ومن الخلق الدعاء وممثل يتعلق بأذن وهو اسم فاعل من انهل المطر اشتد
انصبابه والمنسجم السائل والمعنى اذن يارب الخرائن صلواتك ورحمتك ان يصل منها على
رسولك صلى الله عليه وسلم الحظ الوافر الكثير الالتم وهذا الطلب منه هو الصلاة المطلوبة
من العمدة صلى الله عليه وسلم كما علمها أصحابه حين سألوه وختم الناظم مطالبها
لكونها مرعاة الدعاء روى عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من داع الا بينه وبين الله جناب حتى يصلي على محمد وعلى آل محمد فان فعل انخرق ذلك
الجناب ودخل الدعاء وان لم يفعل رجعت ذلك الدعاء وقال ابن عطاء الله للدعاء اركان وأجنحة
وأسباب وأوقات فان وافق أركانه قوى وان وافق أجنحته طار في السماء وان وافق مواعيته
فاز وان وافق أسبابه أنجح فأركانه حضور القلب والرقعة والاستسكان والخشوع وتعلق
القلب به وقطعه عن الأسباب وأجنحته الصدق ومواعيته الاستسكان وأسبابه الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم

ماريخت عذبات البان ربح صبا * وأطرب العيس حادي العيس بالنغم *
ما مصدرية ظرفية وورثت أمالت من رخته الریح فترخ أمالته فتمائل وعذبات البان أغصانه
من عذبة اللسان بمعنى طرفه والبان والریح تقدمتا في النظم وقد مناهناك مسمى الصبانة
وهي الریح الشرقية والطرب خفة في النفس سببها ادراك الملائمة وشدة السرورية والعيس
جمع أعيس للذکر وعيساء للاثني وهي الأبل البيض التي يخالط يابضها شقرة والحادي
سائق الأبل بالغناء والنغم يفتح النون ترخم الاصوات والمعنى أصلى على النبي مادام الصبا يرب
على أغصان البان فيميلها ومادام الحادي يحده والعيس بنغماته فيطربها ولا يعزب عن ذي
مخاطبة للعاني الأديبة والاغراض الشعرية أن الغرض من مثل هذا التسكينة عن التجدد
والدوام وعدم الانتطاع فلا يرد أن ذنبك الامرين غير لازمين في الوجود إذ كثير ما يتخلو
الزمان عنهما واختارهما عن غيرهما في التسكينة ليكون نسجه يدويان السير والحداء
واعتبار الریح والأشجار البدوية مناظر نظير العسري القبح وقد طابق بذلك بيديته نظمه
ونهايته اذ بنى تغزله على ذكر المنازل العريسة والأشجار البدوية من البان والعلم
وجبران كاطمة وذی سلم وختم بمثل ذلك فكان فيه شبهة رد العجز على الصدر والحداء تأثير
قوى في الأبل ولقد أكثر الشعراء من ذكر العيس والحداء وتووعوا فيه طرائق قددا
ومما يعجبني من ذلك قول ادريس بن أبي حفصة

أمالنا منك نور يستضاء به * ومن رجائك في أعجازها حادي
لنا أحاديث من جدوا لندهاها * عن الربوع وتلهيها عن الزاد

وقال الآخر

وحثت العيس حاد صوته غرد * بنجمة دونها المزموم والرمل
حداهم ثم حيا عيسهم مرحا * وقال سرمر عا حيت يا حجل

ليت التحية كانت لي فأشكرها * مكان يا حجل حيت يارجل
وهذا أبعج البراع أن يلف عنان جواده حيث ساعده التقدير بلوغ مراده ونال من التعلق
بالجناب المرفع مقصوده وبذل في الخدمة مقدوره ومجهوره ولو لافضل الرحيم الرحمن
ما كان يامل أن يجري في ذلك الميدان لكن العناية التي ليس عليها حاجر اذا صادفت
ألقت العاجز بالقادر والمرجو من جناب المصطفى صلى الله عليه وسلم والمسؤل أن
يكون هذا الشرح كأصله في الرضا والقبول فان ذال الخلق التكريم يلحق لديه الحسير
بالعظيم فسأل الله تعالى أن يجعله من الصحابة الراجحة والأعمال المقبولة الصالحة
والوسائل النافعة الناجحة بحاج حبيبه سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
أجمعين والحمد لله رب العالمين

يقول المتوسل الى الله سبحانه وطئ البساط طه من محمودة نظرية المنسوب الى دمياط *

ان أفصح مجال تسابقت فيه جباد البراعة وفرسانها وأفصح فناء يتخط به رجال البلاغة
وأطعانا وأشهى سلاقة أترعت منها كؤوس الإطراء والاطراب وأثبت وتد مجموع
تشده أطياب الاطناب حمد الله على ما أسبغ من غيوث النعم وأسبل من أذبال التكرم
وشكر المنعم الواجب فهو الذي يسكن اليه كل قلب واجب * تحمده * الحمد المطلوب
ونشكره ويدكره وبذكرة تطمئن القلوب وتشهد أن لا اله الا هو ونقدسه عما له سبحانه
المبتلون وفاهوا وتشهد أن سيدنا محمد ادركت حاج الانبياء وواسطة عقدهم وفص حاتم
المرسلين ومطلع سعدهم فأقض لنا اللهم بالاستقلال بظلمة الوارف وامن علينا
بالدخول تحت كنفه يوم تراكم المخاوف وصل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وكل منتسب
اليه * أما بعد * فان من الله وان كانت كلها عظيمة ونعمه وان كان أيسرها أدوم من الدية
متباينة المزايا والأقدار متفاوتة الفضل في التجدد والاستقرار وعلى حسب وظائفها
يكون وقعها في النفوس ويكثر بقيل الرخاء عند اشتداد البؤس وان أعظم نعمة بعد
الايمن وقررة العين بعمدة الأبدان بعمدة العلم والبيان ولما كان السيد الرسول هو الوسيلة
في كل نعمة وجب على القاصدين والألسنة أن يتأبر على وظائف حبه ومدحه المهمة بل
اقترض علينا آثاره بالنفس والولد وقد سبق أعيان الاسلام الى ذلك فأنتج الله لهم ما وعد
وناهيك من الصدر الاوّل بكل ذي قدم راسخة وجأش ثابت مثل عبد الله بن رواحة وحسان
ابن ثابت ممن نافع بلسانه بعد سنانه وناضل ببيانه اثر بنانه ونشر مكارم أخلاقه المرضية
وخلد عقائل مدحة في مقاصير القصاص والمقاطع الشعرية وكان مدحه منجما من الهم
والضير وجوارا لا يخفق لكعب بن زهير فقد استشفه قصيدته وأجازه عليها برديته وقد
نسخ على منوال هذه البردة شرف الدين البوصيري الذي بدل في المدح جهده بقصيدته
التي هي غنية عن المدح فقد كفاني مؤتة ذلك هذا الشرح الذي استخرج من قشر ألقاظها
لباب المعاني ولم يحوج من وقف عليه الى أن يعالج فهمها ويعاني فله در مؤلفه المؤلف

شمل الأدب المتمسك من المعارف بأقوى سبب المحقق الماهر الشيخ محمد بن عاشور الطاهر وقد سعدت بمقدمه إليها الديار المصرية وعني بطبعه بالمطبعة الوهيبية الفاضل الأمثل ذوالدعوى المشكور نجل حضرة المؤلف المذكور وقد بذلت في تصحيحه الوسع بما ليس عليه مزيد وكانت عمدي في نسختين بعثت بهما إلينا هذا النجل الرشيد حفظه الله وأبقاه ورعاه من المكاره ووقاه مشاركا لحضرة أنيسى الشيخ محمد البليسي وكل طبعه لخمس بقين من جمادى الأولى سنة ١٢٩٦ هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية وعلى آله الكرام وصحبه مناهج الإسلام ولما برغت شمس تمامه أنبل صدرى للادلاء بخدمة مدحه مؤرخا بطبعه بعامه فقلت

مدى عيني من لأوج الحسن يرقى * منذ جفاني بات دمعى ليس يرقا
 عن عيني ولكن لم يبين * عن فؤادى وعصا صبرى شقيا
 عليه من ملج والهوى * آحرناه لقلب نزل عشقا
 بعد صفو العيش أن * قيل قد آن حثيث العيس سوقا
 العيس قرت عينكم * بالقوارير ارقوا بالله رققا
 يوسفيا حسنه * مصره قلبي وان أذكاه شوقا
 جسمى الضنى * بردة طوقنى بالصبر طوقا
 من الصبر سوى * بردة المسدح نخبيرا الناس خلقا
 من وصفه الاكما * ألف عام أفصح الأقوام نطقا
 من أعبائه * بالذى عز على الغير وشقا
 حاكها * شرف الدين الذى أحرز سبقا
 لها من فاضل * يكشف السر الذى رقى ودقا
 منها كثرها * فأتنا من بابها ما كان غلقا
 المسمى بالشقا * آخر الطب وما أحلاه ذوقا
 يدعى بطبعه * من يسوى بصناع الكف خرقا
 تاريخه * فى شفا القلب الشفا للطبع حقا

١٠٩ ٤١٢ ١٦٣ ٣٨١ ٩٠

سنة ١٢٩٦

كتبة الوطنية
 BIBLIOTHEQUE NATIONALE

